



أبداع مثال للجمال المصرى القديم
— تمثال الملكة نفرتيتي —

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد السابع والثمانين

٥ رمضان سنة ١٣٥٤

١ ديسمبر سنة ١٩٣٥

ذرع الفضاء

والاعلام التي يعتمد عليها في القياس

إذا وقف قائد على قمة اكمة وحدق بنظراته في اشباح متحركة عند السفح، استطاع ان يعلم بوجه عام هل هذه الاشباح فرقة من المشاة او من الفرسان وهل جنودها مرده او اقزام. كذلك ربان السفينة التي تروى شواطئ معينة، يتعلم بالمرآة، ان يتبين المنائر المختلفة من شدة ضوئها، او ما تنصف به خاصة في فترات الاضاءة والظلمة. وعلى منوال القائد والربان نجد علماء الفلك المحدثين، يحاولون النفوذ الى اسرار الفضاء، بالتحديق في تلك المنائر الكونية العجيبة - نعتي النجوم المتغيرة معظم النجوم في الفضاء تضيء ضوءاً لا تغير في قدره، لان ما ينتاب النجوم من الاحداث بوجه عام، يستغرق عصوراً متطاولة قبل ان يبدو اثره في حجمها او كتلتها او ضوئها. ولكن العلماء اكتشفوا في العصور الحديثة، نجوماً يتغير مقدار ما تطلقه من الضوء تغيراً ظاهراً في فترات منتظمة. فما كادت هذه الظاهرة تكشف وتحقق حتى اضطرب لها الفلكيون، ثم لما تعلموا كيف يستندون اليها في حل بعض الالغاز الكونية، رحبوا باكتشافها ايما ترحيب. ذلك انهم باعتمادهم على خصائص هذه النجوم المتغيرة، تغلغلوا ايما تغلغل في رحاب الفضاء، وتمكنوا من ان يعيدوا رسم الخريطة الكونية، على وجه ادق وأوفى، مما اتيج لها قبل اكتشافها فالنجوم المتغيرة، في عرف الفلكيين المحدثين والمعاصرين، بمثابة، المتر والذراع، تمكنهم من ذرع الفضاء

يعرف هذا الضرب من النجوم ، باسم « المتغيرات القيفاوية » Cepheid Variables نسبةً الى النجم المعروف باسم « ذلتا قيفاوس » وهو اشد هذه النجوم اشراقاً مما يرى منها بالعين المجردة . ونجمة القطب متغيرة قيفاوية كذلك

هذه النجوم قد تكون حُمْراً او مبياضة ، او صفراً ، ولكنها على اختلاف ألوانها ، تنبض نبضاً منتظماً كأن كلاً منها قلب كبير ينقبض وينبسط . او كأنها شعلة من الغاز ، تمدّها حنفية تفتح وتغلق في فترات منتظمة ، فاذا فتحت كبرت الشعلة ، واذا اقلت ضوئلت الشعلة حتى تكاد تنطفئ . اما فترة التغير فتختلف باختلاف النجم ، او باختلاف صفته ففترة النجم المعروف باسم « ذلتا قيفاوس » ، خمسة ايام ونصف يوم ، وهي خاصّة ثابتة من خصائصه ، وهو يتميز بها

ويؤخذ من مباحث الفلكيين ان اشراق النجم الحقيقي متصل بفترة تغيّره . فالنجم المتغير الذي فترة تغيّره ، ثمانى ساعات ، يبلغ اشراقه مائة ضعف اشراق الشمس . اما النجم المتغير ، ذو الفترة الطويلة ، فيفوق اشراقه اشراق الشمس الالف الاضعاف . وقد يبلغ طول فترة التغير في نجم ما مائة يوم ، فيفوق اشراقه اشراق الشمس ٣٠ الف ضعف . فاشراق النجم يزداد بازدياد فترة التغير فاذا عرفنا طول فترة التغير ، في نجم من النجوم ، عرفنا مقدار اشراقه بالقياس الى غيره من المتغيّرات القيفاوية . ثم ان بعض هذه النجوم ، قريب منا يمكن قياس بعده عنا بطريقة اختلاف الزاوية . فاذا اتخذنا نجماً من هذا القبيل اساساً للقياس ، وعرفنا الصلة بين طول فترة التغير ومقدار الاشراق ، استطعنا ، ان نعيّن بطريق غير مباشرة ، بُعد المتغيّرات القيفاوية المختلفة واشراقها بمعرفة فترات تغيّرها

والظاهر ان النجم المتغيّر ، المعروف باسم « ميرا » كان اول نجم متغيّر عرفه الانسان في سنة ١٥٩٦ كان الفلكي الهولندي دافيد فابريكيوس ، يرصد السماء ، فدهش دهشاً عظيماً ، عند ما رأى في صورة قيطس (الحوت) نجماً ، آخذاً في التضاؤل ، حتى غاب عن بصره . ثم زاد دهشه واستفحل ، عندما رأى النجم نفسه ، في ليالى تالية وقد اخذ اشراقه يزداد حتى صار من اشد النجوم لمعاناً في رقعة الفضاء . والمسلم به عند علماء الفلك الآن ، ان ميرا نجم متغيّر ، يكون من نجوم القدر الثاني ، اذا بلغ اقصى اشراقه ، ويضوئ حتى يصبح من نجوم القدر التاسع ، اذا بلغ ادنى اشراقه وما اشرف القرن التاسع عشر على نهايته ، حتى كان العلماء قد كشفوا عن عشرة نجوم او اثني عشر نجماً متغيراً . اما الآن ، وقد ادرك العلماء ، ما لهذه المتغيرات القيفاوية ، من المكانة في علم الفلك الحديث ، وما لها من الاثر في النفوذ الى بعض اسرار الفضاء ، فقد اصبح البحث عنها ، من اهم فروع الرصد الفلكي ، وقد بلغ عدد ما رصد منها حتى الآن نحو سبعة آلاف نجم ، كشف معظمها في مرصد جامعة هارفرد الاميركية

قد يكون اول سؤال يحيط للقارئ في صدد هذه النجوم ، عن الباعث على تصرفها هذا التصرف العجيب . فاذا كان القارئ يعلق شأنًا عظيمًا باردًا على هذا السؤال فانه ولا ريب ، مقضي عليه بحجية الامل ، لان العلماء ما زالوا مختلفين في ذلك . فالعلماء ادلعتن ، يرى ان الباعث على ذلك ، كون النجوم في توازن غير مستقر . وشايبلي الاميري يذهب الى ان هذه النجوم قد تكون في حالة اهتزاز ، وان اهتزازها يصحبه تغير في حرارتها وحجمها ولونها . اما جينز فيقول ان المتغيرات القيفاوية ، ليست الانجوماً ، في دور الانشطار ، على مثال ما تنشطر الخلية خليتين . ولكن ليكن تفسير حالتها هذه ما كان ، فان خاصتها الاساسية التي تمكننا من معرفة ابعادها ، بمعرفة اشراقها المستخلصة من قياس فترة تغيرها ، ظاهرة من اخطر الظواهر في علم الفلك الحديث

ادرك العلماء اولاً مكانة المتغيرات القيفاوية في علم الفلك ، لما لاحظت المس لفت Miss Leavitt سنة ١٩١٢ في مرصد هارفرد ، ان فترة التغير في ألمع النجوم المتغيرة في «غيمة مجلان الصغرى» Lesser Magellanic Cloud اقصر من فترة التغير في النجوم المتغيرة الضئيلة . ولما كانت جميع النجوم في «غيمة مجلان» على بُعد واحد من الارض ، فالاختلاف في اشراق النجوم لا يمكن ان يسند الى الاختلاف في بُعدها عن الراصد ، ولا يمكن ان يفسر الا بالتسليم ، بان بين النجوم اختلافًا حقيقيًا في اشراقها . فافضى اكتشاف المس لفت الى القول بان مدى فترة التغير تختلف باختلاف مقدار الاشراق ، فالنجوم التي فترات تغيرها قصيرة ، اقل اشراقًا حقيقيًا من النجوم التي فترات تغيرها طويلة

كان شايبلي Shapley حينئذ شابًا في العشرين من عمره ، يشتغل بعد تخرجه في مرصد جبل ولسن ، فادرك في الحال قيمة هذا الاكتشاف ومقتضياته . فقال في نفسه ، اذا كان لدينا نجمان متغيران ، س و ص ، في ناحيتين مختلفتين من الفضاء ، وثبت من رصدها ، ان فترتي تغيرهما واحدة فلا بد ان يكون اشراقهما الحقيقي واحد كذلك . فاذا كانت اية اختلاف بينهما في اشراقهما البادي لعين الراصد ، فسبب ذلك الاختلاف ، انما يكون الاختلاف بينهما في بعدها عنا

ومع ان العلماء كانوا ميالين ، في البدء ، الى السخرية من رأي ، الفلكي الناشئ ، تمكن شايبلي ، بذكائه وصبره ، من تأييد رأيه ، فأقنع علماء الفلك ، بان المتغيرات القيفاوية ، بمثابة اعلام منصوبة على طريق الكون تقيس بها ابعادها

فالمتغيرات القيفاوية منشورة في رحاب الفضاء ، لا تؤثر ناحية منه على اخرى . وتبينها سهل على من أخذ نفسه بأسباب العلم والمرانة ، يعرفها كما يعرف الربان كل منارة على الساحل الذي يجوبه . فاذا رأى الربان نور منارة ، وعرف المنارة ، رجع الى خريطة ، فيعلم منها قوة ضوءها . كذلك الفلكي ، سهل عليه ، ان يعرف ، مقدار الاشراق في احدى هذه المتغيرات ، من رصده فترة

دورانها . ثم بالقياس الى ابعاد المتغيرات التي قيست أبعادها بطريقة اختلاف الزاوية او غيرها من الطرق الفلكية ، يستطيع ان يعرف بعد المتغيرة القيفاوية الجديدة وليس لدى الفلكي الآن ، وسيلة أخرى ، توازي هذه الوسيلة ، في تمكينه من قياس الابعاد في ارجاء الفضاء القاصية

وما مضى شايبلي في بحثه حتى تبين له ان هذه النجوم المتغيرة بعيدة عنا بعداً ساحقاً يجعلها خارج الكون ، كما كان يتصوره علماء الفلك في مطلع القرن العشرين فافتضت النتائج التي بلغها ان يعاد النظر في تقدير حجم الكون وشكله

فلما اتقن الاسلوب الجديد في تقدير أبعاد النجوم ، رأى شايبلي ان يطبقه على معرفة حجم المجرة . فحول عنايته الى العناقيد النجمية ، التي تحتوي على طوائف كبيرة من هذه المتغيرات القيفاوية . ومنها نحو مائة عنقود قائمة جميعاً عند اطراف المجرة

هذه العناقيد تكون منتشرة لا شكل لها اذا كانت داخل المجرة ، ولكنها ترى مركزة ، كأنها عناقيد كثيفة غير مستطيلة من العنب اذا كانت خارجها . والواقع انها اذا اخترقت المجرة في خلال سيرها ، مزقتها الجذب كل ممزق فتبدو منتشرة وليس لها شكل معين . لذلك في وسع الباحث ان يقول ان العناقيد المركزة ، بمثابة الحدود القصوى للمجرة

على ان النجوم المتغيرة في هذه العناقيد المركزة بعيدة جداً ، فلما بحث شايبلي في الابعاد التي قدرت لها في الماضي على ضوء العلم الحديث ، ظهر انها خطأ ومبنيّة على التخيل في الغالب . فتمت عنقود يعرف في الخرائط النجمية باسم مركب من حروف وارقام هي N. G. C. ٧٠٠٦ وهو يبعد عنا مائتي الف سنة ضوئية ، اي ان الضوء السائر بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية لا يجتاز المسافة بيننا وبينه الا في مائتي الف سنة !

فلما أتم شايبلي بحثه في حدود المجرة على الاساس المتقدم ، رسم لنا صورة جديدة لها ، واضعاً كل عنقود من العناقيد النجمية التي تناولها بحثه في المكان الخاص به . واذا المجرة في رسمه هذا قرص من النجوم اشبه ما يكون بحبة من العدس او بساعة الجيب . ونظامنا الشمسي ، ليس في مركز المجرة كما ظن الفلكيون المتقدمون بل يبعد عنه نحو ٥٠ الف سنة ضوئية

واذا فشمسنا ليست قلب المجرة ، بل هناك كتلة نجمية كبيرة في كوكبات الراعي والحواء والعقرب ، هي في الارجح هذا القلب . الا ان مركز المجرة محجوب عن انظار مراقبنا لبعده من ناحية ولان حجاباً كثيفاً قائماً من المادة يحول بيننا وبينه . فنحن لا نستطيع ان نرى ذلك المحور الذي تدور حوله شمسنا واربعون الف مليون شمس اخرى ، بسرعة ٢٠٠ ميل في الثانية ، ولا تتم دورتها حوله الا في مائتي مليون سنة . وقد يكون المرقب الجديد ، الذي قطر مرآته مائتا بوصة

(اي ضعف قطر المرأة في مرقب مرصد جبل ولسن) عونا جديداً للعلماء على توسيع نطاق ما يعرفونه عن مركز المجرة . فالقوى الكونية ، والجاذبة منها بوجه خاص ، تخترق الغيوم المادية السود ، وتعمل في حركات النجوم ، وقد يمكننا هذا المرقب الجديد ، من تبين حقائق جديدة عن هذا المركز ولو بقي محجوباً عن عيوننا

ومع ان الدكتور شابيلى يرى ان المضي في البحث مدة اربع سنوات او خمس ، قد يميظ اللثام قليلاً عن اسرار مركز الكون ، الا أنه يتخيل من الآن انه قد يكون في ذلك المركز شمس جبارة ولا كالشموس ، تدور حولها المجرة كما يدور النظام الشمسي حول الشمس . ولكن نظرية اينشتين لم تبين حدوداً للأجرام الفلكية لا يمكن ان تتعداها في ضخامتها . فنكسب الجوزاء او يد الجوزاء Betelgeuse اضخم شمس عرفت مقاييسها حتى الآن ، ومادتها تكفي لنشوء ٢٥ مليون شمس من حجم شمسنا منها . فوجود شمس اكبر كثيراً من منكب الجوزاء في مركز الكون ، من المستحيلات بحسب نظرية اينشتين . الا ان مجموعة الشموس المركزة في منطقة المركز ، تفعل كأنها شمس واحدة

ان المتغيرات القيفاوية التي مهدت للعلماء السبيل الى قياس ابعاد المجرة ، والنفوذ الى مقر مركزها ، فتحت عيونهم كذلك ، على مدى الخليقة الكونية . ففي السنوات الاخيرة ، رصد العلماء ، بمرقب جبل ولسن ، السدم اللولبية التي خارج مجرتنا ، وقد كانت تحسب ، قبل عقد او عقدين من السنين ، غيوماً منتشرة من الغبار الكوني ، فثبت من رصدها ان فيها نجوماً متغيرة كذلك . فسديم المرأة المسلسلة ظهرت فيها نجوم متغيرة لاشك فيها . فثبت من رصد هذه المتغيرات ان السدم مجموعات ضخمة من النجوم التي لا ترى لبعدها ، ثم ظهر من قياس فترات تغيرها ، ان السدم تبعد عن اطراف مجرتنا بمئات الالوف بل الملايين من سني الضوء . فبالاستناد الى هذا الضرب من القياس تبين ان سديم المرأة المسلسلة يبعد عنا ٨٠٠ الف سنة ضوئية . فلما مضى العلماء في البحث ، ظهر ان المرأة المسلسلة اقرب ما عرف من هذه السدم ، وان السدم الاخرى ابعد منها عنا . نعم انهم لا يستطيعون ان يتبينوا نجوماً متغيرة او غير متغيرة في سائر السدم ولكنهم يعتمدون الآن على وسائل اخرى تختص بشكل السديم وضوئه تمكنهم من تقدير ابعادها . والامل هنا ، كالامل هناك ، معقود على المرقب الجديد . فانه ولاشك سوف يمكن العلماء من التدقيق في تعيين ابعاد المليون السديم المعروفة الآن ، علاوة على كشف ملايين من السدم الاخرى ، لم يتح لعين مرقب ان تراها حتى الآن

ولعلنا نستطيع حينئذ ، ان نكشف الستار قليلاً عن القوى الهائلة المتفاعلة في رقعة هذا الكون العظيم !

معجم الاستاذ فشر

للمركنور بشر فارس

إنَّ لغتنا هيهات ان تعوزها المعاجم ، ففي طليعة آثار العربية المطبوعة امثال «الجمهرة في اللغة» لابن دريِّد ، و «الصحاح» للجوهري و «اساس البلاغة» للزمخشري و «القاموس» للفيروزبادي و «لسان العرب» و «تاج العروس» ، اذا استئنيت المعجمات المرتبة على المعنى نحو «المخصَّص» لابن سيِّدة . وثمة ما لا يزال مخطوطاً كجانب من «كتاب العين» للخليل^(١) وجزء من «المجمل في اللغة» لابن فارس^(٢) فضلاً عما عفا اثره مثل «العُباب» للصاغاني (او الصغاني) . وهذه المعاجم النفيسة تثبت الالفاظ والتراكيب الفصيحة ، ولربما اتفق لطائفة منها ان تشير الى المصطلح والدخيل والعامي في معرّاض الكلام . غير انها صعبة المتناول الا على المتفقه في اللغة البصير بأساليب البحث ، ذلك بأن مواد بعضها مرتبة على مخارج الحروف نحو «الجمهرة في اللغة» او بأن المادة الواحدة مدرجة على غير تنسيق نحو «لسان العرب»

وقد فطن اهل اللغة للقرن الماضي الى وعورة ملتبس هاتيك المعاجم فراخوا يصنفون ما هو ادنى منالاً ، فكان «محيط المحيط» لابستاني الكبير و «أقرب الموارد» للشرتوني وغيرها على ما جرى في مطاويها جميعاً من الاوهام والسقطات وهل اكتمك ان تقرأ من المستشرقين نحو ذلك النحو فسهلوا لابناء جلدتهم مطلب لغتنا ، فكان معجم (لين) Lane الجزيل فائدة ومعجم (فريتاغ) Freytag وأصحابهم ؟ بيد ان ارتقاء فقه اللغة اخذ بأيدي المشتغلين باللغة الى غير هذا ، ذلك ان الامر آل بهم أن يعدّوا اللغة كيئاناً يموت ويحيا ويتحوّل ويبعث ، فأقبلوا ينظرون في نشوء اوضاعها وانقراضها على تعاقب الايام كما ينظر علماء الارض في ارتفاع نواحيها وانخفاضها على كرّ الزمان . فللغة تاريخ كما أنّ للامة الواحدة تاريخ

(١) نشر الاب انستاس السكرملي جزءاً من «كتاب العين» عدد صفحاته ١٤٤ . فمسي ان يمضي نبته على اتمام نشره (٢) طبع الجزء الاول من «المجمل في اللغة» في مصر (مطبعة السعادة) سنة ١٩١٤

وهذا الحكم قد سلّم علماء العربية من عهد بعيد : افلا ترى كيف تكلموا على « نقل »
الفاظ من معنى الى معنى وعلى « ذهاب » تراكب و« هجران » اخرى ؟
الا ان لغتنا لاتضم بين كنوزها معجماً تاريخياً يرد اللفظة الواحدة الى اصلها في اللغات السامية
أو يدفعها الى اخواتها فيهن ، ثم ينحدر باللفظة من الجاهلية حتى عهدنا هذا ، ممهلاً حيث يتسع
المعنى ، مسرعاً حيث يضيق ، وعكّازه في انحداره شواهد مستخرجة من أمّات التأليف
والمراجع العمدة

أما الفرنجة فما ابطأوا ان أخرجوا لاقوامهم معجمات تلك صفتها . وحسبي ان أدلك على معجم
(ليتريه) Littré الفرنسي والمُصنّف حجة بل ببيان !

ذلك عمل ضخم أقبل عليه المستشرق الالماني الاستاذ (فِشِر) A. Fischer وهو من أعضاء
جمع اللغة العربية الملكي . وقد سبق لي أن حدثتك عن ذلك العالم عند الكلام على مزايا الذهن الالماني^(١)
ولتجدن في الاقبال على مثل ذلك العمل دليلاً آخر على ما سقته لك هنالك :

أخبر الاستاذ (فِشِر) عالم الاستشراق بعزمه على تصنيف معجم تاريخي للغة العربية سنة
١٩٠٨ في مؤتمر المستشرقين المنعقد في (كوبنهاجن) ثم سنة ١٩١٢ في مؤتمر المستشرقين المنعقد
في (أتينه)

ثم أنه نشر سنة ١٩١٨ في مجلة « الجمعية الالمانية الشرقية » Zeitschrift der deutschen
Margenlaendischen Gesellschaft (ج ٧٢ ، ص ١٩٩ وما يليها) مقالاً أثبت فيه مبلغ معجمه
في ذلك العهد ورغب الى اصحابه من المشتغلين بالمشروعات ان يعدوه بما تصل اليه ايديهم

وبعد فقد اتفق لي في الشهر الذي خلا ان اشخص الى مدينة لَيْبْتْسِيْشْ Leipzig حيث
يقم الاستاذ (فِشِر) . فلم يسعني الا أن التقي الرجل واطارحته الحديث في معجمه . فاذا به يخبرني
أنه أمّته وان الجرازات التي بين يديه تبلغ الف الف وخمسمائة الف . ثم سمح لي بالوقوف على
جانب مما دونه تدويناً فاذا الذي أراه يهزني : يأتي المصنّف باللفظ العربي ويذكر مفاده بالفرنسية
والانجليزية ثم يردفه بما يجانسه في السريانية والآكدية والعبرية والحيرية وما إليها ، ثم يذكر المعاني
الختلفة اذا كان اللفظ « مشتركاً » ، ثم يبسط دقائق كل معنى من حيث موقع اللفظ في سياق
الكلام . وهيهات أن يرسل القول ارسالاً ، فهو يحتاج في كل موطن بنصوص قبولها مبني على
الضبط والوثوق . واستناده الى الشعر الجاهلي فالقرآن فالحديث فتأليف المؤرخين الأولين أمثال

الطبري والادباء السابقين كمثل ابن المقفع واشعار المخضرمين والاسلاميين والطبقة الأولى من المولدين . فانك ترى أن ما جمعه لا يعدو القرن الثالث للهجرة
هذا وقد انتفع المصنف بما عمله من قبل اضرابه من علماء اللغة آمن العرب كانوا أم من الاعاجم . الا أنه لا يعول عليهم من طريق مباشر ، وبيان ذلك أنه ان اصاب عند القوم معنى لم يظفر به في المؤلفات التي استند اليها اشار اليه ونسبه الى صاحبه

بَقِيَّ أن هنالك مُشكَلَتَيْنِ اذنتُ لِنَفْسِي ان انصبهما للاستاذ (فِشَر) . اما الأولى فتلحق بالاستشهاد ، واما الثانية فترجع الى التدوين نفسه . وقصة الأولى أن المصنف يستدل بالحديث . ومما كاد يجمع عليه الأئمة — وفيهم صاحب « الكتاب » والخليل والكسائي — ان اثبات اللغة بكلام النبي موضع نظر لأن غالب الاحاديث مروية بالمعنى ولأن الاعاجم والمولدين سلطوا عليها ايديهم حتى أن الحديث الواحد ليأتي على اوجه شتى من الرواية واللفظ . غير ان نقرأ من النحويين واهل اللغة — وفيهم ابن خروف وصاحب « الألفية » جوزوا ذلك ، ولهم حججهم . ولتجدن القضية مبسوسة في مقدمة « خزانة الأدب » للبغدادى . ثم ان المصنف يقدم الشعر الجاهلي على القرآن في الاستشهاد ، فان نظرنا الى التعاقب التاريخي ما وجدنا المصنف الا على حق . ولكننا اصبحنا نعد القرآن الحجة المقدمة — جرياً على طريقة الاستاذ الدكتور طه حسين — فنبدنا ما ذهب اليه الأقدمون أن لغة القرآن تصيب شواهدا في الشعر الجاهلي . وأما المشكلة الثانية فنقل الالفاظ السامية دون العربية والالفاظ الافرنجية الى لغتنا ، وهذا الفن معروف عند علماء الغرب بكلمة Transliteration ، وهو مجهول عندنا . الا أن ابن خلدون حالج بعض الشيء في « مقدمته » ثم جرى الشيخ ابراهيم اليازجي مجراه في مجلته « الضياء » . والحق اننا ما نزال نعاني نقل الالفاظ الاعجمية الى لغتنا على وجهها الصحيح اي دون ان نعمد الى « النحت »
كيفما كان الحال فان تينك المشكلتين لاحقتان بالعرض ، ولا عُسْرَ في حلّهما . والتحقيق ان المعجم الذي يعالج الاستاذ (فِشَر) تصنيفه في المحل الأول من النفاسة . ولعلّ اعضاء مجمع اللغة العربية الملكي يفتننون الى قدره فيتعاونون على ابرازه ، وعسى ان يواصلوا العمل فاذا فرغوا من الفصيح انصرفوا الى المُصْطَلَحِ والعامي والدخيل ، والمصنفات في هذه الثلاثة الفنون الاخرى — قديمة كانت او حديثة — متداولة بين الناس^(١)

(١) سألت الاستاذ (فشر) — وهو العالم باللغات الميتة والحية — قلت : « كيف ترى العربية ؟ » قال : « ما اعرف لغة اغنى منها ولا اسلس مقادراً ولا ارق حاشية »

المال عند الاقدمين وعندنا

تضيخ الثروات وتوزيعها

في مختلف العصور والامم

لامين الربحاني

المال يعمر الممالك ويخربها ، يعمرها اذا قرن في استخدامه العلم وحب الانسانية ، ويخربها اذا
انحصر استخدامه في حب الذات والمصالح الخاصة
المال رأس النعم في الحياة الدنيا ، ورأس المحن كلها . هو رأس النعم اذا توزع توزيعاً عادلاً
بموجب شرائع يسنها الانسانون الصادقون من السياسيين ، وهو رأس المحن اذا تكتل وتضخم ،
وكانت الشرائع تساعد في تضخمه وتكتله

المال في الحال الاولى كالنهر العديد الفروع ، الكثير الترع والاقنية ، عيم العدل ، عيم الفائدة
وهو في الحال الثانية كالسد تتجمع فيه مياه الانهر لتستخدم في احياء ارض محدودة دون سواها
كان المال خير وسيلة للانسان الاول في معاملاته المدنية الاولى ، فصار شر وسيلة اذا اتسع نطاق تلك
المدنية ، وتعددت المطامع البشرية . بيد انه في تطوره الحديث ، عائد الى وضعه الاول ، فيطلق
اذذاك في توزيعه ، من القيود الاقتصادية التي تسبب التضخم والتكتل ، وتقاس قيمته بمنافعه
العامة لا الخاصة

المنافع الخاصة ! لقد كان اصحابها يتمتعون ، في المدن القديمة وفي مدينتنا السابقة للحرب
العظمى ، بكل اسباب الفلاح ، وبكل حقوق الاحتكار السياسية والاقتصادية . ما كان والحق يقال
منافع تذكر غير المنافع الخاصة . وقد كانت في المدن الاولى تستمعين حتى بالدين ، فتتزل الايات
من اجلها ، ويتكهن الكهان لتعزيزها

اما عامة الناس ، السواد ، العاملون المنتجون والمجاهدون ، فحسبهم التقوى ونعمة الآلهة .
حسبهم رضى الكهان والاشراف ، اولئك الذين استغلوا الاديان ، واستقلوا بثمار جد الانسان ،
واستمتعوا بخيرات الارض في كل مكان ، فكانوا القليل ، وما كانوا اكراماً الا نادراً ، وكان السواد
من الناس يدفعون الخراج ، و « يأكلون » الكرباج ، ويصلون في الهيكل لرب العرش ورب التاج
اني محدثك بما يمليه العقل لا القلب علي ، وبما هو من وضع التاريخ لا من النظريات ، فلا
اقول غير ما يوجب الاثنان ، ويبته البرهان . فاستمع لي ، دام حلمك

ما تمتع بخير الارض في الزمان القديم غير الملوك والامراء ، والرؤساء المدنيين والدينيين ، وقليل غيرهم من المقربين . وما عُمِرَ في الممالك عمارٌ يدوم طويلاً ويذكر ، غير ما كان للرؤساء والامراء والملوك ، او ما كان مؤيداً لسلطانهم ، معزراً لنفوذهم ومصالحهم ، ما عُمِرَ غير الهياكل والقصور ، والطرقات للقوافل والجنود ، والافنية والترع في بعض الاماكن للري ، اول مصادر الثروة في العالم

وما كان المال يتوزع توزعاً واسع النطاق ، فترق حواشيه في الاقل ويزداد خيره ، بل كان يتجمع فيكتل ، فيسوء لذلك مصير الامة والمُلك . وقد كانت الكتلة الكبرى للملك طبعاً ، والكتل الاخرى للامراء من البيت الملك ، ثم للكهان والاشراف

اما الباقي من الامة ، اي السواد ، فقد كانوا على الاجمال محرومين حق الملك ، مستعبدين حقيقة ان لم يكن اسماً كذلك . ومن كان منهم صاحب عقار ، كان ذلك العقار كوخاً في حي الفقراء ، او بيتاً حقيراً في ظل قصر من القصور

لقد اكثر من البيان فوجب علي البرهان . مهما كان من تجميع التاريخ ، ومهما قيل في شطط المؤرخين ، فالحقيقة التي ذكرت ظاهرة لا ريب فيها . قلت ظاهرة ، وما كانت كذلك قبل ان شرع الاثريون ينبشون مدنيات الماضي القديم ، فأظهروا تلك الحقيقة ، وأيدوها بالادلة المحسوسة هي ذي في المعابد والقصور ، وفي قبور اصحاب القصور والمعابد . فقلما يعثر الاثريون على شيء

غيرها . هي ذي آثار الملوك والاشراف والكهان . واين آثار السواد من الناس ؟ انهم حتى في قبورهم بائدون ، وليس في حفريات الاثريين ما يحدد لهم ذكراً ، غير ماعون مثلاً من النحاس ، او قطعة من الفخار . وان سألت عن آثار البيوت بيوتهم والقبور ، دلوك على آثار القصور والمعابد هذي هي مدينة الاقدمين ، مدينة الكهان والاعيان ، مدينة الاقلية الصالحة التي حملت الكرباج باحدى يديها ، والمبخرة بالآخرى ، فأشعلت في المعابد البخور ، وما ابقث للسواد من الناس غير القبور . بل حرمتهم حتى القبور التي تنجو من يد الدهر الهدام ، فينبشها الاثري في هذا الزمان

تلك القبور المملأ بالجواهر والتحف وبرموز الخرافات ان هي الا قبور من حملوا الكرباج و « أكلوا » الخراج . اما قبور من دفعوا الخراج و « أكلوا » الكرباج فسل عنها الزمان وسلني انا عن عدد من لا قبور لهم ، وعدد اصحاب القبور الحافلة بالكنوز . سلني اذا شئت عن النسبة ، نسبة الاسياد الى العبيد في قديم الزمان . ولا تعجب ان اذا قلت لك ان النسبة بين الفريقين لكنسبة الحبة الى القبة

واليك من التاريخ بالمثل والبرهان

عند ما اشتد دور الانحطاط الاخير في مصر ، ذلك الدور الذي بدأ في الدولة العشرين (١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م .) كانت ثروة البلاد كلها بيد عدد من الناس لا يتجاوز اربعة بالمائة من عدد السكان . ففرض ان عدد السكان في عهد الفرعنة الـ ٢٠٠٠٠ كان خمسة ملايين ، فالذين ملكوا الارض ، واستمتعوا بخيرها ، لا يتجاوزون المائتي الف . هي الطبقة المالكة حقيقة ومعنى . وقد كانت مؤلفة من الملك والاشراف والكهان ، وقليل ممن دونهم من التجار والحكام ورؤساء الجيوش على ان سيادة الكهان في دور الانحطاط تعاظمت بتعاظم ثروتهم . فقد كان الفرعنة يزدون أوقاف الهياكل ليؤيد اربابها سلطانهم . بل كانوا يقدمون الاموال للآلهة ، ويقفون عليهم ، سبحانه وتعالوا ، الاوقاف الطائلة من مصانع ومزارع ومدن ، ليظل الآلهة راضين عنهم ، مؤيدين لعروشهم . وقد بلغت تلك الاوقاف في عهد رمسيس الرابع خمسة عشر جزءاً من المائة جزء من ثروة مصر والبلدان التابعة لها (١)

وفي بابل ، خلال دور انحطاطها ، كانت النسبة بين اهل المال واهل الفاقة اقل مما كانت في مصر ، اقل قليلاً ، اي ثلاثة بالمائة . فلو قلنا فرضاً ان سكان مملكة بابل ثلاثة ملايين كان المستحذون على ثروة البلاد تسعين الف غني . وقد كانوا هم المالكيين حقيقة ومعنى ، باسم الآلهة ، مثل اخوانهم في مصر

اما في بلاد فارس فقد كانت الحالة الاقتصادية اشد وانكر . في بلاد فارس ، حتى في عهد دارا الكبير ، كان عدد القابضين على زمام الثروة في الامة اثنين بالمائة فقط ، اي نحو مائة الف بشرٍ ثري . هذا اذا كان عدد السكان خمسة ملايين ، يوم كانت العجم تحارب الاغريق وما كانت بلاد الاغريق ، على علو كهنها في التمدن ، تفضل بلاد فارس في توزع ثروتها . بل كانت تلك الثروة منحصرة كذلك في القليل القليل من الناس ، نسبتهم الى السواد نسبة مخجلة . هي مخجلة حقاً لانها من حقائق الحياة « الراقية » في بلد سقراط وبرقليس

(١) في ما يلي بعض الارقام من احصاء في السجل البردي المعروف بسجل (هاري) ذكره الاستاذ برستد Breasted في كتابه تاريخ مصر صفحة ٤٩١ — فالآلهة او الهياكل ، او البحري وكلاء الهياكل والآلهة ، اي الكهان ، كانوا يملكون في عهد رمسيس الرابع :

١٠٧.٠٠٠ رقيق (من كل خمسين نفساً من الاهالي نفس واحدة للهيكلي)

٥٥٠.٠٠٠ رأس من المواشي

٧٥٠.٠٠٠ فدان من الارض (اي ١٥/١٠٠ من ارض مصر الصالحة للزراع)

٨٨ مركباً من مراكب النيل

١٦٥ مدينة في مصر وسورية (اي خراجها كله للهياكل)

أضف الى ذلك ما كان يقدم للآلهة من التحف والجزاير والمال ذهباً وفضة . فقد كان الدخل السنوي للاله عمون وحده ٢٦.٠٠٠ قطعة من الذهب ، ماعدا نصيبه مما تقدم ذكره

اجل ، ان عدد الاغنياء في دور انحطاط ائينة لمدهش ومخجل ، كيف لا ، وهو لم يبلغ الجزء الواحد بالمائة ؟ بل كان نحو نصف جزء الواحد . ومعنى ذلك ، ايها الفاضل ، انه لم يكن بين كل الف فقير غير خمسة من اصحاب الثروة ! فلو فرضنا ان عدد السكان يومئذ اربعة ملايين فعدد الذين احتكروا ثروة الامة الاغريقية يكون عشرين الف سيد اغريقي

اما العرب اجدادنا فقد كانوا في قديم الزمان ، وفي الجاهلية ، من الشعوب التي ما عرفت من المال — لا من خيره ولا من شره — شيئاً كثيراً بل كانوا ، الا في اليمن ، وفي قريش من القبائل ، فقراء فقراء . . . وقد كانت الثروات اليمانية ، واكثرها صغيرة ، منحصرة في الازواء وذويهم ، والمقربين منهم

ثم بعد الفتح اخذت تتسرب اموال الام الى بيت المال في المدينة ، فأحسن استخدامها الخليفةان الاول والثاني ، وأساء استخدامها الخليفة الثالث ، فما ابقى خلفه غير القليل ، بذل معظمه في حرب خاسرة

وبعد ذلك أخذت الثروة تتضخم في عهد الامويين ، ثم في عهد العباسيين . ولكننا لا نعلم حق العلم مقدار تكتلها — الا في بيت المال طبعاً — ومقدار النسبة بين عددي الاغنياء والفقراء في سورية والعراق . لقد عظمت ارقام الخراج ، ولا غرو ، فصارت تُعَدُّ بالوف الاولوف . ولكنها كانت مطلقة من قيود العدل ، الا في ايدي الخلفاء العادلين ، وهم قليل . وكان الباقيون يتصرفون في الخراج كيفما شاؤوا وشاءت اهواؤهم وملذاتهم

لا يجوز ، وانا في هذا الحقل القاحل من عالمنا العربي ، ان امرّ ساكتاً بحالة اجتماعية جميلة خضرت حواشيه ، فأثمر فيها الاحسان ، وشرف الانسان . حدثنا عنها ابن بطوطة . وحسبي الآن ان اشير اليها ، وادلك عليه . هي الاوقاف المتعددة التي شاهدها في دمشق وعدد منها ما يدعو للفخر والاعجاب . على انه يستدل من ذلك ان المال يومئذ كان متكتلاً ، ولكن اصحابه كانوا من المحسنين ، فبذلوا ما استطاعوا ، في أوقافهم العديدة ، لتخفيف وطأة الفقر عن السواد من الناس

اذا استثنينا هذا المظهر من مظاهر الغناء عند العرب كان في وسعنا ان نقول ان الحالة الاقتصادية المنكرة كانت في مصر اخف وطأة منها في سائر الممالك القديمة . فما السبب في ذلك ؟ لم تكن مدينة المصريين ارقى من مدينة الاغريق . ولكن وادي النيل اكثر خصباً من ارض اليونان . وخصب الارض وثروة الامة يتناسبان ، وقلماً يفترقان . فوادي النيل ووادي الرافدين تشابها خصباً في قديم الزمان ، ونسبة الغناء الى الفقر فيهما كادت تكون واحدة

على ان الثروات تكتلت في تلك الممالك القديمة كلها ، وخصوصاً في ادوار انحطاطها . بل كان التكتل السبب الاول في انحطاطها ، فعُدَّ المتمولون بالمائة وبالالف ، وعُدَّ الفقراء بالملايين .

وقد كانت اكثر الامم تمدُّناً — مثل الاغريق — اكبر الامم بفقرائها، واصغرهنَّ — ليس بالغناء — اصغرهنَّ بالاغنياء

لا ازيدك علماً بما كان من احوال الفريقين الاجتماعية والادبية . لا ازيدك علماً بترف الاغنياء وتلف الفقراء ، بالقصور والبساتين ، واكواخ المساكين ، بالمنكرات العلنية ، والامراض السرية . بالاباحات المحللة المضمخة بالبخور ، المسكلة بالزهور ، وبالبور الاخلاقية التي يولدها الزحام والظلام . عد الى التاريخ تزد تيقناً مما اقول

واني فوق ما قدمت اعطيك البرهان الاكبر من تاريخ الدولة العالمية الكبرى ، دولة الرومان ، وقد دانت لها شعوب الارض شرقاً وغرباً ، وتسربت الى خزائنها رومة اموال العالم فكانت رومة ، في ذلك الزمان ، كما هي لندن اليوم ، قطب السیادات السياسية والاقتصادية والمالية كلها وماذا كانت نسبة العددين ، عدد الاغنياء وعدد الفقراء ، في تلك الامة الرومانية العظيمة ؟ لقد كانت في مصر اربعة بالمائة ، وفي بابل ثلاثة بالمائة ، وفي ايران اثنين بالمائة ، وفي بلاد الاغريق نصف واحد بالمائة ، فماذا كانت في رومة ؟

ما كان في رومة ، ايها النجيب ، نسبة تذكر بالصورة الحسابية البسيطة . لا $\frac{1}{4}$ ولا $\frac{1}{5}$ ولا $\frac{1}{10}$. بالمائة ولا جزء واحد من الخمس . وذلك لان الشعوب التي كانت تدفع الضرائب للرومان كانت تربي على الخمسين مليون نفس (اذا كنت مخطئاً في هذا العدد فخطأى بالنقص لا بالزيادة) ولأن الرومان الذين ملكوا الارض لم يتجاوزوا في دور انحطاط رومة الالفين عدداً . الفنان من خمسين مليوناً ! فما هي النسبة ؟ اعمل حسابك في مهل ، ودعني اؤكد الالفاظ المخجلة . الفنان اثنان من الرومان يستمتعون بثروة العالم في تلك الايام ، وملايين من الشعوب الاوربية والاسيوية فقراء فقراء ، لا يملكون — كما يقال — شروى تقير

بئس الدولة التي يدير شؤونها ، ويستمتع بجميع خيرها ، الفنان من سادة الناس
بئس الدولة التي تعظم فتتكمل الثروة فيها ، وتصغر فتستعبد الرجال

ان غناء اولئك الرومان لشبيهة نسبةً بغناء اصحاب الملايين في اميركا . فقد بلغت ثروة احدهم ، هو ازيدوروس ، بحسب وصيته ٢١١٦ رقيقاً ، و ٣٦٠٠ رأس من البقر ، و ٢٧٥٦٠٠٠ رأس من مختلف المواشي ، ما عدا نصف مليون من المال ذهباً . وما كان ازيدوروس باغنى الرومان ، وما ثروته هذه الا ما تبقى عنده بعد خسارة جسيمة

اما ثروات عواهل الرومان فقد كان بعضها يدنو من الثروات الاميركية الكبرى . كثرة الامبراطور طيبيريوس مثلاً التي حسبت عند وفاته باثنين وعشرين مليون ليرة ذهباً

فان منها ثروات ملوك هذا الزمان وحكامه ؟ لقد تقدمنا من هذا القبيل . فالملوك والسياسيون في زماننا قلما يثرون . انما الاثراء للتجار ، وارباب الصناعات والمهن ومن هؤلاء ، في بلاد مثل انكلترا ، تتألف طبقة الاشراف . فصاحب معمل الصابون مثلاً ، او صاحب طائفة من الجرائد والمجلات ، وقد صار مليونيراً بفضل عصاميته ، يصير نبيلاً بفضل تقليد قديم لتخليد طبقة النبلاء . وكيف تخلد هذه الطبقة وتظل رفيعة الشأن ، عزيزة الجانب ، اذا كانت الحياة لا تتجدد فيها على الدوام ؟ انها الحكمة بليغة في المحافظة والتجدد وهذه الطبقة الشريفة تملك قسطاً وافراً من ارض انكلترا . كل نبيل غني ، ولا يعكس وفي انكلترا من اصحاب الملايين ٥٤٣ ريثاً (احصاء سنة ١٩٢٩) اما اصحاب الثروات الصغيرة التي تتراوح بين العشرة آلاف والمائة الف جنيه ، فيبلغ عددهم ٤٠٠٠٠٠٠٠ اي نحو عدد سكان مصر في عهد الفراعنة الاعمسين ونحو الثمن من عدد سكان بريطانيا العظمى الآن

لانكر ان اذن ان نسبة الفقراء الى الاغنياء قد تغيرت تغيراً حسناً يذكر . ولكنها لا تزال دون الاحسن المنشود . فالهدف الاعلى للشعوب المحررة هو قائم ، على ما ارى ، بين بلشفية روسية المركسية واشتراكية اميركا الديمقراطية . فان في البلادين تجري اليوم تجربات خطيرة مختلفة هي كلها ، في عدلها الانساني المنشود ، اكبر قصداً ، وابعد مرمى ، مما تقدمها من الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في التاريخ القديم والحديث

وهناك فرق آخر بين غنائنا وغناء الاقدمين . فان مجموع الثروة عندنا ، في امة واحدة من الامم الغنية ، لا اكبر جداً مما كان حتى في الدولة الرومانية العظمى . بل ان رجلاً مثل رولاند او ركنفلر او هنري فورد ليملك وحده ما يقدر بثمن ثروة رومة في ذلك الزمان هذا وان التكتل المالي آخذ بالتفكك ، وقد اتسع ، خصوصاً بعد الحرب العظمى ، نطاق انتشاره وقلّ نطاق خيره ، فتعددت الثروات في الدول الكبيرة في الاقل ، وازداد عدد الميسورين . لقد اسلفت البيان عما في انكلترا من اصحاب الملايين واصحاب الثروات الصغيرة . وان عدد هؤلاء في فرنسا لا زود ، الاً اصحاب الملايين (بالليرات) فلا اظنهم كثيرين . على ان طبقة البورجوازي التي تحكم اليوم البلاد سياسياً ومالياً هي اهم الطبقات هناك ، ان لم تكن اكبرها وأغناها

ومما يدل على اليسر المتسع النطاق في هذا الزمان عدد السيارات . فان في فرنسا ١٦٧٠٠٠٠ سيارة^(١) اي واحدة لكل ثلاثين من السكان . وهي مثل ذلك في انكلترا ، وأقل من ذلك في المانيا

اما في اميركا فقد بلغ عدد السيارات من جميع الانواع في سنة ١٩٣٠ ثلاثة وعشرين مليون ومائة وعشرين الف سيارة، اي سيارة واحدة لكل خمسة اشخاص وعدد اصحاب الملايين غير الكبار، اي الذين يملكون ما يتراوح بين الخمسة والعشرة ملايين من الدولارات، يفوق عدد ما في انكلترا. فان في مدينة نيويورك وحدها مائتين منهم. وفي الولايات المتحدة سبع مدن كبرى، بعضها اكبر من باريس، وخمس عشرة مدينة كالقاهرة. وفي كل مدينة اغنياؤها ذوو الثروات التي هي فوق المليون ودون الخمسة ملايين دولار، فضلاً عن اصحاب الثروات الصغيرة، ويقدر عددهم بثلاثة او اربعة ملايين، بناءً على ضريبة الدخل التي بلغت في سنة ١٩٣٠ نحو بليونين واربعمئة مليون دولار، وهي بالتدقيق:

من الشركات ١٢٦٣٤١٤٤٦٦ ر

من الافراد ١١٤٦٨٤٤٧٦٤ ر

٢٣٠٩٢٥٩ ر ٢٤١٠ ر دولاراً

اي الفين واربعمئة الف الف على طريقة العرب في العدّ
لا نكر ان اذن ان عدد الاغنياء والميسورين آخذ بالازدياد في العالم. ولكن ذلك لا يعني ان شرو الفقر قد زالت، او هي مسرعة في الزوال. ذلك لا يعني ان الجور والتعسف والاستئثار، وفساد الاخلاق والجرائم والامراض، الناشئة عن تكتُّل الثروات، وعن الفقر المقابل لها، قد اُمتت كلها في خبر كان. بل هناك ضروب من الجور، في المعاملات المالية الكبرى وفي المشروعات الاقتصادية العظيمة، لا تستطيع الحكومات، لا الجمهورية منها ولا الملكية الدستورية، ان تزيلها الا اذا تغيرت نظمها اصلاً و اساساً

ان الفرق اذن بيننا وبين الاقدمين في المسألتين، موضوع هذا المقال، اي في التكتُّل المالي وفي نسبة الفقراء الى الاغنياء، هو ان المال عندنا قد ازداد ازدياداً عجيباً، وقد تغيرت النسبة تغيراً حسناً ظاهراً. فمن ١٠٠/٤ في عهد الفراعنة، الى ما يتراوح بين ١٥ و ٢٠ بالمائة في زماننا، في الامم التي ذكرت، وهذا ما يصح ان يدعى ارتقاء. ولكننا لا نرضى بان نقف في الارتقاء عند هذا الحد لا نقول ان عدد الاغنياء في العالم يجب ان يزداد ويستمر في الازدياد. كلاً. انما نقول يجب ان يقل عدد الفقراء في العالم، ثم يقل، فيزول الفقر تدريجاً، وتزول شروره كلها هي ذي الحالة الاقتصادية الاجتماعية التي ينشدها ذوو الفكر الراقي النزيه، ذوو الفكر الدولي الانساني. هوذا الهدف الاقصى! وستدركه في المستقبل الامم المتقدمة جمعاء

الفرنيكه — لبنان

هاتمه للنفس

لعبر الرحمن شكرى

— ١ —

طلب السكينة

يا ليت قلبي غداً خلاً كعالم كله بحاراً
على انتقاء الحياة منها في خضم ما له قراراً
فلا مهود ولا قبور ولا سفين ولا مناراً
ولا حبيب ولا عدو ولا غم ولا احتضاراً
ولا رياء ولا شقاء ولا رجاء ولا اذكراً
أو كان كالنجم في سراه الوادع السائر المذاراً
أو كان كالليل في هدوءه يُخال في صمته حواراً

— ٢ —

طلب القوة

يا ليت قلبي على أساه أقوى من الشر والشقاء
وليت نفسي على هواها أقوى من الحب والرجاء
وليت لُبِّي على حجّاه أجلد من غفلة الغباء
لا يضطنيه عداً عادٍ وليس يغترّ بالإخاء
يأخذ صفو الزمان عفواً ولا يعنّي من القضاء
وليت صبري على بلاءٍ أشد من أروع البلاء
دواء داء الحياة فينا لو تسعّد النفس بالدواء
بالصبر والسعي والمنى والحلم والعزم والوفاء

التجارة الإسلامية

وأثرها في الحضارة^(١)

أفستطين زريق

أحد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأميركية

لم يعرف تاريخ العلم قوماً كانوا اقل انصافاً لغيرهم واشدّ ظمأً له من جماعة المؤرخين ، فكأنهم قد افرغوا جهدهم في صدّ الناس عنه ومنعهم من ارتياد مناهله . كيف لا ، وقد جر دوه من كل نعمة ورواء ، وامتصوا منه ماء الحياة ، ولم يبقوا فيه الا هيكلًا عظيمًا من اسماء وتواريخ ليس بينها وبين حياتنا الحاضرة علاقة وثيقة او سبب قوي . فكانت نتيجة الجهود التي سكبوها في تلك المؤلفات الضخمة والكتب الجسيمة انهم ، عوضاً من تحبيب هذا الفن الى الناس وتشويقهم الى انتطاف ثمراته اليبانة ، جعلوه ينصرفون عنه ويصدفون عن مراعاته وحقوقه ولا يرون في درسه كبير لذة او عظيم غناء . لكن التاريخ يأبى ان يظل اسيراً ضمن النطاق الجائر الذي قيّده به ، فهو لا يكتسي رواءه ونضارته الا اذا لامس الحياة واتصل بها اتصالاً وثيقاً ، اذ ليس هو ، في جوهره ، سوى تطور الحياة البشرية باختلاف نواحيها وتعدد ألوانها ، يستمد روحه من حياة الطبقة العامة من الناس وطرق معيشتهم وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية والعقلية : فكيف في البيوت الوضيعة والطرق العامة ما هو اجدر بالحفظ في بطون التواريخ من اسماء الملوك والوقائع والحروب لأنه اصدق منها تمثيلاً لحياة الامة ولون معيشتها وتطور احوالها

فاذا حاولت ان احدثكم في موضوع تاريخي ، فسوف ابتعد — ما استطعت — عن الخلفاء والاسراء والحكام ، وسوف اصم اذني وآذانكم عن سماع صليل السيوف وقرع الطبول ونفخ الابواق ، واسعى واياكم الى ناحية خصبة غنية من الحياة الإسلامية القديمة لم تنل من المؤرخين حقها من الدرس والاهتمام ، مع ما كان لها من الاثر القوي والصدى البعيد في تاريخ الشرق والغرب : اعني بها التجارة الإسلامية وأثرها في الحضارة . ليس قصدي ان اعود بكم الى الجذور القديمة التي نبتت منها حركة التجارة الإسلامية ، فاصور لكم الجزيرة العربية في الازمنة التي سبقت الاسلام ، واحدد الطرق التجارية التي كانت تخرقها ، والدول والمدن الزاهرة التي قامت على اساس تجارتها — كمعين وسبأ وحير وتدمر والبطراء ومكة ، واصف ما كان لهذه الدول والمدن من الشأن في وصل حضارة الهند وثقافته بمدينة بلدان الشرق الادنى والبحر الابيض المتوسط ، فالقول في ذلك — كما فعلون — واسع مستفيض لا مجال لاستيعابه في هذا المقام ، وكفي تلميحاً اليه ان نورد شهادة

(١) محاضرة القيت في كلية المقاصد الخيرية في بيروت

الجغرافي اليوناني استرابون (Strabo) الذي قال : « العرب جميعهم اهل تجارة » ، والقول المتداول عن اهل مكة قبل الاسلام : « من لم يكن تاجراً فليس عندهم بشيء »

دعونا اذن نمر بهذا الدور التحضيري الذي غرست فيه بذور التجارة الاسلامية ، ونجوز دور الفتوحات الذي عقبيه والذي نشرته راية الاسلام من حدود الصين الى سواحل الاطلانتيك فوحدت الافطار الشاسعة تحت حكم واحد وهدمت الحواجز التي كانت تفصل بينها ، ولنتنقل رأساً الى قلب العصر العباسي (الى القرنين الثالث والرابع هـ . ، التاسع والعاشر م) حين وصلت المدينة الاسلامية الى اعلى قممها ، ولنراقب تلك الحركة التجارية المفعمة بالقوة والنشاط التي كانت تتغلغل في قلب الامم الاسلامية وجوانبها ، وتربط بينها وبين الامم التي تجاورها وتنقل منها واليها بذور الحضارة والثقافة والمدينة لو كنت يا اخي تاجراً في ذلك العهد لما سكنت بيروت لانها لم تكن قد اكتسبت بعد مكانة تجارية ، وانما كنت استوطنت بلداً غيرها على الساحل السوري كطرابلس او صور او عكة حيث تجتمع السفن « المنشآت في البحر كالاغلام » ويلتقي تجار المسلمين زملاءهم الغربيين ، ولما كان لك في بلدك المستودعات الواسعة لخزن البضائع التي تستوردها من بلدان الشرق وتصدرها الى الغرب ، فان وظيفتك كانت في ذلك العصر — كما لا يزال الى اليوم — ان تقوم وسيطاً بين الشرق والغرب وتكون حلقة اتصال لطرق التجارة التي كانت في القرون الوسطى تسير من الشرق الى الغرب فالتعكست اليوم ، بعد نهضة اوربا الحديثة ، وغدت تجري من الغرب الى الشرق

واذا اسعفتك الدهر واتسعت تجارتك فلا بُدَّ ان تكون بينك وبين التجار الغربيين — واشهرهم سكان المدن الايطالية — اتفاقات ومقاولات تجارية تسعى الى القيام بها وتحمي من ورأها الربح العظيم . ولكنك اذا احببت ان تلمس الحركة التجارية في صميمها وتشعر بقوتها وبالحياة التي كانت تدب فيها فلا بُدَّ لك من الاتصال بالطرق التجارية التي كانت تخترق المحيط الهندي وتصل بين الهند والصين من جهة وبين بلدان الشرق الادنى ومن ورأها اوربا من جهة اخرى . فالمحيط الهندي كان في ذلك العهد اعظم ميدان للاموال والمشتريات التجارية ، وفي مياهه وشواطئه كانت تلتقي مراكب الامم المختلفة وتتبادل بضائعها ومحصولات بلادها . فلا غنى لنا اذن عن ان نلقي نظرة عجيلى على الطريق الرئيسية للتجارة الواسعة التي كانت تدور اعمالها في ذلك الميدان الفسيح

كانت قاعدة هذه التجارة ومحط رحالها الموانئ الواقعة على شواطئ الخليج الفارسي كالبحيرة والابلّة وسيراف : منها تخرج السفن الصينية الكبيرة والمراكب العربية السريعة ، بعد ان يكون التجار قد افرغوا بضائعهم التي حملوها من الصين والهند وابتاعوا حاجتهم من اللؤلؤ الذي يباع عليه في مياه الخليج الفارسي والذي كان ولا يزال اعظم ما تصدره تلك البلاد . ثم تعبر السفن مضيق هرمز الى خليج عمان فترسو بصحار عمان ومسقط حيث تأخذ مؤونتها من الماء والطعام لسفرة طويلة قد تدوم شهراً او تزيد ، ثم تقالع الى الهند او بالاحرى الى القسم الغربي منه — وهو الذي

كان يدعوهم العرب « السند » — وترسو في موانئه فينزل اليه التجار ويبتاعون تلك المحصولات الثمينة المتنوعة التي اشتهرت بها بلاد الهند منذ اقدم الازمنة : وهي البهارات والعمود والعقاقير والاششاب والعاج والحجارة الكريمة . وفي السند يقول الرحالة المقدسي : « هذا اقليم الذهب والتجارات ، والعقاقير والآلات ، والفانيذ والخيرات » والارزاز والموز والاعجوبات ، به رخص وسعة ونخيل وثمرات ، وعدل وانصاف وسياسات ، وبه خصائص وفوائد وبضاعات ، ومنافع ومفاخر ومتاجر وصناعات ^(١) . ويظل تجارنا يتنقلون بمراكبهم بين موانئه الى ان يصلوا الى ساحله الجنوبي المعروف ببلاد الملبار ثم يدورون حوله ويمرون في المضيق الفاصل بين شبه جزيرة الهند وجزيرة سيلان — او كما كان يدعوها العرب « سرنديب » — فترسو المراكب في بعض شواطئها يشتري التجار من محصولاتها — واعظمها الياقوت والحجارة الكريمة — واذا كانت حركة الرياح غير موافقة وكان بين التجار من تستهويه الرحلة ومشاهدة الآثار نزلوا الى برّها وتسلكوا جبالها زيارة « القدم » وهو — على ما يمتقدون — اثر بارز لموطىء قدم اينما آدم عليه السلام ومن سرنديب تقلع السفن قاصدة جزر الهند الشرقية (جاوه وسومطرة) — وقد كانت تعرف عند العرب ببلاد الزابج — وهي غنية بالسبان والكافور والعود الهندي والقرنفل ، ومنها تسير رأساً الى الصين فتصل — بعد سفر طويل — الى مدينة خانفو وهي ، بشهادة التاجر سليمان الذي نفع هذه الطريق البحرية مراراً في منتصف القرن التاسع م . « مجتمع تجارات العرب واهل الصين » ^(٢) . واهل الصين مشهورون منذ اقدم الازمنة بدقة صناعاتهم واتقان فنونهم ، واشهر مصنوعاتهم التي كان التجار المسلمون ينقلونها الى الغرب : الحرير والفخار . قال التاجر سليمان عن صناعاتهم : « واهل الصين من احذق خلق الله كفاً بنقش وصناعة وكل عمل لا يقدمهم فيه احد من سائر الامم » ^(٣) وذكر رقة حريرهم فوصفها بالقصة التالية : « وذكر رجل من وجوه التجار ومن لا يشك في خبره انه صار الى حصي كان الملك انقذه الى مدينة خانفو لتخيش ما يحتاج اليه من الامتعة الواردة من بلاد العرب فرأى على صدره خالاً يشف من تحت ثياب حرير كانت عليه فقدر انه قد ضاعف بين ثوبين منها فلما اخل في النظر قال له الحصي اراك تديم النظر الى صدري فلم ذلك فقال له الرجل عجبت من خال يشف من تحت هذه الثياب فضحك الحصي ثم طرح كمّ قيصه الى الرجل وقال له اعدد ما عليّ منها فوجدتها خمسة اقبية بعضها فوق بعض والخال يشف من تحتها والذي هذه صفته من الحرير خام غير مقصور والذي يلبسه ملوكهم ارفع من هذا واعجب » ^(٤)

واذا تقدمنا الى عصر ابن بطوطة (القرن الرابع عشر . ، الثامن هـ .) — والراجع عندنا ان

(١) احسن التقاسيم (طبعة دي غويه — ليدن) ص ٤٧٤

(٢) Reinaud, Relation des Voyages dans l'Inde et à la Chine (باريس ١٨٤٤) م ٢ ، ص ١٣

(٣) ص ٧٥ (٤) ص ٧٤ — ٧٥

ما يذكره هذا الرحالة ينطبق أيضاً على العصر الذي نصوره الآن لاشتداد حركة التجارة فيه — وجدنا ان السفن لا تلبث ان ترسو في ميناء خانقو حتى يصعد اليها عمال الجمر ك ويفتقدوا رجالها واموالها : « وعادة اهل الصين اذا اراد جنك من جنوكهم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتبه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدم والبحرية وحينئذ يباح لهم السفر فاذا عاد الجنك الى الصين صعدوا اليه ايضاً وقابلوا ما كتبوه بأشخاص الناس فان فقدوا احداً ممن قيدوه طلبوا صاحب الجنك به فأما ان يأتي ببرهان على موته او فراره او غير ذلك مما يحدث عليه والا اخذ فيه فاذا فرغوا من ذلك امروا صاحب المركب ان يملي عليهم تفسيراً بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم فان عثروا على سلعة قد كتبت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالاً للمخزن وذلك نوع من الظلم ما رأيتُه ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين الا بالصين اللهم الا انه كان بالهند ما يقرب منه وهو ان من عثر على سلعة له قد غاب على مغرمها اغرم احد عشر مغرمًا ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم » (١)

ولعلَّ أبلغ شاهد على توثيق العلاقات التجارية بين الصين والبلدان الإسلامية وجود جالية إسلامية في مدينة خانقو لها من العدد والنفوذ ما حمل امبراطور الصين على منحها استقلالها الديني والقضائي « وذكر سليمان التاجر ان بخانقو وهو مجتمع التجار رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون الى تلك الناحية بتوخي ملك الصين ذلك واذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودماً لسلطان المسلمين وان التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئاً في احكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل واحكام الاسلام » (٢) . ولم تكن تجارة المسلمين لتقف عند حدود خانقو وامثالها من الموانئ الصينية بل كانت تتجاوزها الى داخل البلاد وتتصل بالمدن والمراكز الداخلية الهامة ، كما ان بعض تجار المسلمين وبحارتهم كانوا يخاطرون بمراكبهم التجارية الى البحور الشمالية ، وليس من المستبعد ان يكونوا قد وصلوا الى اليابان او شبه جزيرة كوريا

هذه ، هي اهم طريق كانت تمر بها التجارة الإسلامية لانها تصل بين بلدان الشرق الادنى وبين البلاد التي كانت في ذلك العهد منبع البضائع والتحف والمحصولات الزراعية والصناعية وقد كانت هناك طرق بحرية اخرى لم تبلغ شأواً هذه ومكانتها : منها الطريق الفرعية التي يصح ان نعدها تكملة للطريق الرئيسية الاولى وهي التي تسير من الخليج الفارسي وتدور حول بلاد العرب فتتمر بموانئ عديدة على ساحل الجزيرة الجنوبي واشهرها ظفار وعدن ثم تصعد في البحر الاحمر حتى تصل الى جدة او ثغر عيذاب على الشاطئ المصري . وبهذه الطريق البحرية كان ينقل جانب من بضائع الشرق الى بلاد مصر والشام . ومن الخير ان نتوقف قليلاً في ميناء ظفار لنشاهد ضرباً من الدعاية التجارية التي كان يستخدمها اهل ذلك الزمان لاستجلاب التجار الى مرافئهم . « وهم اهل

(١) رحلة ابن بطوطة (طبعة Defrémery et Sanguinetti ، باريس ١٨٧٤-٧٩) م ٤ ص ٢٦٤-٢٦٥ (٣) م ٢ ص ١٤

لفقار [اهل تجارة لا عيش لهم الا منها ومن عاداتهم انه اذا وصل مركب من بلاد الهند او غيرها خرج عبيد السلطان الى الساحل وصعدوا في صنبوق الى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب او وكيله والربان وهو الرئيس واللكيراني وهو كاتب المركب ويؤتى اليهم بثلاثة افراس فيركبونها وتضرب امامهم الاطبال والابواق من ساحل البحر الى دار السلطان فيسلمون على الوزير وامير جندار وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثاً وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذلك استجلاباً لاصحاب المراكب ^(١) ومن الطرق البحرية الثانوية ايضاً تلك التي كانت قاعدتها مدينة عدن ، تسير منها الى زيلع على شاطئ الحبشة وتمتد الى بلاد سغالة المشهورة بالذهب والى جزيرة مدغسكر التي كانت تعرف عند العرب بجزيرة الواقواق ، ومنها ايضاً الطرق البحرية التي كانت تخترق البحر الابيض المتوسط والتي ازدهرت في العهد الصليبي خاصة عند ما تقارب الشرق والغرب واتصلت حياتهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية اتصالاً قوياً

هذه هي الطرق البحرية للتجارة الاسلامية : على ان الشعوب الاسلامية التي اشتهرت منذ القدم بقوافلها البرية كانت تقطع ايضاً بيضائعها البوادي والجبال وتنقل محصولاتها مسافات شاسعة على ظهور الجمال . فقد كانت هناك طرق برية الى الهند والصين الا انها لم تبلغ من خطر الشأن ما بلغته الطرق البحرية لما كان يعترض طريق الهند من الجبال الوعرة وطريق الصين من الشعوب التركية غير المتحضرة التي كثيراً ما كانت تغزو القبائل وتقطع السبل . ولعلنا لا نتعمد الحق اذا قررنا ان اهم الطرق البرية هي الطريق الاوروبية الممتدة من آسيا الوسطى الى روسيا وبلاد البلطيق عن طريق بلاد الخزر والتي يتفرع عنها طريق آخر الى امبراطورية الروم ، والطرق الافريقية التي كانت تخترق النصف الاعلى من تلك القارة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب

اما الطريق الاوروبية فليس ادل على مداها ومقامها من النقود الاسلامية الوافرة التي عثر عليها في اماكن عديدة في روسيا وفنلندا وبلاد اسوج وزوج . ولا نخل ان التجار المسلمين انفسهم وصلوا الى تلك البلدان الشمالية التي وجدت فيها نقودهم ، بل زجح انهم لم يتجاوزوا بلاد البلغار الواقعة في منتصف مجرى نهر الشولغا ، الا ان وجود النقود الاسلامية في تلك الاماكن القاصية يدل على مدى ما بلغت التجارة الاسلامية من الاتساع ومن الاثر المادي والثقافي في حياة الشعوب القريبة والبعيدة . وكان اهم ما يبتاعه التجار المسلمون بتلك النقود : العبيد وجلود الحيوانات

اما الطرق الافريقية فاهمها ثلاث : اولاً الطريق الشمالية التي كانت تسير من مصر الى المغرب فالاندلس والتي كانت تنقل عليها ، عدا البضائع والمصنوعات المادية ، بذور الثقافة والحضارة بين شرقي العالم الاسلامي وغربيه ، وثانياً الطريق الشرقية من مصر الى النوبة فبلاد البجة ، وثالثاً الطريق الغربية من المغرب عبر الصحراء الكبرى الى بلاد النيجر . وكان تجار مصر وشمال افريقيا

يقضون الشهور الطوال في هذه الرحلات الخطرة الى اواسط افريقيا حتى يعودوا منها وقد حملوا قوافلهم من منتوجاتها الثمينة وهي الذهب والعاج

تلك ايها السادة ، هي اهم الطرق التي كانت تجري بها التجارة الإسلامية في ابان زهوها وازدهارها ولا شك عندي انكم ترجعون الآن بمخيلتكم الى تلك القرون الماضية فتتصورون السفن الإسلامية تمخر عباب بحر الصين والهند نافلة التحف والمنتوجات الثمينة الى بلادنا ومنها الى بلدان الغرب ، او ترأقون القوافل البرية وهي تحتاز البوادي والسهول من اقصى العالم المتمدين في ذلك العهد الى اقاصه ، ولكننا نخطيء كل الخطأ اذا نحن حسبنا ان التجارة الإسلامية كانت تقتصر على نقل منتوجات الصين والهند وافريقيا الى بلدان الغرب ، اذ انها كانت تتناول ايضاً المصنوعات التي تنتجها البلدان الإسلامية نفسها وكلنا يعلم مبلغ ما وصلته الزراعة والصناعة الإسلامية من الرقي والدقة والاتقان . فجزيرة العرب كانت ، على قحطها ، تنتج محصولات ثمينة كالسجور والمر واللؤلؤ ، والعراق كان يصدر التمور والخزف والزجاج ، ومن الشام كانت تحمل المحاصيل الزراعية الوفيرة لاسيما الفواكه والثمار ، ومن مصر الثياب والستور الملونة المصنوعة من القطن والكتان ، ومن افريقيا الزيت والفسق والزعفران ، ومن خراسان وما وراء النهر الادهان والزيوت العطرية وطرار الوشي وثياب الحرير والشعر ، ومن بلاد الديلم وطبرستان المناديل والاكسية والطبالسة ، ومن خوزستان السكر والفواكه والديباج ، وقد اشتهرت في هذا الاقليم مدينة نستر خاصة فكانت ديباجها يحمل الى الدنيا ومنه تصنع كسوة الكعبة في مكة .^(١) ويضيق بنا المجال عن تعداد المحاصيل والمصنوعات الغزيرة التي كانت تفيض بها بلاد الاسلام ، وحسبنا بما ذكرنا تلميحاً الى اثر هذه الحياة الصناعية النشيطة في تعزيز التجارة الإسلامية الداخلية والخارجية واتساعها

ولعل افضل ما يظهر لنا هذا الاتساع القطعة التالية التي وردت في كتاب « حديقة الورد » - غولستان - لشاعر الفرس الشهير سعدي قال : وكنت اعرف تاجراً له قافلة كبيرة من الجمال وحاشية من المماليك الخدام ، اضافني ذات ليلة في منزله في جزيرة كيش وظل طول الليل يتكلم عن تجارته واعماله الى ان قال : يا سعدي ، اني ارغب في القيام بسفرة تجارية اخيرة ، اتمها واعتزل التجارة ، قلت : « وما هي هذه السفرة » اجمل كبريت فارس الى الصين ، واجلب نثار الصين الى بلاد الروم ، فاستبدل به هناك اقشة حريرية ، وانقلها من بلاد الروم الى الهند ، واعود بفولاذ الهند الى حلب ، فاجمل زجاج حلب الى اليمن ، وارجع اخيراً بثياب اليمن الى فارس . فاذا وصلت الى وطني بسلام ، اعتزلت التجارة الاجنبية والسفار البعيدة^(٢) . والان ، بعد هذه الصورة السريعة الخاطفة التي

(١) الاصطخري ، مسالك الممالك (طبعة دي غوبه - لندن ، ١٩٢٧) ص ٩٢ - ٩٣ . راجع عن هذه المنتوجات ما يذكره المقدسي عن «التجارات» (٢) بتصرف عن الترجمة المقتبسة في كتاب J. W. Thompson

رسمناها للتجارة الاسلامية لا بد ان نتساءل عن اثر هذه الحركة التجارية في حضارة الشرق والغرب وفي ذلك التفاعل القوي بينهما الذي كان محور التمدن في القرون الوسطى

ان اثر التجارة الاسلامية في الحضارة الشرقية والغربية متعدد الوجوه متشعب النواحي ، ولا يمكننا في هذا المقام ان نلم الا ببعض هذه الوجوه والنواحي البارزة . فنجد اولاً ان الحركة التجارية الاسلامية ، التي بلغت من المدى والاتساع ما وصفنا ، كان لها اثر كبير في تقدم فن الملاحة وفي اكتشاف مجاهل البحر والبر . فاولئك التجار الذين كانوا يجازفون بمراكبهم وقوافلهم في البحور المجهولة والبراري النائية يحتلون المركز الاول بين رحالي العالم ورواده ، والعالم مدين لهم بالمعلومات الجغرافية التي جمعوها في رحلاتهم البعيدة ، ولعل من ابرز الادلة على ذلك ما يروى عن الرحالة الپورتغالي Vasco de Gama الذي دار حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ انه لما وصل الى شواطئ افريقيا الشرقية كان الذي دلّه الى طريق الهند بحار مسلم يدعى احمد ابن ماجد . ومما يظهر ايضاً سيطرة المسلمين على البحار ويؤيد فضلهم في تكوين الملاحة الحديثة تلك الكلمات العربية العديدة التي نجدها بين المصطلحات البحرية: ف admiral مأخوذة عن امير البحر، و Cable عن حبل ، و barge عن بارجة، و avarie (eng., average) عن العواريات و chaloupe (eng., shallow) و barque عن بركة الى غير ذلك^(١) وكافي البحر كذلك في البر: فان الغرب ظل الى اوائل نهضته الحديثة يعتمد على جغرافي المسلمين ورحالهم وتجارهم لمعرفة الاقطار النائية كواسط اسيا ومجاهل افريقيا الوسطى والشرقية وللتجارة الاسلامية اثر لا يستهان به في الادب العربي . من منال لم يقرأ رحلات السندباد البحري التي ادجمها الكتبة في قصص « الف ليلة وليلة » ؟ اننا اذا نزعنا عن هذه الاخبار ما حجب حولها من الانسجة الخرافية وجدنا نواتها تتفق تماماً مع اخبار الرحلات التي دونتها لنا بعض بحار المسلمين ورحالهم كالناجر سليمان والحسن ابي زيد والمسهودي . فهذه القصص وامثالها التي تحتل مركزاً هاماً في الادب العربي قد بنيت على اساس الرحلات البرية والبحرية التي كان يقوم بها التجار المسلمون واثر ثالث للتجارة الاسلامية هو في نشر الدين الاسلامي ودعوة شعوب الارض الى اعتناقه .

فالام الاسلامية لم تعرف ، حتى اوائل العصر الحديث جمعيات تبشيرية منظمة غايتها نشر الدين الاسلامي وتعميمه ، وانما ظل هذا الواجب ملقى على عاتق كل مسلم اينما كان في الارض يتبع في اتمامه قول القرآن الكريم : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » (١٦ ، ١٢٦) . فاذا راجعنا تاريخ انتشار الديانة الاسلامية وجدنا في صفوف العاملين في هذا الحقل رجالاً ونساءً من مختلف طبقات المجتمع من الملك العظيم الى العامل الحقير ، وشاهدنا التاجر في مقدمة هؤلاء العاملين يبشر بوحداية الله العظيم ورسالة النبي الكريم بين الشعوب الوثنية النائية التي ينزل

(١) راجع مقالة "Geography" and "Commerce" في كتاب Kramers, The Legacy of Islam ص ٩٧ و Lamnens, Mots français dérivés de l'Arabe حيث اورد المؤلف هذه الكلمات بحسب ترتيبها الابجدي

في بلادها ويؤثر فيها بوعه وتقواه . ومما حبَّب التجارة الى المسلمين انها كانت مهنة نبهم في فتوته وشبابه ، وقد جاء عنه في الحديث الشريف : « عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق »

وقد وضع المستشرق الانكليزي الشهير Sir T. W. Arnold مؤلفاً خاصاً في تاريخ نشر الدين الاسلامي The Preaching of Islam فصل به بأوضح اسلوب ما كان للتاجر المسلم من الشأن الكبير في نشر ديانته بين شعوب افريقية الغربية والوسطى والشرقية وامم الهند والجزر الشرقية وآسيا الوسطى حتى حدود سيبيريا لكن ابرز اثر للتجارة الاسلامية هو فيما نقلته من ثقافة البلدان الاسلامية والهند والصين الى الغرب المسيحي وما كان لذلك من الفضل في تكوين الحضارة الحديثة . والثقافة — كما تعلمون — تتبع دائماً طريق التجارة وتنتقل مع المصنوعات والمنتجات المادية وقد كان للتجارة في كل قطر وزمن اثر عظيم في نقل بذور الحضارة وشق طريق المدنية من الشعوب الراقية الى التي دونها رقيّاً وثقافة . وهنا ايضاً يمكننا ان نستدل على ذلك بالكلمات العديدة التي تسربت من العربية الى اللغات الاجنبية ، ويطول بنا المقام لو حاولنا ان نعدد اسماء المنتجات والمصنوعات المختلفة التي انتقلت الى اللغات الغربية والتي تظهر باجلى بيان الدين المادي والثقافي الذي تدين به شعوب الغرب الحديثة للتجارة الاسلامية التي عرفتها بمصنوعات الشرق وحضارته . وحسي ان اذكر بعض التعابير التجارية التي تدل ، بانتقالها الى لغات الغرب ، على سيطرة التجارة الاسلامية في القرون الوسطى . *tarif* من التعريفة ، و *risque* قد تكون من الرزق و *calibre* من القالب ، و *tare* من الطرحة ، و *magasine* من المخازن و *cheque* من الصك و *douane* من الديوان ^(١) . وفي الاساطير اليونانية التي خلدها لنا عبقرية هوميروس آلهة جبارة تجوب السماء بثلاث خطوات . ولقد تجرأت هذه اليلة على ان استعير اجنحة هذه الآلهة واطير بكم فوق ميدان التاريخ الاسلامي القسيح ، مشيراً الى مجرى واسع غزير كان يروي الحياة الاسلامية ويمتد منها الى البلدان الدانية والنائية فيبعث فيها القوة والفساط . فاذا كنت قد اسرعت في هذا الطيران ولم اتوقف بكم عند كل منظر من المناظر الخلابة ، فلأن المجال طويل والسفر بعيد ، وحسي ان اكون لفت أنظاركم الى هذه الباحية المجهولة واثرت اهتمامكم فيها

لقد فتح المسلمون العالم فتحاً مزدوجاً : فتحاً سياسياً تحت راية الحرب وبطل السيف والرمح وفتحاً تجارياً اقتصادياً على متن قوافل البر وسفن البحر . وقد نشأت حول الفتح الاول ضجة عظيمة استوقفت انظار الناس ، ولكنني ارى في هذا الفتح الثاني — وهو جهاد السلم — من اعمال الجد والشجاعة والاقدام ما قد يفوق جهاد الحرب . وإن الالهة التاريخ التي اهتمت المؤرخين منذ اقدم العصور الى الآن لن تلبث ان تهب لتنصف الجميع فاذا بعثت روحها في مؤرخي المستقبل وألهمتهم لكتابة التاريخ الاسلامي فصوروا قافلة المسلمين العظمى التي خرجت من الجزيرة العربية وسادت في البلاد وضعوا بجانب الفاتح الباسل ، والعالم الحكيم ، والاداري الحازم التاجر المقدم الذي كان يرود المجاهل ويحبب الفياقي ، والذي ضرب بسهم كبير في نشر الاسلام وفي احياء العلم والمدنية والسلام

مطاط من غاز

المطاط الصناعي وابداع الكيمياء التركيبية

لو كان كولمبوس متصفاً ببعد النظر الذي يصفه به مؤرخو سيرته ، لمات عن اعظم ثروة جمعها رجل فرد في عصره . لان كولمبوس كان اول من نقل الى اوربا ، عند عودته الثانية من جزائر الهند الغربية ، قصصاً ونوادير عن شجرة غريبة تفرز لبناً عند جرح لحائها . فلم يدرك كولمبوس حينئذ ولا ادرك الرحالون الى العالم الجديد بعده ، عند ما رأوا اولاد الهنود الحمر يلعبون بكرات سود تقفز عند اصطدامها في الارض كأن بها شيطاناً ، ان هذه الكرات مصنوعة من ذلك اللين ، وان صمغ شجرة الهيڤيا Hevea ، يعدل على الاقل في خطره ، خطر اكتشاف طريق جديدة الى الهند . والواقع ان احداً لم يدرك قيمة هذا الصمغ ، حتى كانت سنة ١٧٧٠ ، اذ رآه بريستي مكتشف الاكسجين ، في حالته الجامدة ، فاستعمله لمحو آثار قلم الرصاص على صفحة من الورق ، فدماه (الماحية الهندية) . ولا يزال يعرف في اللغة الانكليزية باسم rubber اي ماحية

في الطبيعة ناموس يسيطر على الاحياء ، والجوامد ، تستطيع ان تفرغه في قوالب مختلفة ، فقد تقول ان الانحدار من قمة الالكمة سهل وتوقاها صعب ، او قد تقول كما قال سبنسر انه انحلال الاجسام المتباينة المتناسقة الى جسم لا تباين فيه ولا تناسق . او قد تسميه مع عالم الطبيعة الحديثة باسم « ناموس الترمودينامكس الثاني » . ومؤداه ان الهدم في الطبيعة والاجتماع سهل ، ولكن التعمير صعب ، يصح هذا على الاطفال ولعبهم ، والبلاشفة وحضارتهم ، والكياوي وموادهم . فكل في عرف الكيمياء سهل ولكن التركيب صعب ان لم يكن متعذراً في بعض الاحيان وهذا يفسر لك عجز الكياويين عن تركيب المطاط مع انهم عرفوا كيف يحلوه من نحو ستين سنة . فخله عمل سهل وليس عليك الا ان تتناول قليلاً من المطاط الخام وتضعه في حوالة ونحميه على النار . فاذا استطعت ان تراقب ما يتم ، على الرغم من الرائحة القوية الكريهة ، رأيت المطاط ينحل ، وسائلاً شبيهاً بالبنزين يتكون فوقه . هذا السائل « البنزيني » الشكل يدعى (الايزوبرين) . احفظ هذه السكامة ولا تنسها

فالمطاط وتركيبه الكيميائي (كربون ٦ ايدروجين ١٦) يتحول بالاحماء الى (٢ كربون ٥ ايدروجين ٨) اي ان جزيئاً من المطاط يتحول الى جزيئين من سائل الايزوبرين. ومن السهل ان تكتب المعادلة الكيميائية في الاتجاه المقابل اي ان جزيئين من الايزوبرين يعدلان جزيئاً من المطاط. افلا يستطيع احد العلماء ان يكشف السبيل الى تحويل هذين الجزيئين الى ذاك ؟

ان تحويلهما مستطاع ، بل ان احد العلماء الانكليز كان قد حوّلها اتفاقاً . ففي مايو ١٨٩٢ قرأ الاستاذ تيلدن Tilden رسالة امام جمعية برمنغهام الفلسفية ، قال فيها انه دهش قبل بضعة اسابيع عندما رأى سائل الايزوبرين المستخرج من مادة التربينتين وقد تغيرت حالته فتحول السائل الصافي الشفاف الذي لا لون له الى شراب كثيف تطفو فيه قطع كبيرة صفر فلما فحصها وجدها قطعاً من المطاط فلما حاول الاستاذ تيلدن ان يعيد هذا التحويل ، عجز عنه ، ولا تزال مشكلة تحويل الايزوبرين الى مطاط تحويلاً تتوافر فيه الشروط الصناعية التجارية ، مشكلة من اكبر المشكلات التي يواجهها علم الكيمياء الصناعية

وقد كان هذا العجز مما يبعث على الغيظ . لان ام العالم كانت تنفق نحو ٤٠٠ مليون جنيه كل سنة على المطاط ، ولا ريب في ان جانباً كبيراً من هذا المال كان مصيره الى جيب الكيماوي الذي يبدع طريقة لتكوين المطاط وخزائن الشركة التي تطبقها . لذلك كان التنافس بين العلماء ، في سبيل سبق الى هذا الهدف ، عنيفاً ، بل بدا في مظهر زحام دولي بين انكلترا والمانيا اولاً

كان الانكليز قد سبقوا الالمان الى ابتداء طريقة لصنع الاصباغ الكيميائية ، ولكن اهلهم الطريقة وصاحبها ، ساعد الالمان على انتزاع التجارة العظيمة التي بنيت عليها من ايديهم . فجمع الاستاذ بركن - محفوزاً بذكرى والده السر وليم مستنبط الصبغ الصناعي الاول وكيف خذله الانكليز - حوله في جامعة منشستر ، طائفة من علماء الكيمياء للبحث في مشكلة المطاط وصنعه بالتركيب الكيميائي

اي فاعل كيميائي ، يستطيع ان يقلب ذلك التفاعل فيدمج جزيئين من الايزوبرين منشئاً منهما جزيئاً من المطاط ؟

ففي يوليو سنة ١٩١٠ ، وضع الدكتور ماتيوز اتفاقاً ، مقدراً من الايزوبرين على قطعة من الصوديوم المعدني لتجفيفه ، وهي طريقة مألوفة في معامل الكيمياء تستعمل لاستلاب آخر قطرات الماء من مركب ما . وفي سبتمبر وجد ان الحويصلة المحتوية على الايزوبرين اصبحت تحتوي على كتلة جامدة من المطاط ، بدلاً من السائل الطيار الذي لا لون له

ولو ان هذا الاكتشاف تم قبل عشرين سنة ، لكان عديم الفائدة ، لان الصوديوم كان عنصراً نادراً خالي الثمن حينئذ . ولكن ابتداء الطريقة الكهربائية لتحضيره جعله كثيراً رخيص الثمن . فيجب ان لا تقف ندرة الصوديوم حائلاً دون استعمال طريقة ماتيوز في تركيب المطاط من الايزوبرين

الآن وجه الصعوبة في تحقيق هذا الحلم الاخذ كان في غلاء ثمن الايزوبرين . اذ لا يكفي في الكيمياء الصناعية ان تثبت ان تفاعلاً ما مستطاع من الناحية العلمية ، بل يجب ان تتوافر فيه الشروط التي تجعله صالحاً كذلك من الناحية التجارية ، اي يجب ان يكون عملاً يدرّ ربحاً معتدلاً على القائمين به . فاذا فرضنا جدلاً ان عالمنا اكتشف طريقة لتحويل الزئبق الى ذهب ، فطريقته هذه من الناحية الصناعية لا تجدي نفعا الا اذا كان ما ينفق على تحضير سنتغرام واحد من الذهب اقل من قيمة السنتغرام نفسه .

كان الايزوبرين يحضر من التربينتين . ولكن التربينتين قليل ويقتضي جزاً حراج الصنوبر . وماذا يكون ربحنا اذا جززنا اشجار الصنوبر بدلاً من بذلنا اشجار المطاط؟ واخيراً استقر الرأي على تحضيره من النشاء . فالنشاء رخيص الثمن ويمكن استخلاصه من البطاطس والذرة وغيرها . ولكن الكيماوي عجز عن استخلاص النشاء من هذه المصادر الا بعد ان استعان بالبكتريولوجي لان تجزئة جزيء النشاء عمل يعجز عنه الانسان ، ولا تستطيعه الا بعض الحيوانات الدنيا — الحمار — . فدعي الى منشستر عالم بيولوجي فرنسي ، يدعى فرنباخ Fernbach ، وعهد اليه في هذه الناحية من البحث ، ف قضى فيها سنة ونصف سنة ، انجز في نهايتها طريقة تمكنه من استخلاص مقدار من زيت الفوزيل من مادة نشوية . كان غرض مخبري النشاء قبلاً ان يكون مقدار زيت الفوزيل في النشاء الخمر اقل مما يمكن ان يكون لان هذا الزيت خليط من اصناف الكحول الثقيلة الوزن وهي جميعاً اكره رائحة واشد سمّاً من الكحول العادي . ولكن بعد تجارب پر كن وصحبه تبين ، كما يتبين عادة في تاريخ الصناعات العلمية ، ان النفاية ، اصبحت ذات قيمة عظيمة . ولذلك اتجه جهد الاستاذ فرنباخ الى استنباط طريقة يكثر بها مقدار زيت الفوزيل عند تخمير النشاء لكي يصنع منه الايزوبرين باستعمال غاز الكلور

وفي خلال عناية الانكليز والاستاذ فرنباخ الفرنسي ، بصنع المطاط على الطريقة المتقدمة كان علماء الالمان معينين كذلك بالموضوع نفسه ، واجتازوا فيه خطوة كبيرة نحو تحقيق الغرض . ففي سنة ١٩٠٥ اكتشف الاستاذ كارل هريز Karl Harries في برلين تركيب جزيء المطاط . فكان اكتشافه هذا باعثاً قوياً على تجديد العناية بالموضوع من ناحيته الصناعية العلمية . وكذلك اتجهت اليه عناية مصانع باير المشهورة سنة ١٩٠٩ واستنبت الدكتور فرتز هوفن Fritz Hoffman اسلوباً لتحويل الايزوبرين الى مطاط باستعمال الحرارة . وفي سنة ١٩١٠ اكتشف الاستاذ هريز طريقة استعمال الصوديوم لتحويل الايزوبرين الى مطاط ، وهي الطريقة التي كان ماتيوز الانكليزي قد اكتشفها في منشستر . ولكنه لما ذهب الى ادارة البانتنة لتسجيله وجد ان الانكليزي قد سبقه الى ذلك قبل بضعة اسابيع

الا ان المطاط الصناعي ، لم ينجح في منافسة المطاط الطبيعي في الثمن ولا في الحلول محله عند

منع وارداته عن المانيا خلال الحرب الكبرى ، لما كانت مسألة الثمن لا شأن كبير لها في نظر الحكومة الالمانية وحاجتها الى مادة حيوية كالمطاط لا تقاس بالمال . فقد قبضت السلطات الاميركية على ثلاثة بحارة من الدنمارك يحاولون ان يهربوا المطاط الخاص باطباء الاسنان الى المانيا فاعترفوا بانهم كانوا يبيعون الرطل منه بما قيمته ٧٣ ريالاً ، وكان الالمان يستعملونه لاحكام وصل الاجزاء في الكلمات الواقية من الغاز . وهذا مثال واحد يدل على ان مقدار ما صنع من المطاط الصناعي في المانيا خلال الحرب بطريقة هوفن او طريقة هرزن لم يكن كبيراً

اما الانكليز فانفقوا نحو اربعين الف جنيه على طريقة بركن مدة سنتين ولكنهم لم يبلغوا فيها شأواً بعيداً . الا ان حاجتهم الى المطاط لم تكن ماسة لان مصادر المطاط الطبيعي كانت تحت سيطرتهم فاذا كان الالمان قد عجزوا في خلال الحرب عن صنع المطاط بطريقة التركيب الكيماوي ، وحاجتهم اليه اشد ما تكون ، ومسألة الثمن ليست بذاك بال ، فالراجح انه لا يحتمل منافسة المطاط الصناعي لمطاط الطبيعي في ابان السلم ، الا اذا اكتشفت طريقة جديدة ، اسهل من الطرق التي تقدم ذكرها واذن مشكلة المطاط الصناعي قد حلت من الوجهة العلمية ، ولكنها لم تحل من الوجهة الصناعية الا . . . ١

ونقول . . . الا . . . لاننا اطلعنا في العدد الاخير من مجلة السينتفك اميركا على مقال لعالم اميركي يدعى الاب نيولند (Nieuwland) فيه وصف لطريقة استنبطها لصنع ضرب من المطاط ، يصلح لما لا يصلح له المطاط الطبيعي مع انه يفوقه ثمناً . وهذا المطاط الصناعي الجديد يدعى «دوپرين» Duprene

يقول الكاتب ان صناعة «الدوپرين» نشأت من بحث نظري في تفاعلات غاز الاسيتيلين . ذلك انه لاحظ سنة ١٩٠٦ ان تفاعلاً كيميائياً يحدث عندما يمر غاز الاسيتيلين في كلوريد Chloride النحاس وكلوريدات الفلزات القلوية . لم يكن التفاعل عنيفاً ، فلم يتولد سائل جديد ولا جامد جديد . بل كان هناك رائحة جديدة . فظن ان هناك غازاً جديداً وان هذه الرائحة رائحته

وقضيت السنوات الاربع عشرة التالية ، حتى سنة ١٩٢٠ ، في تجربة التجارب بغية زيادة التفاعل للحصول على الغاز الذي يولد هذه الرائحة ، اذا امكن ، ودراسة تركيبه وخواصه . وأخيراً وضع كلوريد الامونيا محل كلوريدات الفلزات القلوية ، فلما مر غاز الاسيتيلين في محلول كلوريد النحاس (Cuprous Chloride) وكلوريد الامونيا ، ظهر ان التفاعل اسرع جداً مما كان في المحلول القديم واستنفد المحلول مقادير كبيرة من غاز الاسيتيلين في خلال التفاعل . وكانت دهشة الاب نيولند وصحبه عظيمة عند ما رأوا زيتاً جديداً قد تولد علاوة على الغاز ذي الرائحة المعروفة

وفي سنة ١٩٢١ ظهر ان هذا الزيت، مركب جديد وان جزيئته مؤلف من اتحاد ثلاثة جزيئات من الاسيتيلين فدعي دايفينيل اسيتلين (divinylacetylene) ومن خواصه شدة فعله، ومنها ان معالجته بدايكوريد الكبريت (sulphur dichloride) تسفر عن مادة مطاطة تشبه المطاط الطبيعي من بعض الوجوه ولكنها اكثر منها ميوعة مما يحول دون استعمالها

وفي سنة ١٩٢٥ حضر الآب نيولند مؤتمر للكيمياء العضوية في مدينة روتشستر بنيويورك فحدث أعضاء المؤتمر بمحدث هذه التفاعلات الجديدة التي كشفها فاهتم بالموضوع اصحاب شركة «دوبونت ديمور» (وهي من اكبر شركات المواد المتفجرة والمفرقة والسلاح في اميركا) فاشتروا امتياز هذا الاكتشاف من الناحية التجارية. ولكن البحث اثبت ان المطاط المصنوع من هذا الزيت لا يصلح لانه لا يحتفظ بليونته الا مدة قصيرة، وكل سمي لتصحيح هذا النقص فيه افضى الى الخيبة

الا ان كياوي الشركة لم يغفلوا في الوقت نفسه دراسة ذلك الغاز الذي استُدل عليه اولاً برأئحته. فبعد بحث قليل تبينوا انه في الامكان توليد مقادير كبيرة منه وعند تحليله ثبت انه مركب من اندماج جزيئين من جزيئات الاسيتلين ودعي (مونوفينيل اسيتلين)

وقد بلغ علماء هذه الشركة من سيطرتهم على التفاعل الكيميائي الذي يولد الزيت والغاز المذكورين انهم يستطيعون اذا شاءوا ان يقللوا من توليد الزيت ويزيدوا من توليد الغاز. وهذا من محاسن الصدف او من بدائع الاستنباط، لان الغاز دون الزيت يصلح لصنع المطاط المعروف باسم دوبرين

واذ كان علماء شركة دوپونت ماضين في دراسة الغاز تبين لهم انه يتفاعل بسهولة مع كلوريد الايدروجين اي الحامض الايدروكلوريك، فيتولد سائل طيار (اسمه كلوروبرين او كلوروبوتادين) وان جزيئات هذا السائل تتحد بعضها ببعض، فتزداد كثافة السائل ثم يصبح مادة مطاطة، يمكن تقسيته بالاحماء فتصبح مطاطاً صناعياً جيداً — وهذا المطاط الجديد هو الدوبرين Duprene

ان نفقة تحضير الدوبرين الآن تجعله اغلى من المطاط الطبيعي. ولكنه يصلح لوجوه من الاستعمال لا يصلح لها المطاط الطبيعي فهو شديد المقاومة للغازولين والكيروسين والزيوت والاوزون والهواء والحوامض، فلا بد ان يفتح استعماله سبلاً جديدة في صناعة المطاط. وهذه صناعة يمكن ان تترعرع في ابان السلم ثم تشجع ويوسع نطاقها في ابان الحرب في البلدان التي تحشى انقطاع الوارد من المطاط الطبيعي اليها. وجميع المواد الاساسية التي يحتاج اليها كوك Coke وجير لتوليد الاسيتلين وملح الطعام لتوليد الحامض الايدروكلوريك

فالكيمياء خلقت صناعة جديدة ومهدت لاميركا — ولمن يتبعها — سبيلاً جديداً للاستغناء عن بعض المصادر الطبيعية التي خارج بلادها

الدوامة الكونية

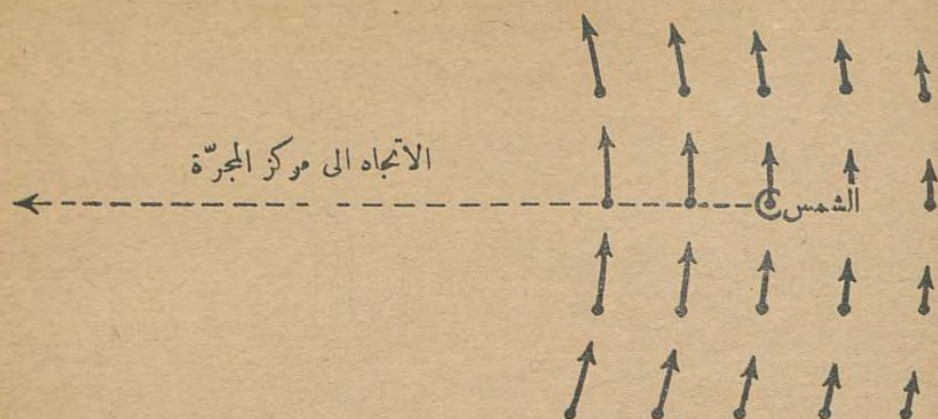
الدليل على ان المجرة تدور كمجلة كبيرة

لعل اثبات دوران المجرة اقوم دليل على وحدة الكون النجمي . وفكرة دوران المجرة ليست بالفكرة الجديدة . فقد سلم بناء العوالم في الانظمة الكونية التي ابتدعوها بان الدوران يشمل المجرات كما يشمل الذرات . ولكن هذا الرأي النظري ، من حيث تطبيقه على المجرة لم يفرغ في قالب علمي الا سنة ١٩٢٦ ولم يعم الدليل التام على صحته الا سنة ١٩٣٣

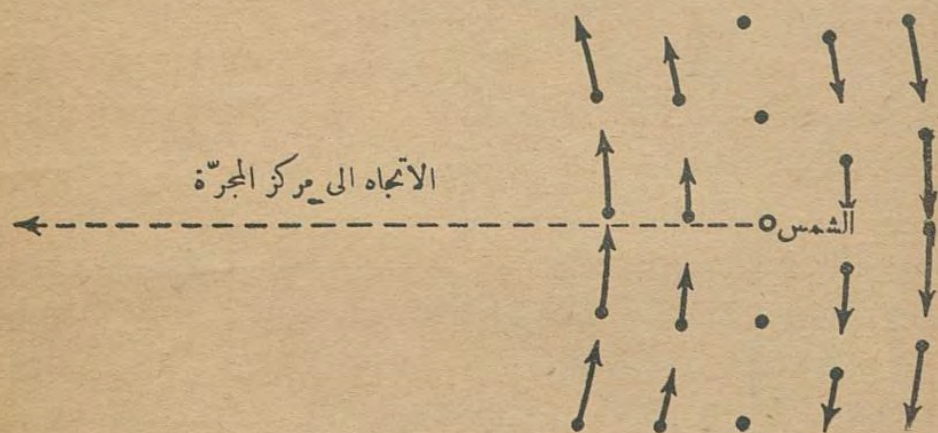
ففي سنة ١٩٢٦ قدم الفلكي السويدي لنديبلاد Lindblad رسالة الى ا카데미ة العلوم السويدية ، بسط فيها نظرية حاول ان يعلل فيها بعض اوصاف الحركة النجمية ، بفرضه انها نتائج لدوران المجرة . وبعد بضعة اشهر ، وصف اورت Oort - وهو فلكي في مرصد ليدن لا يتجاوز السابعة والعشرين من العمر - وسائل الرصد التي يمكن الاعتماد عليها لامتحان نظرية لنديبلاد وشرع في تطبيقها . وفي سنة ١٩٢٧ شرع الفلكي بلاسكت Plaskett - وهو احد علماء مرصد فكتوريا بولاية كولومبيا البريطانية بكندا - يطبق وسائل اورت على النجوم السحابة التي سبق له رصدها في مرصد فكتوريا ثم توسع سنة ١٩٣٣ في تطبيقها على مئات من النجوم الاخرى فأحدث صورة رسمها العلم لدوران المجرة ، قائمة على المباحث التي اتىها هؤلاء العلماء الثلاثة ، اي لنديبلاد السويدي واورت الهولندي وبلاسكت الكندي !

ولكن . . . ولكن اذا صح القول بان المجرة قاطبة تدور كمجلة ، فكيف يمكن ان يكون فيها تياران من النجوم يسيران في اتجاهين متقابلين ، وهما التياران اللذان اكتشفهما العلامة كابتيين Kapteyn سنة ١٩٠٤ ؟ ثم ان سترومبيرج Stromberg اكتشف سنة ١٩٢٤ ان النجوم السريعة - اي النجوم التي تزيد سرعتها على ٥٠ ميلاً في الثانية - متجهة جميعاً الى نصف واحد من القبة الفلكية دون الآخر وان حركتها عامودية تقريباً على مركز المجرة في كوكبة الراعي فكيف يتفق كل هذا ودوران المجرة ؟ وكيف يمكن تفسيره ؟

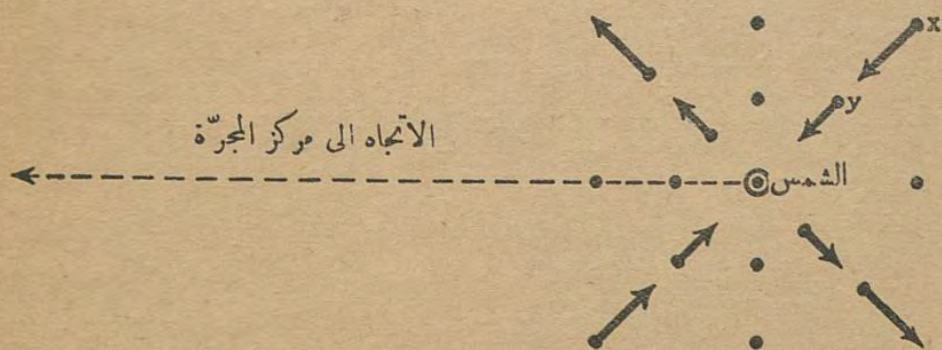
لنفرض ان دوران المجرة حقيقة واقعة . فكيف يكون دوران النجوم في هذه الحالة ؟ كل ذلك يتوقف على توزيعها في الفضاء . فاذا كانت موزعة في المجرة توزيعاً متساوياً اي اذا كانت ابعاد بعضها عن بعض متساوية ، فتأثير الجذب الى المركز ، يختلف بالنسبة الى بعدها عن المركز . وفي



الرسم الاول



الرسم الثاني



الرسم الثالث

هذه الحالة تدور المجرة كأنها عجلة ، متماسكة الاجزاء اي انها تدور كأنها قطعة واحدة ولكن النجوم غير موزعة توزيعاً متساوياً في قبة الفلك ، بل هي اكثف تجمهرأ قرب المركز منها عند الاطراف ، فقوة الجذب لا يمكن ان تعتمد على ابعاد النجوم فقط بل على مربع الابعاد وفي هذه الحالة تكون النجوم القريبة من المركز اسرع دوراناً من البعيدة عنه . فأقربها اليه أسرعها . وأبعدها عنه أبطؤها . ولنا على ذلك مثال في النظام الشمسي . فعطارد وهو اقرب السيارات الى الشمس سرعته ٢٩ ميلاً في الثانية . وتليه الزهرة وسرعته ٢١ ميلاً في الثانية . فالارض وسرعته ١٨ ميلاً في الثانية وهكذا الى بلوطون وسرعته ميلان في الثانية . وهناك مثال آخر في النظام الشمسي نفسه وهو حلقات زحل فالدقائق المنتظمة في هذه الحلقات اسرع دوراناً في الحلقة الداخلية منها في الحلقة الخارجية

والمجرة مؤلفة من ملايين النجوم ، بل ان عددها اكبر من عدد الدقائق التي تتألف منها حلقات زحل . ففي هذه الحالة ، ألا يكون من المعقول ان يفرض ان النجوم المتجمعة حول المركز ، تدور حوله بسرعات مختلفة ، في اتجاهها الى كوكبة الراعي ؟ وقد يمكن تبين ذلك في الرسم الاول ، مع ان النسبة في الابعاد والسرعة غير محفوظة لتعذر ذلك على صفحات مجلة عند التمثيل الكوني ففيه يرى القارئ ان السهام في الخط المتوسط تمثل سرعة الشمس . وهي سرعة متوسطة . فالنجوم التي اقرب من الشمس الى مركز المجرة اسرع منها ولذلك يرى السهام التي تمثل السرعة اطول من السهام التي تمثل سرعة الشمس . اما النجوم التي تفوق الشمس في بعدها عن مركز المجرة فاصغر من سهام الشمس للدلالة على ان سرعتها اقل

هذه هي حركة النجوم كما تبدو لمراقب ينظر الى المجرة من نقطة في الكون خارجها . ولكننا نحن على سيار يدور حول شمس ، هي نفسها احدى شموس المجرة . فلا نستطيع ان نرى هذه الحركة البسيطة . وهذا يعني ان جميع النجوم التي اقرب منا الى مركز المجرة اسرع منا دوراناً حوله ، وهي لذلك تفوتنا في مسارها الكوني ، واما النجوم التي ابعد منا عنه فأبطأ منا حركة ، ولذلك تتأخر عنا في مسارها الكوني ، فتبدو كأنها تتحرك في اتجاه مناقض لاتجاه حركتها الحقيقية ويمكن التمثيل على ذلك بالرسم الثاني

فهذا وهم بصري ، من قبيل الوهم البصري الذي يصيب رجلاً يطل من قطار سريع على قطار آخر بطيء السير ولكنه ماضٍ في اتجاه القطار الاول . فان المطل من نافذة القطار الاول يتوهم ان القطار الثاني يرجع الى الوراء

والواقع ان حركة اي نجم من النجوم هي خليط حركتين — عبور السماء وهي الحركة الحقيقية . وحركة التقدم او التبعاد بالقياس الى المراقب على سطح الارض وتعرف بالحركة الشعاعية Radial Velocity ولما كانت النجوم اجساماً بعيدة عنا بعداً عظيماً فحركاتها الحقيقية لا يمكن تبينها خلال عشرات

السنين التي رصدت فيها رسداً دقيقاً. وإذا فنحن نعلق املنا على معرفة حركتها التي تبدو فيها أحياناً مقربة منا أو مبتعدة عنا

ومما يبعث على الاغتياب ان هذه حركة يمكن قياسها بصرف النظر عن بعد النجم عن الارض . وانما يشترط امكان الحصول على طيف واضح لضوء النجم الذي يراد قياس حركته . فاذا كان النجم مقرباً منا اتجه الحيود في خطوط الطيف الى اللون البنفسجي . واذا كان مبتعداً عنا كان الاتجاه الى اللون الاحمر . وبقياس مقدار الحيود ، تعرف سرعة حركة النجم . وعلى ذلك يبدو لمراقب على الارض ان النجوم طائفتان او تياران ، تيار يتجه الى الارض وتيار يبتعد عنها . ولكن هناك طائفة ثالثة من النجوم يبدو انها واقفة في مكانها لا حراك فيها . وهذا يفسر بأنها اما ان تكون نجومها واقعة على الخط الذي يصل بين الشمس وقلب المجرة واما ان تكون نجومها موقعة عمودي على هذا الخط حيث تقطع الشمس . والرسم الثالث يوضح هذه الاقوال

فبعدما اتمّ لندبلاد وضع نظريته وضع اورت لها القواعد والعلاقات الرياضية ، وعهد الى امتحان النظرية بالرصد . فالنظرية مثلاً تقتضي ان يكون بعد النجم عنا ٢٠٠ سنة ضوئية ، حتى يحدث دورانه تغيراً في حركته الشعاعية مقداره كيلو متر في الثانية . ولكن ادوات الرصد لا تستطيع ان تبين تغيراً يسيراً كهذا . فقرر اورت ان يحدّد بحته في النجوم التي بعدها الف سنة ضوئية على الاقل ، حتى يكون مقدار التغير في حركتها نحو خمسة كيلو مترات في الثانية . فوجد نحو ٣٠٠ نجم يسهل رصدها من هذا القبيل فرصدها ، فأسفر الرصد عن النتائج التي تقتضيها النظرية ، اي وجد دورانها يتفق ومقتضيات نظرية لندبلاد

هذا اتفاق يستوقف النظر بين الحقيقة المشاهدة والنظرية العلمية . ولكن الحذر العلمي يقتضي دراسة عدد اكبر من النجوم قبل البت في صحة النظرية . ومن حسن الحظ ان العالم الكندي بلاسكت كان قد عني قبل بضعة سنوات برصد طائفة من هذه النجوم لاغراض اخرى ، ودون في خلال رصدها لها سرعة حركتها الشعاعية . وكان عدد هذه النجوم ٥٥٣ نجماً وقد زادها بلاسكت ومعاونة بيرس Pearce الى ٨٤٩ نجماً سنة ١٩٣٣

فعندما نُظر في حركة هذه النجوم من ناحية نظرية لندبلاد ومعادلات اورت ، اتضح ان كل ما تتطلبه النظرية محقق في ما دون عنها . فجاءت دليلاً قاطعاً على دوران المجرة بحسب نظرية لندبلاد . ودوران المجرة الآن من اكثر الحقائق الفلكية ثبوتاً

الفيلسوف لوك

واثره في تطوّر فن التربية

لحسن كامل

مدرسة القبة الثانوية الاميرية

لوك قبل كل شيء عالم نفساني واستاذ ضليع من فن تحليل اصل الآراء وعناصر العقل . وهو على رأس تلك المدرسة التي تضم تحت علمها كوندتيك في فرنسا . وهربار في المانيا وهيوم ومعظم الفلاسفة المحدثين في انكلترا . ولكن المرحلة بين علم النفس وعلم التربية سهلة الاجتياز ولذلك لم يبذل لوك مجهوداً ضخماً ليرز في التربية بعد ان استوت له مكانته كفيلسوف كبير ﴿ بعض الآراء في التربية (١٦٩٣) ﴾ — هذا هو عنوان متواضع لكتاب نشره لوك في نهاية حياته واودعه ثمرة تجربته الطويلة . فقد كان طالباً نابغاً في كلية وستمنستر وشعر منذ نعومة اظفاره كما شعر ديكارت في كلية فليش — باشمئزاز من التعليم النموذجي الشكلي البحت . وكان مثلاً يحتذى للطلبة في جامعة اكسفورد . وفي عام ١٦٥٦ فاز بشهادة البكالوريا في الفنون وعين محاضراً في اللغة اليونانية فدرساً للبلاغة والفلسفة الخلقية

ويرجع الفضل في تكوين اغلب آرائه في التربية الى اقامته في اكسفورد . وقد دأب على تطبيق هذه الآراء وتمحيصها مستعيناً في ذلك بملاحظة الاطفال في أسر اصدقائه عن كذب حتى تمكن بدراسته اياهم وتبعه تطور امزجتهم ونفوسهم من وضع نظرياته في التربية تلك النظريات المطبوعة باثار تجربته العملية . فما لا ريب فيه ان كتابه « آراء في التربية » هو ثمرة اشتراكه مع اصدقائه في تربية ابنائهم . وقد فاز هذا المؤلف بشهرة طالية . وكان لما عرض فيه من نظريات اعماق الاثر فيما كتب روسو وهيلقيتيوس في موضوع التربية . وقد قال عنه احد اساتذة علم التربية الفرنسيين في اواخر القرن الثامن عشر « لو اعيد طبع هذا المؤلف الآن لاحرز نجاحاً عظيماً جداً »

﴿ تحليل كتاب « آراء في التربية » ﴾ — هذا الكتاب جدير بأن يقرأ من اوله لاخره . فقد درس فيه لوك جميع مسائل التربية دراسة عميقة في بعضها وسطحية في البعض الآخر . ولذلك فمن العسير ان يستطيع المرء ان يقوم — في مقال قصير — بتحليل وافٍ لاجزاء هذا السفر الجليل جميعاً . ولكننا سنحاول جهد الطاقة ان نستخلص منه اهم مبادئه الاساسية وهي : أ — مبدأ

(١) يعني الاستاذ حسن كامل بوضع كتاب في تاريخ المذاهب المختلفة في التربية وتطورها ، وهذا المقال منترج من فصل في « فلاسفة القرن السابع عشر واثرهم في تطور فن التربية »

التشفي في التربية الجسدية : ٢ - مبدأ الفائدة العملية في التربية الفكرية : ٣ - اما فيما يتعلق بالتربية الخلقية فلوك ينادي بالشرف كبداً يعتز به قاعدة حكم الانسان لنفسه بنفسه

﴿ التربية البدنية ﴾ - مثل التربية الأعلى في نظر لوك هو مبدأ « العقل السليم في الجسم السليم » . وقد كان لوك طبيباً ولذلك فهو اخصائي في مسائل تربية الجسم . ولكن كثيراً من المربين يعتقدون انه اساء الى آرائه بمبالغته في المطالبة بحرمان الجسد حرماناً متطرفاً . فهو يقول ان نظريته تلخص في عدد قليل من القواعد سهلة التطبيق وهي : كثير من الهواء . والتمرينات . والنوم . ونظام في الأكل بسيط يجب ان نستبعد منه النبيذ والمشروبات القوية . وملابس ليست كثيرة الضيق ولا شديدة التدفئة . واخيراً وبشكل خاص ينبغي ان يتعود الانسان ان يكون رأسه وقدماه باردة . وان يغسل قدميه كثيراً بالماء البارد وان يعرضهما للرطوبة

ولوك هو اول مربٍ تكلم في اسباب وانتظام عن غذاء الطفل وملابسه ونومه . وهو واضح هذا المبدأ الذي اخذه عنه روسو وهو : « فلنترك للطبيعة امر تكوين الجسم كما تريد » ولذلك فهو يشير بعدم استعمال الملابس الضيقة وبالحياة في الهواء الطلق والتعرض للشمس . وبأن يلعب الاطفال عراة الرؤوس والاقدام لا يؤثر فيهم الحر ولا البرد

اما فيما يتعلق بالتغذية فلوك يحرم على الاطفال حتى سن الرابعة السكر والنبيذ والتوابل واللحم وهو يبيح لهم التفاح والكمثرى ويمنعهم من اكل الخوخ والبرقوق والعنب . ولا يرى لوك انه من الحزم ان يحدد دائماً ساعة معينة لتناول الطعام . وهذا خطأ لا يقره عليه احد . ثم انه يطالب بأن يكون حذاء الطفل رقيقاً لدرجة تسمح للماء ان ينفذ الى قدميه اذا وضعتا فيه

والثابت ان لوك يريد معاملة الاطفال في قسوة كبيرة . وهذا غريب حقاً لو عرفنا ان لوك نفسه كان رقيق المزاج . ولعل مدام دوسو فينييه كانت اكثر منه حكمة واقرب منه الى الصواب عند ما قالت : « اذا كان ابنك قوي البنية فالتربية الخشنة هي التربية المثلث له . وان كان رقيقاً ففي محاولة جعله قوياً قتل له »

واساس فكرة لوك انه يعتقد ان الجسم يتعود كل شيء . ولا يثبت خطأ هذه الفكرة يكفي ان نسرده قصة بطرس الاكبر الذي اعتقد يوماً انه ينبغي على جنود البحرية ان يعتادوا شرب الماء المالح واصدر فعلاً امره الى الصبية الذين كانوا لا يزالون في دور التمريض ألا يشربوا الا ماء البحر . فكانت النتيجة ان ماتوا عن آخرهم . ووقفت التجربة عند هذا الحد

وعلى الرغم من ان تعاليم لوك من هذه الجهة لم تجد محبداً لها غير روسو الا انه يجب علينا الاعتراف بأنها في مجموعها اثارت إعجاب كثير من المربين لانها قائمة على فكرة الرجولة في المعاملة والقناعة ولانها تقرب الطفل من الطبيعة بقدر الامكان مستبعدة بذلك كل رخاوة وافتعال للرفة ﴿ التربية الخلقية ﴾ في اعتقاد لوك ان التربية الخلقية تفوق التعليم الحقيقي شأنًا وتأثيراً ويقول

في ذلك . ان ما يتمناه الرجل الكامل لابنه الى جانب ما يتركه له من ثروة هو اولاً : الفضيلة . ثانياً :
التبصر . ثالثاً : الاخلاق الحسنة . رابعاً : التعليم

والفضيلة والتبصر اي الصفات الخلقية والصفات العلمية هي في رأيه في المكان الاول . « اما
التعليم فهو أتفه اجزاء التربية » وهو في كتابه « آراء التربية » يكثر من التكرار والعود الى ما عرض
له من مسائل . ولكنه اكثر ما يكون الخاحاً في ضرورة تدرع الانسان بالفضيلة وتمسكه بأهدابها
وليس من شك في ان لوك - ويشبهه في ذلك هربوت سبنسر - لم يلتفت الى التأثير الخلقى
الذي يتركه نور العلم في قلب المرء وارادته . ولكنه عارض بفكرته السابقة رأي البعض القائل
بوجوب تجميل الذاكرة بالمعلومات وانماء الذكاء قبل كل شيء . فلا ريب ان اهم مسائل التربية هي تكوين
عادات خلقية طيبة وبذر بذور العواطف النبيلة وانشاء اخلاق فاضلة

﴿ الشرف مبدأ النظام الخلقى ﴾ ماذا اعد لوك من وسائل لتحقيق ما يصبو اليه من تربية
خلقية يضعها موضعها اي في المحل الاول ؟ لم يكن مبدؤه المنفعة قبل كل شيء كما نادى بذلك روسو
فيما بعد . لانه وان كان نفعياً (utilitaire) في التعليم والتربية الفكرية كما سيظهر فيما بعد فانه لم
يكن كذلك في التربية الخلقية . وكان يعارض معارضة شديدة في مبادئ الارهاب وسلطة المدرس
والآباء القائمة على الخوف من العقاب وعلى الشعور بالرعب الذي يبغضه لوك لما فيه من عبودية . وهو
لذلك ينقم على نظام العقاب . ولم يتكلم لوك عن حنان الآباء ومحبتهم لانه كان لا يعتقد بإمكان
الحصول على نتيجة كبيرة من طريق حساسية الطفل (la sensibilité de l'enfant)

ولكنه كان يريد معاملة الطفل منذ نعومة اظفاره معاملة الرجال . ناسياً بذلك ضعف طبيعة
الطفل . ولذلك تراه ينادي بتأصيل عاطفة الشرف في نفس الطفل من البدء وحسنه على الخوف من الخجل
ولعل هذا شعور نبيل اخشى ان يكون فوق مستوى مواهب الطفل . فالشرف وهي كلمة يعتبرها -
المفكرون مرادفة لكلمة الواجب - يمكن ان يكون مرشداً لضمير مراهق تم تكوينه او ما يقرب
من ذلك . ولكن أليس من غير المعقول من الناحية العملية ، ان يشعر الطفل منذ سنواته الاولى
بتقدير او باحتقار من حوله ؟ وقد قال في ذلك احد ناقدى لوك الانكليز : « اذا كان من المستطاع
ان نوحى الى الطفل بالاهتمام بسمعته . اذن لا عرفت مع لوك بأن في مقدورنا ان نكوّن الطفل كما
نريد وان نعلمه حب الفضيلة باشكالها المتباينة » . ويضيف هذا الناقد الى ذلك قوله « ولكنني اشك
في ذلك كل الشك رغم كل تأكيدات لوك »

وقال (كانت) بحق « انه لجهد ضائع ذلك الذي نبذله في التحدث الى الاطفال عن الواجب .
فهم يرونه شيئاً لو خولف لتبع مخالفته العقاب . لذلك لا يجب ان نحاول اثارة عاطفة الخجل عند
الطفل . بل يجب الانتظار حتى يصبح شاباً لان هذه العاطفة لا يمكن ان تجد لها مجالاً في نفسه
الا اذا ثبتت فكرة الشرف فيها » . ولوك يخطئ عند توهمه ان للطفل من النشاط الخلقى ما يسمح

لنا بالاعتقاد بان مجرد الشعور بالشرف يمكن ان يكون رائده . وهو يخطئ ايضاً في اعتماده على قوى
الطفل الفكرية التي يراها كافية للتباحث معه ابتداءً من اليوم الذي يتكلم فيه
ولأجل تزويد الطفل بالعادات الطيبة وتهياته للفضيلة تضع الطبيعة تحت تصرف المربي حساسية
الطفل نفسه ومنفعته ونور ذكائه . ولا يمكن إلا مع انقضاء الزمن وتقدم السن ان يصبح مبدأ
سام كالشعور بالشرف وبالواجب ، قانوناً اعلى يسيطر على ارادة الطفل ويلزمه بضرب خاص من التصرف
وخطأ لوك في طريقته في التربية الخلقية يرجع الى انه لا يريد الاستعانة بقلب الطفل ومقدرته
الكبيرة على الحب . وإلى اسرعه في معاملة الطفل ك مخلوق عاقل وتقوية مبدأ استقلال النفس عنده
ولعل من الصواب ان يقال انه ان كان من الخير ان تحترم حرية الرجل وكرامته عند الطفل فلا
ينبغي بتاتا ان ينقلب هذا الاحترام خرافة . وليس من المؤكد ان استبعاد الخوف والضغط هو من
شروط تكوين الارادة النابتة القوية

❖ استبعاد العقوبات الجسدية ❖ — لم يتوسع لوك في شرح نظريته في النظام الخلقى
(la discipline morale) . ولكنه بقدر نقص تفصيله في شرح الجزء الايجابي من نظريته
اسهب في تفصيل ما لا يجب ان نعمله لتحقيق اغراضه . وتعد الفصول التي كتبها لوك عن العقاب
الجسماني من أمتع ما كتب . وقد نقل روسو كثيراً منها . وثمة تشابه بين نظرية مونتيني في «الوداعة
القماسية» وقاعدة لوك في التربية الخلقية . فكلاهما يقول بان نظام السوط نظام استعباد يجعل
من الطفل عبداً . ولم يخرج لوك على آراء عصره إلا في نقطة واحدة وهي انه اباح استعمال السوط
في الاحوال الخطيرة ولأجل كبح جماح الطفل الثائر العنيد . ولا شك ان في هذا الرأي جرأة ممدوحة
في وقت كانت فيه المعاهد العلمية في انكلترا تعتقد انها ملزمة بأن تذيب على الجمهور وتنشر في اعلانات
الصحف ان تحریم العقاب الجسماني يعد بين مزايا التربية فيها

ومن العجيب ان نعرف ان المدرسين احتفظوا على الرغم من كل ذلك بعاداتهم القديمة في تأديب
التلاميذ بالسوط . والاغرب ان الطلبة انفسهم كانوا متمسكين به كل التمسك . فقد كتب احد الطلبة
الانكليز القدماء يقول « في عام ١٨١٨ كان لناظر مدرستنا آراء خاصة جريئة . فاراد استبدال السوط
بالغرامة المالية . ولكن الطلبة قاموا في وجه هذا الاصلاح . وذلك لان السوط كان لا يتعارض في
نظرنا وكرامة الرجال . ولكن الغرامة اهانة لا يمكن ان نحى وصاح الطلبة فلتسقط الغرامة
وليحيا السوط ! وانتصرت ثورة الطلبة وأعيد نظام السوط . وفرحنا لعودته فرحاً عظيماً . وفي صبيحة
اليوم التالي لالغاء الغرامة وجدنا عند دخولنا قاعدة الدرس غابة من الاسواط كبيرة . وقضى
المدرسون وقتهم في استعمالها بأمانة تامة »

❖ التربية الفكرية ❖ ينتمي لوك الى عائلة المربين النفعيين (pédagogues utilitaires) قليلي العدد
في ايامه . فهم لا يريدون تكوين رجال ادب وعلم بل رجالاً عمليين مسلحين للنضال في الحياة

مزودين بالمعارف التي هم في حاجة اليها لتسوية حسابهم وتسيير دفة شؤنهم المالية وارضاء مطالب حرفهم واخيراً للقيام بما عليهم كرجال ومواطنين

✽ دراسات نفعية ✽ (Etudes utilitaires) . من اهم ميزات لوك انه كافح التعليم الشكلي البحت الذي لا يفوز الانسان فيه الا بثقافة اسمية . وهو يزدرى الدراسات التي تؤدي مباشرة للاستعداد للحياة . ولكنه بالغ في نقده ومدح التعليم الواقعي (réaliste) ناسياً بذلك ان الدراسات القديمة ان لم تكن نافعة بمعنى الكلمة الحقيقي وان لم تكن تكفي لسد الحاجات العادية للمعيشة فإن لها فائدة اسمى بمعنى انها تصبح اداة جيدة في التنظيم الفكري اذا استخدمت استخداماً حسناً . ولكن لوك كان يخاطب انساناً متمصين متحذلقين يعتقدون ان دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية هي كل التعليم وغاية الغايات لا وسيلة من وسائل التعليم

ولا يجب ان نفهم ان لوك كان نفعية اعمى يرغب في استبعاد كل دراسة ليس من ورأها نفع محقق . وكل ما هنالك انه لا يريد ان يضحى في سبيل هذا النوع الاخير من الدراسة تعليماً اعظم شأناً واكبر نفعا

✽ برنامج الدراسة ✽ . يعتقد لوك انه ينبغي ان يتعلم الطفل الرسم منذ المامه بالقراءة والكتابة ولكنه يحتقر الفنون التي لم يسمح له بروده الطبيعي بفهم اثرها العميق الوديع في نفس الطفل . وهو يحبذ الرسم لما له من فائدة عملية وهو لذلك يضعه في مستوى القراءة والكتابة فاذا ألم الطفل بهذه العناصر وجب ان يمرن بلغة والديه على قراءة القصص الصغيرة وعلى الانشاء وكتابة الخطابات العائلية وما الى ذلك

ويتبع ذلك دراسة لغة اجنبية حية . وينصح لوك لمواطنيه بدراسة اللغة الفرنسية فاذا تمكن الطفل منها تعلم اللاتينية . وقد طبق ما يشبه هذا النظام في فرنسا في القرن العشرين وازيفت اليه العلوم

اما فيما يتعلق باللغة اللاتينية فلوك يريد ان يتعلمها الطفل بواسطة الاستماع والمحادثة اذا امكن وجود استاذ لتعليمها فاذا كان ذلك مستحيلاً فبالقراءة . وينصح بالافلال من قواعد النحو والصرف بقدر المستطاع (وهذا من آخر ما وصل اليه علماء التربية في تعليم اللغات في أيامنا هذه) والغناء المحفوظات وموضوعات الانشاء اللاتينية نظماً كانت او نثراً . ويحبذ التذكير في قراءة نصوص لاتينية سهلة . فهو لا يريد ان يتقن الطفل الكتابة باللغة اللاتينية بل يقول بان الغرض من دراسة هذه اللغة هو امكان فهم المؤلفين الذين كتبوا بها . ولكن المشايخين للقصائد الشعرية والخطب اللاتينية لم يسكتوا على احتجاج لوك على طريقتهم ومضوا يعذبون الطفل بارغامه على الكتابة بلغة لا يجيدها وفي موضوعات يكاد يجهلها . اما اللغة اليونانية فلوك يريد استبعادها تماماً ويقول انه يعرف تماماً ما لهذه اللغة من جمال ويعترف انها مصدر التحف الفنية التي تفخر بها علومنا وآدابنا

ولكنه يريد ان يقصر دراستها على المطلعين والادباء والعلماء الاختصاصيين وينصح بالغائها من التعليم الثانوي الذي يجب ان يكون مدرسة الحياة

فاذا خفف نظام الدراسات القديمة اتسع المجال لدراسات ذات فائدة عملية مثل دراسة الجغرافيا التي يضعها لوك في المكان الاول لان فيها مرانة جيدة للذاكرة والنظر . والحساب لانه ذو فائدة كبيرة في جميع اعمال الحياة حتى انه لا يكاد يوجد عمل لا يلجىء فيه للاعمال الحسابية . وما يسميه هو علم الفلك وهو في الواقع دراسة مبدئية لسير الكواكب . واجزاء الهندسة اللازمة لرجل الاعمال « والتاريخ » وهو « اكثر الدراسات لذة وابعدها أثراً في تثقيف العقل » وعلم الاخلاق والقانون والتشريع العادي كثير الاستعمال والفلسفة الطبيعية اي العلوم الطبيعية واخيراً حرفة يدوية ومسك الدفاتر

دراسات جذابة * ولما كان لوك نفعياً في اغراضه فهو يود ان نستخدم في التربية الفكرية وسائل جذابة فهو بعد ان وجه نقداً مرّاً الى المربين الذين يبعثون قوى الطفل في دراسات مجدية اعلن كراهيته لما يراه من شدة التمسك والاخلاص للأساليب التعليمية البحتة تلك الشدة التي أدت الى وسائل تمجها النفس وطرق مضنية لا يظهر المدرس بسببها الا بمثابة معكر لصفوح حياة الطالب وعلى الرغم من انه يبالي في آرائه من هذه الناحية فان له كل الحق في المطالبة بتطبيق اساليب جذابة ولقد ذهب في هذا الصدد الى حد القول بأنه يريد ألاَّ يحد الطالب فارقاً بين الدراسة واي نوع آخر من التسلية . وفي هذا ولا ريب شيء كثير من المبالغة . ولعله اراد ان يقول انه ينبغي علينا العمل على تذليل الصعاب الاولى في دراسة العلوم وعلى اغراء الطفل واسره دون الضغط عليه والابتعاد كل البعد عن الظهور بمظهر من يريد ان يلزم الطفل بالدراسة . وهو الامر الذي طالما اوحى الى الاطفال نوعاً من الاشمئزاز . وهو لذلك ينصح بالالعاب التي يمكن استخدامها في التعليم (jeux instructifs) لاجل تعليم الاطفال القراءة والاعمال الاولى ويقول في ذلك « يجب ان يتعلم الطفل القراءة وهو شاعر انه يتسلى »

ذلك ان الطفل في رأيه غيور على استقلاله ولسنا نعرف مريباً عرف قبل لوك حاجة الطفل الى النشاط والحرية . وانهما امران طبيعيان فيه . كما لا يعرف مريباً سبقه الى الالحاح في ضرورة احترام ذوق الطفل الشخصي وتعلقه باستقلاله

وقد قال بعده سلفه الانكليزي هربرت سبنسر « لا يحتفظ العقل الا بالمعارف التي توحى اليه السرور والانتعاش . ولا يجد العقل سروراً وانتعاشاً الا عندما تنير فيه نشاطاً عادياً يتناسب مع فوائه الطبيعية . ولا يمكن ان يصح تعليم الا في جو من النشاط »

الاستظهار * يقول لوك انه لا فائدة من الحفظ عن ظهر قلب . وذلك لان الذاكرة في رأيه ليست قابلة للتقدم وهو يقول ان النفس كفاءة فارغة جامدة وليست مجموعة من النشاط والقوى

الحية التي تفيدها المرانة وهو لا يعتقد ان المواهب على اختلاف انواعها يمكن ان تكبر او تنمو . وذلك لانه لا وجود لها بتاتا في نظره ١ . . . ولعل من الخير ان نترك هنا لوك يتكلم عن نظرياته بنفسه : اعرف جيداً بوجود مربين يدعون انه يجب على الطفل ان يستظهر بعض الدروس لأن في ذلك مرانة لذاكرته وانما لها . ولكن هذا الادعاء لا يستند الى ملاحظات صحيحة بل الى مجرد وجود عادة قديمة . ولست اشك في ان قوة الذاكرة ترجع الى طريقة تكوينها لا الى تقدم تكتسبها بالمرانة والعادة . والواقع ان العقل لا يستطيع ان يعي الا الاشياء التي يعيها التفاته . وانه — لاجل ان يحتفظ بها — في حاجة الى التفكير فيها لطبعها من جديد في ذاكرته . وهذا يجري بنسبة قوة الذاكرة الطبيعية . واذا نحن طبعنا الشمع او القصدير بطابع فان هذا الطابع يظل زمناً أقصر بكثير من طابع آخر على النحاس او الحديد . ولا شك ان التأثير في النفس يدوم زمناً أطول اذا داومنا على تجديده بالتفكير فيه . ولنعلم ان كل عمل من اعمال التفكير في تأثير ما هو بمثابة تأثير جديد . ولا يجب ان نفكر الا في عدد هذه التأثيرات اذا اردنا ان نعرف الزمن الذي يمكن للعقل ان يحتفظ خلاله بهذا التأثير . ونحن اذا دفعنا الطفل الى استظهار بضعة صفحات باللغة اللاتينية لانه لا نوهل ذاكرته لان تعي شيئاً آخر غير هذه الصفحات الا بقدر ما نهىء سلاحاً من القصدير لان يحتفظ بطوابع اخرى غير فكرة تكون قد حفرناها عليه ١١ . واذا صح كلام لوك أصبحت التربية بأسرها مستحيلة لانها تفرض مبدئياً وجود مواهب طبيعية يمكن ان نجعلها بالمرانة خصبة نامية

﴿ وجوب تعلم حرفة ﴾ واخيراً يريد لوك ان يتعلم تلميذه حرفة . ولكن الاسباب التي استند اليها في ذلك تختلف عما استند اليه روسو من اسباب . فلوك يقصد من وراء تعليم حرفة يدوية للرجل الكامل (the gentleman) ان يهيأ لعقله تسلية وفرصة للراحة من جهة ولجسمه تمارينات نافعة من جهة اخرى . ولكن روسو كان يود ان يتعلم تلميذه حرفة يدوية ليقني نفسه شر الحاجة اذا ما ثارت ثورة انتزعت منه ثروته . بل ان روسو كان متأثراً في رأيه هذا بهواجس اجتماعية يعتبرها البعض مخاوف اشتراكية فالعمل في نظره واجب يتحتم على كل فرد القيام به « غنياً كان او فقيراً »

﴿ دور العمل ﴾ ومع ان لوك وجه كل اهتمامه الى الدراسات القديمة وتربية الرجل الكامل الا انه لم يهمل تماماً مسائل التعليم الابتدائي . فقد كتب للحكومة الانكليزية تقريراً في عام ١٦٩٦ طالب فيه بتنظيم دور للعمل (Working schools) لاولاد الفقراء . وذكر في هذا التقرير ان كل طفل يزيد على الثالثة من عمره ويقل عن الرابعة عشرة يجب ان يجد في هذه الملاهي عملاً وغذاء وفكرة لوك في ذلك هي ضرورة مكافحة فساد الاخلاق وذبوع الفاقة في طبقة خاصة من الشعب ومحاولة معالجة الكسل والتشرد وتخفيف رقابة الام المنصرفه الى عملها وتكوين رجال جد وعمال مجدين . وقد حاول بذلك تحقيق اصلاح اجتماعي واسع النطاق . واصبح مربّي الرجل الكامل مهذب الفقراء

وقفه امام (ابي الهول)

لراهمى الراعى

يا آله الصمت . ويا ملتقى الاسرار . ويا عقدة اللسنة . ويا مثال المتأملين . ايها العظيم الذي اتخذ عظمته من صمته . ياربىب الرمال ويا رفيق « الاهرام » ويا عجيبة المصريين . . ايها الاسد الرائع المتحفز منذ القدم للوثوب على فريسته التي لم يجدها بعد . . يا مصيبة الثرثارين . . ويا محط رحال الحائرين . . ايها المتجبر العنيد الذي لم يخفض رأسه لاحد في الدنيا التي مرّت كلها من امامه . . ايها الضاحك الباكي ، السعيد البائس ، الحائر المهتدي ، التمل الضاحي ، القوي باهرامه ، الضعيف برماله ، الجريء بصدره ، الجبان بلسانه . . . ايها البحر الذي تلاطمت فيه الامواج ولم تنفث زبدتها في فمه . . ايها الساحر المسحور ، سحره غده الذي يزحف اليه فسحر بدوره يومه الذي يطل عليه . . . ايها الناسك الاكبر الذي لم يؤمن بالعالم فاقام في صومعة الرمال وانقطع الى ربه والى نفسه ، زعيم الناسكين تدق له نواقيس الذكرى في اودية التاريخ التي تعاقبت عليه ومن يستطيع ان يحصيها . . . ايها التمل بالذكريات غمرته بمحمورها فلم يقو على العريضة وكيف يعربد الغريق ، وصرعته بجهاها وقبحها فحمد كالمجنون وتطأطأت عليه الخلائق . .

ايها البطل الضائع الذي ازدحت في بطولته مشاهد القرون على مختلف صورها والوانها فضاقت بها ذرعاً ولبثت مكانها لا تبدي حراكاً !

ايها المبرّد بوسادته الحجرية لظى المغرمين ، الخجل برباطة جأشه المذعورين الفارين ، المحطم بصخرة حيرته وشكه سفينة المهتدين ، الخرس بفصاحة عينيه زمرة العربدين ، الهازيء بالعبارات والعارين ، الضاحك على الاذلاء الخائعين ، الباكي على الضاحكين الموقظ الرافدين المنفرس في المستيقظين

يا « ابا الهول » الذي هالته نفسه فلم يعرف ابن يضعها وكيف يعبر عنها ، ويا فتنة « النيل » ويا سمير الفراغة ويا رب وادي الملوك ، ايها الامين الاكبر الذي يحمل مفاتيح

التاريخ ولم يخن يوماً واجب الأمانة ، ايها المبرم مع المجهول عهداً يحسده عليه المعلوم ،
ايها الغارق في لجج الانهيار ولم يبلل ثوبه ، ايها المبسوط في حجره المنكش في تصلبه ،
ايها الطليق بعينه السجين بين احاجيه ، ايها الناظر الينا نظرتة الغربية بين صممه وبكمه
كانه يفتش في الارض عن جاءه بالصمم وعقل لسانه ليصعقه ويضمه الى قلب رماله !!

ايها الرجل العجيب الذي لم يتحرك بعد والكهرباء تشع في فمه وعينه والطيارة
تخلق فوق رأسه ، ايها الصابر صبراً دهش له ايوب ، ودهشت له الارض التي تحمل
موتها ودهش له البحر الذي يحمل غرقاه والاثير الذي يحمل زفرات البأسين ..

ايها المتمرد الاكبر الذي لو استكشفت اسرار الخليفة كلها لظل وحده بنفسه سرّاً
خفياً .. ايها الحاكي الذي يردد صدى الانسانية ، ايها العداد الاكبر الذي يحصي انوار
الخليقة وظلماتها وساعات نعيمها وبؤسها ...

يا ابا الهول... اتيتك بعد تلك القرون التي توالى على رأسك ، اتيتك متأخراً ...
اتيتك في القرن العشرين وتفرست فيك خطرت لي النعوت والاسماء التي كسوتك بها ،
رأيتك بعيني ولم ادر بأي عين راك اسلافي .. وحرث فيك كما حار الذين تفرسوا فيك من
قبلي ورميتك تلك الحبرة بين امواج الخيال فغرقت في اوصافك وتخبطت في اسرارك ...

ما هي حقيقتك ؟ وابن هي ؟ .. وهل تجهلني يا سيدي كما اجهلك ... من انا ؟ ..
انظر الي جيداً .. أقوي انا ام ضعيف ؟ اسعيد انا ام بأس ... انا كاتب يصيح
ويعرض في القرايطيس رسوم النفس والحياة فهل ازعجك صياحي وهل رأيت رسومي ؟
هل انت شاعر بي ام انت تنظر الي وترى نفسك ؟ ؟

قل لي يا « ابا الهول » ألا مسي انا ام لغدي ، وابن هو رقي في جدول الانسانية .
وهل في جبيني السطر الذي تفتش عنه منذ القدم ؟ امصيب انا في عقيدتي ام مخطئ ؟
انا للشاعرية فهل في حجرك من شعري وهل الشعراء في نظرك هم الناس .. وهل في
صدرك القاسي فؤاد رحيم ؟ ؟

اتيتك لاسألك عن حقيقتك وحقيقتي فهل من جواب يخرج من فمك فيريخي...
اما تاقت نفسك يا صاحبي الى الكلام ولو مرة واحدة... ألم تسأم الصمت... ولكن لا..
ابق صامتاً فاني اخاف اذا تكلمت . ان لا يقال بعد ذلك : هذا « ابو الهول » .. ان
صمتك حديث الناس وقد لا يكون حديثك حديثهم فتكون الكلمة الاولى التي تنطق
بها وبالاً عليك ودليلاً على انك لم تكن الاً حجراً ! ابق صامتاً ، ان قوتك في صمتك ،
انت ملك يجثم على عرش الصمت فلا تخلع ملكك بيدك ...

ولعلك فقهت معنى الحياة فرأيت ان الصمت خير ما فيها ، فما الفائدة من الكلام
وهل يصلح اللسان ، ذلك الثمرار الضعيف المزعج ليحل الاحاجي ويعبر عن اسرار
النفس والطبيعة ؟ ! وهل يقوى على الثبات في ساحة النفس الكبيرة الحساسة ساعة يثور
بركانها وتتطاير حممها

انظر الى الفيلسوف كيف يخرس ساعة يصطدم بالجهول ويقف امامه صاغراً ! والى
الجندي كيف يعقل لسانه ساعة يصطدم بالخطر ويقبل على الموت ! والى الفنان كيف
يصمت صمته العميق ساعة يسحره الجمال وتحتل الشاعرية الحقيقية اعماق قلبه ..
وانظر الى الفقير الذي شرب ثملات الكؤوس كيف يعجز عن النطق وفيه كل دموعه ،
والى المؤمن الناسك كيف يقطع لسانه ليتصل بالخالق ، والى النسور والاسود كيف تأوي
الى عزلتها وصمتها وترفع عن الخلائق ...

ابق صامتاً يا « ابا الهول » فقد يكون في صدرك كثير من الحسد والضغينة والرياء
والضعف والكبرياء والطمع واللؤم وانا لست بحاجة الى نفث سمومها فيكفيني ما ينساب
في طريقي من الافاعي ، يكفيني هذا الانسان الذي يوزع لسانه الشقاء في العالم ويكشف
عما انطوى عليه صدره من تلك البضاعة البتنة ! ...

ابق صامتاً فلا ادري ما وراء لسانك ... ان كنت انساناً فزميلك يكفيني ، وان
كنت من جماعة « الاولمب » فابق بين آلهتك ...

ابق صامتاً ، فهذه الانسانية الثرارة لا تخاف الاً الصامتين

موقعة نافارين البحرية

٢٧ صفر سنة ١٢٤٣ هـ ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ م

للكنور على مظهر

— ١ —

كانت بلاد اليونان جزءاً من بلاد السلطنة التركية العثمانية الى اوائل القرن التاسع عشر ترسل اليها الدولة من يحكمها من ولاية الاتراك . ثم بدت بها بوادر ثورة اهلية وآلف أعيانها وشبانها جمعيات ثورية لتنفيذ الخطة التي رسموها من اشعال نيران الثورة في كل اليونان مع الاتصال بدول اوربا حتى انهم جعلوا مركز هذه الجمعيات في روسيا والنمسا لتتصل بحكوماتها وتتلقى امداداتها ومعونتها المادية والادبية ولتكون بعيدة عن يد حكام اليونان من الترك . ولقيت هذه الجمعيات من تأييد الدول الاخرى ما ساعدها على اعلان العصيان والثورة في ارجاء البلاد اليونانية . نذكر من ذلك جمعية (هيتريا) الكبيرة التي تألفت سنة ١٨١٥ . وقد انضم اليها ذوو المكانة في اليونان من شبان واعيان ورجال الدين ولقيت التعضيد من كثير من امراء اوربا ووزرائها وسراتها وذوي الرأي منهم . وكان ذلك بالنفوذ وبالاموال حتى ان القيصر الروسي اسكندر الاول كان في مقدمة معصديها ومؤيدي مطالبها وأهمها استقلال بلاد اليونان عن الدولة العثمانية .

نشطت تلك الجمعية وغيرها على العمل سراً وسعت الى نشر دعاتيها واذاعاة اغراضها الثورية وانشاء فروع لها في بلاد اليونان وفي البلقان حتى زاد اعضاؤها على العشرين الفا من الاعضاء حملة السلاح . ولما هبت ريح الثورة في بلاد المورة في ٢٥ مارس سنة ١٨٢١ كان في مقدمتهم رجل من رجال الدين اليوناني هو القس جرمانوس اسقف (پاتراس) بشمال المورة ودعاهم للثورة فلبى اليونانيون الدعوة في البر والبحر . فكانت سفنهم المسلحة تقطع الطريق على السفن العثمانية في بحر الارخبيل وتأسر ما تأسر وتدمر ما يمكنها تدميره وتقتل ركبها وتأسرهم وتنهب ما معهم . واستولى الثوار على أهم مدن المورة حتى انهم احتلوا عاصمتها (تريبولتسا) ونكوا بالاتراك المقيمين بها تنكيلاً كبيراً . وأعلنوا استقلال الامة اليونانية سنة ١٨٢٢ . ورأت الدولة العثمانية ان تستعين بمصر بعد ان استفحل أمر الثورة والثوار الذين أحيوا عهد القرصنة وأحرقوا كثيراً من السفن التركية وأفسدوا أيما افساد . فأرسل السلطان محمود الى محمد علي وعهد اليه بتجريد الاسطول المصري للقضاء على القرصنة سنة ١٨٢١ ولتأديب الثأرين وانقاذ الاسطول العثماني الذي أضحى كالاسير في مياه البانيا . وأطاع محمد علي أمر الخليفة السلطان محمود ولبي نداءه فكتب الى صهره محرم بك محافظ الاسكندرية وامير البحر للاسطول المصري باعداد اسطوله . ونحن ننقل ترجمة الامر التركي المقيد في سجلات البحرية القديمة

بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٢٣٦ وقد نقله اسمعيل سرهنك باشا في كتابه حقائق الاخبار (ج ٢ ص ٢٣٨) وهالك نصه :

قد علم لكم انه أحيل تأديب وتربية الاروام الثأرين على الدولة العلية على عهدي . وبما ان السفن الحربية التي جرى استعدادها لغاية الآن قد بلغت اربع عشرة سفينة ولو ان قيادتها عائدة علي (يعني انه كان يعتبر نفسه (محمد علي) قائداً أعظم واميراً للبحر الا كبر للاسطول المصري) الا انه لكثرة اشغالي قد عينتكم بدلاً عني لقيادتها . فتوكلوا على الله تعالى وأسرعوا بالاقلاع بها للجهة المقصودة . وأدوا الخدمة اللازمة عليكم في هذه المأمورية بحسب ما تقضي عليكم حقوقها المقدسة . وقد تحرر صورة من هذا الامر الى مطوش قبودان الذي تعينت سفينته بمعيتكم . اه .

ونحن ننقل عن سرهنك باشا اسماء قباطين السفن التي ذكرها بعد ترجمة النص التركي لتولية محرم بك أمرة الاسطول المصري وهم :

فندقلي احمد قبودان وقوله لي مطوش قبودان واستانه لي نوري قبودان وارنبوط خليل قبودان وكريدي حسن قبودان وبدرولي السيد علي قبودان وكريدي اسمعيل قبودان واورولي مصطفى قبودان المعروف ببشكاكي وجشمه لي مصطفى قبودان وبوزجه أطه لي حسين قبودان واسكندراني علي قبودان ولازلي عمر قبودان وازميري قره اوغلي قبودان وبدرولي علي محمد قبودان . اه . وذكر مسيو مانجان في كتابه تاريخ مصر في حكم محمد علي (ج ٢ ص ٢٤٠) ان الاسطول المصري اقلع من الاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٢١ بقيادة الاميرال اسمعيل جبل طارق وانه كان مؤلفاً من ١٦ سفينة كاملة السلاح والعتاد وبها ٨٠٠ مقاتل بقيادة طبوز اوغلي

وقد كتب عبد الرحمن بك الرافعي في مؤلفه النفيس عصر محمد علي (ص ١٩٩) تعليقا على ذلك ان بعض المراجع الفرنسية تذكر قائد الاسطول باسم اسمعيل جبل طارق وبعضها باسم اسمعيل الجبل الاخضر مما يجعلنا نشك في هذا اللقب الذي ليس من الاعلام المألوفة في ذلك العصر . فالاسم الموثوق به انه الاميرال (امير البحر) اسمعيل بك . ثم عاد عبد الرحمن بك في الصفحة التالية فقال : نقول وهذا لا يمنعنا ان نرجح رواية المسيو مانجان لانه حاصر الحوادث التي كتب عنها وروايته تؤيدها المراجع الفرنسية الاخرى . ويجوز ان محمد علي عهد الى امير البحر محرم بك بقيادة الاسطول نيابة عنه كما جاء في الامر لكن الذي سافر فعلاً وقاد الاسطول هو اسمعيل بك كما يقول مانجان . ونحن نقول انه اقرب الى المعقول ان يكون مطوش قبودان هو الذي تولى القيادة فعلاً بالنيابة عن محرم بك اذا لم تصح قيادة محرم بك للاسطول الذي اجر لسواحل بلاد اليونان لان محمد علي قد اشار اليه في خطابه الذي ارسله الى صهره محرم بك وخصه بالذكر في ذلك الامر الصادر منه دون سائر القباطين الآخرين

وبذكر مسيو مانجان ان الاسطول المذكور ذهب الى مياه رودس لمطاردة السفن اليونانية .

والتقى بالاسطول التركي في الدردنيل . ثم عاد الى الاسكندرية في مارس سنة ١٨٢٢ ليتأهب لنقل الحملة الى جزيرة كريد

ويذكر الجبرتي في نهاية ما وصلنا من تاريخه وهو آخر ما دوّنه في كتابه من حوادث ذي القعدة سنة ١٢٣٦ (اغسطس سنة ١٨٢١) ما يأتي : —

وفي منتصفه (القعدة) سافر الباشا (محمد علي) الى الاسكندرية لداعي حركة الاروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالنج والقتل ، حتى انهم اخذوا المراكب الخارجة من استامبول وفيها قاضي العسكر المتولي قضاء مصر ومن بها ايضاً من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحاً عن آخرهم ومعهم القاضي وحريره وبناته وجواريه وغير ذلك . وشاع ذلك بالنواحي وانقطعت السبل . فنزل الباشا الى الاسكندرية وشرع في تشهيل مراكب مساعدة للدونامة (الاسطول) السلطانية . وسيأتي تنمة هذه الحادثة

ومما يؤسف له ان تاريخ الجبرتي ينتهي بحوادث ذي الحجة سنة ١٢٣٦ هـ (سبتمبر سنة ١٨٢١ م) وشبت الثورة في جزيرة افریطش (كريد) سنة ١٨٢١ وعهد السلطان محمود الى محمد علي باخاد الثورة ففعل اذ ارسل اسطولاً مصرياً يحمل خمسة آلاف جندي بقيادة حسن باشا ونزلت القوة في ارض الجزيرة في يونيه سنة ١٨٢٢ واستمرت الحرب بين الطرفين حتى سنة ١٨٢٣ وانقذ العسكر المصري الحاميات التركية التي كان الثوار قد حاصرتها في القلاع . ومات حسن باشا القائد خلال الفتح خلفه حسين بك في القيادة . وظفر المصريون بالثوار وحصروهم في جهة من الساحل . وشتتوهم شذر مذر . واضطر كثير منهم الى الفرار الى الجزر اليونانية وسادت السكينة بكريد وامكن المصريون ان يخذلوا ثورة قبرص هي الاخرى

ولما اشتدت الثورة وطال امدها في موره عهد السلطان الى محمد علي في اخذها وجعلها والياً عليها ومما يذكر ان محرم بك لما اعد اسطولاً مكوناً من اربع عشرة سفينة حربية وجهازها بما يلزمها من الجنود والقباطين وجعل شاكر افندي السابق الذكر مهندساً لهذا الاسطول كما جاء في سجلات الدونامة (الاسطول) المصرية انه لم يبق بالاسكندرية حينئذ غير ثمان سفن حربية فقط للحفاظها بها على السواحل المصرية فاخذ محمد علي يهتم بتجهيز اسطول آخر من السفن الجديدة التي تأتي اليه تباعاً من بلاد اوربا . ووصل محرم بك باسطول له الى مياه كريد فوجد من الجهة الشمالية منها سبع عشرة سفينة تجارية رومية (يونانية) تهاجم سفينة تجارية عثمانية . فهجم على الاروام واستولى على ثلاث منها . وولى الباقي الادبار وتخلصت تلك السفينة العثمانية من هلاك محقق . ثم انه سار الى بحر الارخبيل بحسب الاوامر الصادرة اليه . وبعد ذلك بشهر ارسل محمد علي اسطولاً آخر من ثمان عشرة سفينة بقيادة طبوز اوغلي قبوجي باشي محمد اغا للالتحاق بالاسطول العثماني الذي كان

بقوده البطرونة مختار بك» وامره انه متى انضمت كل هذه السفن الى بعضها البعض ومعها اسطول محرم بك تذهب لتخليص الاسطول العثماني المحصور بجهة برويزه « وكان يقوده القبطان نصوح زاده علي بك . وقد تم ذلك ورفع الحصار عن الاسطول العثماني . واخذ الاسطول المصري باشتراكه مع الاسطول العثماني في مطاردة مراكب الاشقياء من اليونانيين . فأحرقت كثيراً منها (سرهنك باشا ج ٢ ص ٢٣٨) . وعادت السفن الحربية المصرية الى الاسكندرية لاصلاح ما تلف منها سنة ١٢٣٨ هـ . وفي السنة التالية (٦ مارس ١٨٢٤ م) اصدر السلطان الى محمد علي بتعيين ولده ابراهيم باشا والياً على جزيرة كريد وموره وان يعمل ما يراه لحفظ النظام هناك . وارسل امراً بارسال سبعة مصرية لتساعد الجيش العثماني في بلاد اليونان . ويذكر لطفي افندي في تاريخه بأن الدولة العثمانية امرت خسرو باشا امير البحر للاسطول العثماني بمياه اليونان بان يذهب الى الاسكندرية لاصلاح سفنه فيها واخذ ما يلزم من الذخائر الحربية والمؤونة منها ولمساعدة محمد علي باشا على نقل الجيوش المصرية الى بلاد موره . وكان خسرو باشا قد طلب العودة الى استنبول لاصلاح ما تخرب من سفنه الحربية . فلما صدر الامر بالتوجه الى الاسكندرية سافر اليها في ٢٨ الحجة سنة ١٢٣٩ هـ . وقبل وصوله بأيام قليلة حضرت ثلاث سفن حراقات يونانية الى ميناء الاسكندرية ودخلت واحدة منها الميناء حتى وصلت امام طابية صالح وأشعلت نارها لحرق الاسطول المصري الراسي امامها . فأطلقت عليها قوة القلعة المدافع وارسلت المراكب المصرية بعض زوارقها بالمدافع فهجمت عليها وأطفأت نارها فهربت الحراقتان الاخرتان بسرعة . وامر محمد علي محرم بك ووكيله بلال أغا بالخروج بخمس سفن حربية لاقتفاء أثر الحراقتين الهاربتين . وخرج بعدهما محمد علي بنفسه في قرويت اسمه جناح بحري . وامكن الحراقتان الافلات من المراكب التي تعقبتهما . ثم وصل خسرو باشا العثماني وعلم بما وقع ولم يصادف السفن المصرية فاراد الاقلاع بنفسه للبحث عنها . فنعى موظفو الحكومة المصرية . وأسرعوا لاصلاح سفنه . وتزويد اسطوله بما يلزم من الادوات والذخائر . وارسل خسرو باشا مساعده في أمرة البحر بعشرين سفينة حربية عثمانية ذهب بها حتى سواحل الاناضول . ثم رجع فوجد محمد علي قد عاد الى الاسكندرية وشكر محمد علي لاميير البحر خسرو باشا صنعه هذا . وأكرم وفادته وأمر باعطائه كل ما يطلبه قائلاً : اني بصفة كوني خادماً لولي نعمتي صاحب الشوكة السلطان المعظم اعلمك يا اخي الباشا انه ليس للدولة العلية فقط ان تطلب ذخائر وزاداً او اشياء اخرى مهمة للاسطول العثماني بل يمكنها ان تطلب جميع ما تريد . فاني مستعد للقيام به بحق الدين والملة . وان ذلك عندي من الامور المعتنى بها . واني لا اتأخر عن بذل نفسي في سبيل تقوية شأنها واعلاء كلمتها ورفع قدرها (من تاريخ لطفي افندي المذكور ونقله سرهنك باشا في تاريخه ج ٢ ص ٢٣٩)

وابلغ خسرو باشا ذلك للباب العالي (الحكومة العثمانية) رسمياً فوردله كتاب الشكر والثناء على محمد علي باشا لخدمته الجليلة التي اداها اولاً وثانياً ولقيامه باصلاح اسطولها وتجهيزه

الجيش لمساعدتها وامره السلطان بتبليغ ذلك لمحمد علي باشا بالنيابة عنه
واعاد محمد علي جيشه واسطوله الذي كان يستعد لتلبية نداء السلطان . اما الجيش المصري
فكان مؤلفاً من ١٧٠٠٠ جندي مشاة وسبعائة من الخيالة واربع بطاريات مدفعية ومدافع اخرى
للقلاع والجبال وكان الجيش بقيادة ابنه الاكبر ابراهيم باشا البطل الشهير . اما الاسطول المصري
فكان مكوناً من ٩٩ سفينة منها ٦٣ بين حربية ونقالات و ٣٦ تجارية استؤجرت لنقل العدد
والذخائر . وكانت بقيادة امير البحر محرم بك على رواية سرهنك باشا (ج ٢ ص ٢٣٩) وبقيادة امير
البحر اسمعيل جبل طارق على مارواه عبد الرحمن بك الرافعي في تاريخه عصر محمد علي (ص ٢٠٢)
اما مسيو دروفتي قنصل فرنسا الذي رأى الاسطول المصري في الاسكندرية وكتب عنه
بياناً الى وزير الخارجية الفرنسية في رسالته (وثائق موره التي نشرتها الجمعية الجغرافية وثيقة
رقم ١٤) فيذكر ان الاسطول كان مكوناً من ٥١ سفينة حربية و ١٤٦ سفينة نقل . قال المسيو
دريو ان محمد علي اشترى من اوربا كثيراً من السفن حتى اصبحت عمارته البحرية تشبه الارمادا
(وهي التي اعددها فيليب الثاني ملك اسبانيا لمحاربة انجلترا في القرن السادس عشر) . ويستمر
مسيو دريو في حديثه عنها في كتابه (تاريخ اليونان السياسي ج ١ ص ٢٥٧) فقال : ولم ير الشرق
حملة تدانها في ضخامتها منذ حملة بونابرت . فكان الشرق اراد ان يغزو الغرب جواباً على حملة اوربا
عليه . وهكذا تتقلب الاطوار في سير التاريخ (نقلاً عن عصر محمد علي للرافعي بك ص ٢٠٣)

وابحر الاسطول العثماني الذي كان بالاسكندرية يوم ٣ ربيع الاول سنة ١٢٣٩ هـ (١٠ يولية
سنة ١٨٢٤ م .) ثم ابخر بعده الاسطول المصري . ومرت هذه الاساطيل على رودس ومنها الى
خليج (ماكرى) على شاطئ الاناضول لتلتقي بالاسطول التركي العثماني . وقد عهد الى رجاله
بمطاردة مراكب الاروام (اليونان) التي كانت في بحر الارخبيل والقضاء على القرصنة فيه واتخاذ
ثورة الجزر . وانزل ابراهيم باشا جنوده في خليج (ماكرى) . واستعد للقلاع بالاسطول
المصري حتى يتقابل بالاسطول التركي . وقد عاد من الدردنيل حتى تقابل في ميناء (بودروم) على شاطئ
الاناضول . وكان ذلك في اواخر اغسطس . ومما لامرأه فيه ان الاسطول المصري كان اتم نظاماً من
الاسطول التركي لما لاقاه هذا من مهاجمة الثوار اليونانيين ولا سيما سفن الحراقات التي كانت تقذف بنفسها
وسط الاسطول التركي فتحرق منه ما تحرق بنارها . ومن ذلك ان الحراقات اليونانية قابلت الاسطول
التركي فاحرقت مركب امير البحر وسفيتين اخريين . وتراجع الاسطول التركي جنوباً حتى قابل
الاسطول المصري في مياه (بودروم) . وحول اليونان معظم سفنهم التجارية الى سفن مسلحة
ولاحظة مياه البحار ببلادهم وكثرة عدد جزرهم عرفت عنهم المهارة الكبرى في ركوب البحر . ولذا
لا تعجب اذا عرفت ان لليونان اليوم بحرية تجارية معدودة بالنسبة الى عددهم وصغر حجم بلادهم



مساكن ضباط الترسانة

رسم مريزي بك



السفينة الحربية ابو قير

رسم مريزي بك

وعلى مقربة من (بودروم) هاجمت السفن اليونانية الاسطوليين . وكان قتال بين الفريقين . ففر الاسطول التركي من الميدان وتركه للاسطول المصري يصمد امام الاعداء ويضطربهم للتقهقر والفرار . وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٨٢٤

ثم عاد الاسطولان فاصلا مرة ثانية . وسارا الى مياه جزيرة مدلى ثم تابع الاسطول التركي سيره شمالا الى الدردنيل . ورجع الاسطول المصري جنوبا . فقابلته مراكب اليونان في مياه جزيرة (ساقز) وكانت معركة شديدة غرق فيها مراكبان مصريان في اكتوبر سنة ١٩٢٤ . ثم عاد ابراهيم باشا بالاسطول الى ميناء (بودروم)

ورأى ابراهيم باشا ان القضاء على الثورة في الاراضي الرومية في شبه جزيرة (موره) . فأقلع الى ميناء (مرمريس) جنوبا . ثم سار منها الى كريت في ديسمبر سنة ١٨٢٤ . ورسا بسفنه في خليج السوده ليتحين الوقت المناسب للسفر الى سواحل موره . ولتنقل هنا ما ذكره مسيو دوين في كتابه (فرقاطات محمد علي الاولى ص ١٢) الذي اشرنا اليه اذ يقول :

مضت خمسة اشهر على مغادرة الاسطول المصري الاسكندرية . خمسة اشهر مضت في جهود شاقة ومتاعب كثيرة ومخاطر كل يوم تتجدد . ولقد ابدي ابراهيم باشا في خلال ذلك من الثبات ورباطة الجأش ما يسترعي النظر ، اذ كان يقود اسطولا مع سفن النقالات . وهي مهمة ليس من السهل الاضطلاع بها . وكان ابراهيم باشا في قيادته اسطولا مكونا من مائتي سفينة تقل نحو عشرين الف رجل من جنود وبحارة يضطلع بمهمة كما فعل بوناپرت من قبل مع حفظ النسبة بين الموقفين حينما اجتاز البحر المتوسط في اواخر القرن الماضي (يقصد القرن الثامن عشر) بعجارة مكونة من ٢٨٠ سفينة تقل ٣٨٠٠٠ مقاتل . واذا عرفنا ان مصر لم يكن لها في ذلك الحين اسطول منتظم ولا تقاليد بحرية ولا هيئة من الضباط البحريين الا كفاء ولا العدد الكافي من البحارة المدربين ، وكان على ابراهيم باشا أن يبتكر وينظم بسرعة كل ما يلزم الحملة البحرية من سفن حربية وسفن للنقل ورجال وعتاد وان يروض نفسه على ركوب البحر والقتال بين امواجه واهواله — اذا تذكرنا كل ذلك فانه يحق لنا ان نعجب كيف ان الاسطول الذي حشده محمد علي امكته ان يثبت امام الهجوم الشديد الذي استهدف له واصابه من عدو له حظ كبير من المهارة من دون ان يخسر سوى سفينتين حربييتين وبضع نقالات . ولاشك ان هذه الحقائق تدلنا على مضاعفة عزيمة ابراهيم باشا وعلو همته وتظهر ما كانت عليه نفسه من صفات العظمة ومزايا الراسة والقيادة . كما ان مواقفه في ميادين القتال ورباطة جأشه في مغالبة الحن تدل على شجاعة كبرى لا يسمع اي انسان الا ان يبادر بالاعجاب بها . اه

وتنازع زعماء الحكومة الثورية اليونانية فيما بينهم ولم تصرف اعطية بحارة مرآكهم فاضطربوا لذلك . وابوا الاستمرار في القتال وعلم ابراهيم باشا بذلك فأنهز الفرصة واقلع بأسطوله من (خانية) الى ميناء (مودون) في جنوب شبه جزيرة مورة وانزل الجنود الى البر في يناير سنة ١٨٢٥ وقد لاقى الجند التركي ما لاقى من المصاعب لتشديد الثوار عليهم برّاً وبحراً حتى لم يكن باقياً تحت يد الترك من المواقع سوى مودون التي انزل فيها ابراهيم باشا جنوده وميناء (كورون) التي كان يحاصرها اليونانيون

ولمواقع البرية التي حدثت بشبه جزيرة مورة مكانها في كتب التاريخ . ونرى ان يكون كلامنا هنا قاصراً على موقعة نافارين البحرية ونرى ان نشير الى استيلاء المصريين على نافارين نفسها في ١٨ مايو سنة ١٨٢٥ ودخولهم المدينة منتصرين اعظم انتصار مما جعل اليأس يدب في صفوف اليونانيين ووطد مركز الجيش المصري لان نافارين ومودون وكورون قواعد حربية هامة يهيمن بواسطتها الجيش على مورة كلها . وقد حدث اثناء حصار المصريين لنافارين ان امر المصريين سفينتين يونانيتين وافلتت بقية سفنهم الى بحر الارخبيل ، وتمكن امير البحر اليوناني (ميوليس) من الاقتراب من ميناء (مودون) التي كان الاسطول المصري راسياً بها واستطاعت الحراقات اليونانية من اشعال النار في السفن المصرية الراسية خارج الميناء . واشتدت الرياح فامتدت النيران الى بقية السفن فتعذر اطفائها ولم ينج بحارتها بأنفسهم الا بمشقة فائقة وحرق كثير من السفن لذلك . وامتدت النيران الى المدينة نفسها فالتهمت جزءاً منها وتناولت مخازن البارود ففسدتها وتهدم بنيانها وهدمت الاماكن المجاورة لها . كل ذلك حدث اثناء حصار نافارين فلم يثن ذلك ابراهيم باشا عن عزمه

واستمر على القتال حتى استولى على المدينة ثم استولى بعدئذٍ على ميناء (كلاماتا) بعد استبسال مقاتلتها . ثم فتح (اركاديا) الواقعة على البحر غربي مورة . ثم فتح مدينة تريبوليتسا Tripolizza عاصمة مورة في يونية سنة ١٨٢٥ وكانت موقعاً منيعاً للثوار . ثم قهر جمعاً من الثوار في وادي ارجوس Argo وعلى معاقل الثوار بوادي (لكونيا) ثم احتل باتراس . وبذلك اصبح شبه جزيرة مورة في قبضة الجيش المصري ما عدا مدينة (نوبلي) . واستنجد رشيد باشا قائد الجيش التركي ببراهيم باشا وكان الاول محاصراً لمدينة ميسولونجي وقد استعصت عليه . فسار اليها بحراً بعد ان وصله الامداد من مصر وحاصرها برّاً وبحراً . وكانت السفن المصرية بقيادة محرم بك فاحتل الجزر الواقعة في مدخل الميناء وحصنها لمنع ورود المدد بحراً الى ميسولونجي والذي تقدم لمهاجمة الاستحكامات المشيدة على الجزيرة الصغيرة الواقعة امام ميسولونجي هو سر چشمه حسين بك احد

رؤساء البحرية المصرية وبذلك سهل لهجوم الجيش على تلك المدينة . ودافع الثوار عنها دفاعاً عنيداً وآثروا الموت على التسليم أخيراً فاشعلوا النيران بما كان عندهم من البارود فانفجر . وقتلوا جميعاً . وكانت خسارة الجيش المصري جسيمة . فقد بلغ عدد قتلائهم في الهجمة الأخيرة نحو ألفي قتيل . ولكنهم استولوا على ميسولونجى في ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ . ثم فتح الجيش التركي بعدئذٍ اثينا بعد حصار شديد فسلمت في يونية سنة ١٨٢٧

وعاد معظم الاسطول المصري الى مصر لاصلاح ما اصاب سفنه من عطب وجاءت السفن التركية لنفس السبب . وضم محمد علي الى ذلك ما كان قد اوصى عليه من سفن حربية جديدة في مرسليليا وليشورن وفيڤنسيا (البندقية) واعد مدداً من الجند مكوناً من عدة آلاف حشدتهم في الاسكندرية . فكانت في شهر ابريل سنة ١٨٢٧ قاعدة لجملة كبيرة برية وبحرية واستعدت للاقلاع الى بلاد اليونان للقضاء الاخير على الثوار في جزيرة هيدرا واسبتييا وميناء نوبلي

واستصرخت جماعات الثورة اليونانية دول اوربا لمناصرة اليونان . وتحرك انصار الثورة من رجال السيف والعلم في روميا وانجلترا وفرنسا لدعوة الدول للتدخل من ذلك رجال امثال لورد بايرون وفيكتور هوغو وشاتوبريان . وغيرهم . فكانوا يستصرخون الرأي العام في اوربا ويضربون على الوتر الديني الحساس لنجدة اليونان . وقد تطوع لورد بايرون في صفوف الثوار ومات في ميسولونجى سنة ١٨٢٤

وفي ٦ يوليو سنة ١٨٢٧ ابرمت معاهدة لندن بين انجلترا وفرنسا وروسيا للتدخل بين تركيا واليونان على اساس استقلال اليونان الداخلي مع بقاء سيادة تركيا الاسمية عليها . وطلبت الدول وقف القتال بين الفريقين تمهيداً للوساطة بينهما واتفقت الدول فيما بينها على ان يعرض هذا على الباب العالي (حكومة تركيا باستنبول) فاذا لم يقبلها في مدى شهر لجأت تلك الدول الى تنفيذ ما ترى من استقلال اليونان وسلبها عن تركيا بالقوة

واتفقت الدول الثلاث على ارسال اساطيلها الى مياه اليونان لعلم تلك الدول باصرار تركيا على الرفض ولمنع السفن المصرية والعثمانية من الوصول الى شواطئ اليونان وارسال المدد الى الجيش المصري والتركي هناك . فأرسلت انجلترا الى بحر الارخبيل اسطولاً مؤلفاً من ١٢ سفينة حربية بقيادة امير البحر ادوارد كودرنجتون Codrington . ثم ارسلت فرنسا سبع سفن بقيادة امير البحر كونتر اميرال ريني Rigny . ومن بعدها وصل اسطول روسي من بحر البلطيك متأخراً وكان مكوناً من ثماني سفن بقيادة امير البحر كونتر اميرال هيدن Heiden وانضمت الاساطيل الى بعضها البعض بقيادة امير البحر الانجليزي

« في العدد القادم وصف معركة نافارين البحرية »

بيير لوتي

وصفحة من حياته على شواطئ البوسفور

ليوسف البعني

قبل أن ينحدر بيير لوتي ، ذلك الكاتب الرقيق والشاعر الحساس ، إلى ظلمة قبره بأيام ، ويقف شبح الفن مكبراً خبيعة المثل الأعلى بسكوت يراعه وتلاشي أنفاسه . . انتشر في أندية باريس الأدبية كتاب أصفر اللون تبطنت مسطوره وحواشيه بأهواء هذا الفنان العجيب وبذكريات ليليه الماضية

لقد كان بيير لوتي ضئيلاً بهتك أسرارهِ وإباحة تذكارات غرامهِ . وهكذا لم يودّع الحياة دون أن يُطلع هؤلاء المتقولين فيه شتى الأخبار والا كاذب عن مكنون قلبه ، ذلك القلب الرقيق الموشح بكل ما في الحياة من زعات وحب وصبا . . فنشر كتابهُ الأصفر اللون وأفعم كل كلمة من كلماته بمرارة روحهِ وضباب أحلامهِ ولم تكن تلك الحرارة سوى عاطفة شجيّة محزنة تغلغلّت في اعماق القلوب ولم تقوَ على محوها ظلمات القبور ونكبات الحياة !!

كما تصفّحت هذا الكتاب وتكشّفت أسرارهُ الراغية بلذة الهوى ومعانيهِ الممرعة بنشوة الغرام ، تعترني رعشة روحية مجهولة فأستغرق في سبات عميق بعيد القرار مستعيداً للفكر أحلام الماضي المبعثرة في وادي الحياة تبعثر الأوراق الواهية في فصل الخريف وأروع ما في تلك الصفحات هو ذلك الوصف الساحر الفتان والوجد الغائر المعصر بصفرة الخيبة واليأس والحنين

فالشمس وقد أذنت بالرحيل فغابت وراء حجب البداية تاركة على ثغر الافق المتورد قبلة الوداع ، كما تترك العابدة المفتونة لها صدرها على شفقي حبيبها والمساء الصامت الحنون يحتضن الطبيعة ويسر بلها بسكينة ساجية رائعة . . والليل يمر في الحقول والودية منغمها على مسامع الاشباح تذكارات الماضي الدفين . . والنجوم تحدق بلوعة وحزن كأنها مواكب المأتم تبكي حول نعش الحبيب . .

وجداولُ الحسن والجمال تنسابُ بين الأودية والصخور موقعةً على اوتار الدجى بلايا روعها
المفجوع وصدرها المكوم

نعم .. الشمس ، والمساء ، والليل والنجوم والجداول ، وكلُّ ما يلمس الروح بأنامل الشعور
والاحساس .. يصفها بيير لوتي في كتابه اللطيف . وأنا عند ما أصغي الى موسيقى تلك العبارات
والسطور التي أبدعتها ريشة الكاتب الفنان ، يغمرني ضبابٌ سحريٌّ غريب فأبيت في
مخدعِ العاطفة كما تبيت الزهرة المقدسة في ظلالِ الهياكل القديمة

وَأَسَمَ الكتاب (حَيَاة حَار) فما أروع هذه اللفظة وما أشجأها ! !
لقد صرفَ الكاتبُ المبدع أوقاتاً عذاباً مُسكرة في ممارع الشرق وتفنن من ربوعه ومروجه
نسمة حبٍ مهفَّف استقرت بين جوانح روحه . فكان كلما تنشق عيرها ، وهو في باريس ،
تفيضُ على عينيه دمعاً أجيجة محرقة وتغشي في روعِ رآعه أطراف الشوق والحنين
وإنَّ مَنْ كَانَ لَهُ مَا كَانَ لِلْكَاتِبِ الشَّعْرِيِّ الملول من صفحات غرامية رقيقة لا تُمحي
آثارها ولا تتبعثر رسومها على ضفاف البوسفور ، استكثر من تذكُّر الماضي الحبيب الذي
مضى ولن يعود . واستزاد في بكاء تلك الليالي التي مرَّت في ضوء القمر راقصة على رنات المياه
عندما يداعها نسيم الليل بلمانه ودغدغته

ولست أعلم كيف كان موقفُ البوسفور عندما عقل الموت ريشة بيير لوتي وعاث
بنضرة فؤاده . فهل تألم الخليج الساحر الجميل لموت الصديق المخلص الوفي ، وتلملم الماء ملتاعاً
ينعى الى الصخور والربى وفاة الكاتب الرسام الذي أحبه حباً لا شكيكة فيه ؟ من يدري . لقد
تسامر في الماضي كثيراً . وكانت لهما ساعات شفها الوجد بشكواه ، ومواقف أضناها الهوى
بأنينه وبلواه

لم يبق كاتب من عشاق الشرق ومحبيه إلا كتب عن البوسفور واصفاً تلك الزهرة العلوية
التي تهيم على الخليج الجبار . أما بيير لوتي فقد أبدع وأجاد في ما كتب ووصف ، ثم ترك عنه
تذكريات عذبة ترويه العاطفة ويغذيها الشعور والاحساس

ولذلك تمنى وهو يختم انقاسه الاخيرة تحت سماء باريس ويودع حياته في قبضة الردى ، لو
مشى أبناء البوسفور جميعهم وراء نعشه . وأوصى أن يفرشوا في تربة قبره زهرة من تلك الازاهير
المأرجة النابتة على ضفاف الخليج الذي كان يشكوا اليه اسرار فؤاده وخبايا خياله

اما الصفحة التي أريد أن استشفها من حياة بيير لوتي على شواطئ البوسفور ولا استطيع لما

يسترقني من لاجحة وصباة ، فهي هذه المقاطع الرافلة في حلال وضاعة من الجمال . وحسبك أن تقرأها فتخضل عينك بالدموع وتبعث في الروح ذكرى الامس الدفين

الضيف جميل في كل مكان لكننه في تركبنا اكثر من جميل . هو حلم مجهول ينبعث من صدر الطبيعة فيغمر النفس بالشوق والحنين . . وفي ليلة من تلك الليالي الصافية البيض خرج لوتي يرح على شواطئ البوسفور وينعم برأى الماء يلونه القمر بضوئه الفضي الخالب . وفيما هو يبت خادمه الامين (جميل) شعور روحه واحساسها لامسته اشباح خفية واحلام لذيدة

وظل يتذوق هذه الكأس المسكرة ويتمتع عينه بمنظر الامواج يزينها النور بأكاليل الفضة حتى ايقظه جميل قائلاً ان الاميرة النبيلة « د . د . » ترغب في ان يسامرها ويسكب في فمها خمرة الحب والحياة . . وما هي الا برهة حتى اقلع العاشقان يداعبان الحياة على ضوء القمر

مر زمن والاثنان يأتیان كل مساء الى تلك الاماكن الشعرية الهادئة ويودعان في الخضم اسرار قلميها . وفي ذات يوم علم والد الاميرة بحبها لذلك الفرنسي الانيق فانذر ابنته بالرحيل عن البوسفور وهكذا قضت الاقدار العانية ان يفترق ذاك العاشقان فلا يلتقيان ابداً . وقد ألم هذا الافتراق الكاتب العاطفي ألماً عميقاً وجرحه في صميم قلبه . ثم اشتد عليه الغرام فكان يصرف ايامه ولياليه دائماً في تلك الربوع المحتفظة بآثارها والشاهدة على ايامها الماضية

اثرت هذه الحادثة في نفس الخادم جميل فضى يبحث عن حبيبة سيده الكاتب ، وفي ذات يوم عاد حاملاً منها كتاباً جاء فيه ما معناه : ايها الحبيب

لا تغضب علي يا « بيير » ولا تنسب الي الخيانة . لقد فارقتك مرغمة ، وكان بودي ان ابقى قربك لاقاسمك لذة العيش وخمرة الحياة . . ولكن ما العمل ! بهذا حكمت الاقدار

اني ابكي الآن ايها الحبيب ، وفي دموعي حرارة لازية تحرق فؤادي وتؤلمه . . اريد ان ابوح لك بغرامي . . وان عاشقة مثلي موهنة تفارق الحياة لاجل حبيبها لتستطيع الاعتراف بغرامها . . لقد احببتك حتى آخر ساعة من حياتي . . ابعث لك بخصلة من شعوري لتذكرك بي كلما لمج بك التذكار والحنين !!

ويقع لوتي هذه الرواية بغصة موجعة لا يمحوها الدهر . اما جميل فلم يكن خادماً بسيطاً لا شأن له ، بل كان اديباً ذكياً وافر العلم والتهذيب يدعى جميل بك^(١) . وقد ركن الى هذه الحيلة ليقف على عبقرية الكاتب الحساس ويستلهم روحه المغمومة بالاسرار والتذكارات وبقي امر جميل مكتوماً على بيير لوتي حتى اواخر ايامه . واعتقد ان من اطلمه على خبية جميل

(١) في مذكرات جبران خليل جبران حديث عن جميل بك . وقد كانا يتبادلان الرسائل . وهذه الرسائل تدل على ان جميل بك هو اديب لبناني متكتم ! (المقتطف) يقول احد اصدقاء جبران ان لا علم له بمذكرات جبران ولا يظن ان له مذكرات فحبذا الحال لو جلا الكاتب هذا الامر

بك هو شاعرنا الكبير جبران . وقد عثروا بين اوراق النابغة الفرنسي على كتاب لطيف . اليك بعضه :
« لقد عرفتكَ يا جميل خادماً وفيّاً وصديقاً مخلصاً تركتُ صداقتَهُ في حواشي قلبي أثراً شيقاً .
لكنّكَ أَسأتَ إليّ كثيراً بما خلعتَ على شخصيتكَ من غموض واسرار . وعند ما اذكر تلك
الاوقات التي كنتُ أَمركُ فيها تتملّكني مرارة قاسية مفعمة بالخجل

أما الاميرة الحبيبة التي عرفتها على شواطئ البوسفور فقد اذبل موتها ازاهير آمالي واحلامي
وتراني الآن ابكيها بلوعة وكآبة . ارجوك يا جميل ان تكتب إلي وتخبّرني هل كان ذلك الخليج يحنُّ
إلي ويذكر أيامي الماضية ! !

إنّ المنية ترفرف حولي يا جميل . وعن قريب يجرد الموت أغصان أحلامي المورقة ويمدّني في
ظلمة الضريح . فهل تبكيّني يا جميل وتذكرني بكأمة عذبة رقيقة ؟ من يعلم . . . فالوداع يا صديق
الامس . . . »

فالدمنة البليلة التي تسكبها العين في ساعة اليأس والحزن . . والقُبلة المريرة الدامية التي يطبعها
العاشق على ضريح من يحب . . والسري الذي يحتفظ بنفحات حبيبة تحتها الاقدار من الوجود . .
والحسنة الراقصة على أنات الرباب في ضوء القمر . . فالزفرة التي تطلقها الروح وقد فجعت بأعزّ
امانيها . . فالأمل الخائب والرجاء المتلاشي . . والابتسامة الجافّة على شفّتين مورتين ! ! تلهسها
كلها في كتابات بيير لوتي واقواله

أما اليوم فيرقد هذا الناسك الشعريّ العجيب رقدته الأخيرة في مقبرة من مقابر باريس .
تكتنفه الاسرار بعد مماته كما اكتنفته السامة في حياته . فهل تأسو الطبيعة جراح وحدته
فيكفنه المساء بردائه

ويفرحه النسيم عند ما يهب في الصباح

وتنعشه الزنايق عند ما يفوح عطرها

وتساهره اطياف الليل بعد ان يعانق الكرى ابناء الحياة

وينبت الله في قلبه زهرة التعزية قبل مجيء الربيع وحلول ليالي الافراح ؟ من يدري . .
ان الشرق المتحفّز الآن لتلمّس المثل الاعلى في القلب والروح ، لفي حاجة عميقة الى أن يقرأ
هذا الكاتب ويتفهّم اسراره وحواشيه . وهذه القافلة الادبية السائرة الى الموت بخطى متناسقة
خليق بها ان تطلب الحياة في كتب بيير لوتي ورواياته التي وهجها بحب الشرف وغذاها بحباله

يوسف البعيني

البرازيل

الإغراق في الثورات

مقابلات في فلسفة التاريخ والاجتماع

لمسلم ضباط

عندما نقول « الثورات » يجب ان لا نقصد الفترة القصيرة التي احتدمت فيها معاركها الفاصلة، بل حقبة النضال الطويلة التي تقدمت تلك المعارك أو الحقبة الطويلة التي عقبها وقبض فيها الثأرون على الحكم وحققوا افكارهم. كذلك يجب ان لا نحصر انفسنا في تلك الفكرة المبتذلة التي تسيء فهم الثورة ولا ترى فيها الا أنهاراً من الدماء المسفوكة وصوراً مروعة من الهيجان والفوضى وطوفان الكراهيات المدمرة، بدلاً من ان تتجلى لها فيها الانقلابات الاجتماعية العميقة، ومشاهد الصرح التاريخي الذي يتدرج عليه الانسان نحو تحقيق خيره وخير ابنائه، او التعبير عن مطالب جماهير بشرية معذبة قد تتحقق لها تلك المطالب في ثوراتها وقد لا تتحقق، وقد تتقدم بها نهائياً او تتوقف او تتأخر لوقت خفسب. غير اننا ايضا يجب ان لا تفوتنا ملاحظة خاصة راقت معظم الثورات، وهي خاصة الاغراق. فان كل الثورات أغرقت في بعض ما قامت ضده. تعدت حدود النعمة على ما في عدوتها من شرور الى الوقوع في شرور تقابلها، والاصابة بالعمى او التعمي عن ما قد يكون في تلك العدو من خير، مبتعدة في الجملة عن هذه الفلسفة اليونانية الرصينة، العاقلة التي كانت تعبر عنها لفظة « الاعتدال ». اقول كلها — مستثنياً فقط ثورة العمال والفلاحين في بلاد الروس. والان خذ على هذا الكلام بعض الأمثلة:

تطرفت الحركة المسيحية في كره وئذيات العالم الروماني ورذائلها الترفيفية (من ترَف) حتى مال بها تطرفها الى الناحية المقابلة. ولنسق كشاهد على هذا الادعاء مظهراً واحداً مما اطمعت به تلك الحركة، هو المظهر المختص بالعلاقة بين الرجل والمرأة. فقد كان حبس الطلاق والانفصال بينهما رخواً جداً عند الرومان، وجاءت المسيحية فانقلبت على هذه الرخاوة انقلاباً « طبوياً »^(١) مغرقاً، حتى جعلت الطلاق مستحيلاً او شبه مستحيل. كانت العلاقة بين الرجل والمرأة على انحلال عرقي وقانوني في « الأخلاقية » الوثنية^(٢)، فصارت على جمود وانحباس ديني مضمن في الأخلاق المسيحية.

(١) من « طبو » المقابلة لـ Taboo، وتعني « المقدس » او « المحرم » من الاشياء عند الهمج، وآثارها عند المتدينين (٢) يستثنى من هذا علاقة الامة بسيدها والعبد بسيدته، اذ انهما كانا مرتبطين بمولاهما ارتباط عبودية مطلقة، حتى اذا كانا يستعملان الاستيلاء او الالتذاذ الجنسي ولم يكن بوسعهما ان يمتنعاً عملياً عن ذلك بطريق الانفصال لعدم الاعتراف بقدرتهما عليه

كان الشكل الوثني لهذه العلاقة رذيلةً وشرًّا ، بمعنى أنها مضرّة ، فصارت الى ما يماثل هذا في شكلها الجديد في العهد المسيحي

ان الدقة التي ساقّت سفينة العلاقة الزوجية في الحالين معاً كانت دفة نظام الفردية والملكية الخاصة المطلقة في صورته القديمة . وإقامت كل الثورات الناجحة في الماضي بدوافع مطامع الملكية الفردية ^(١) واخلاؤها وغايتها ، فقد ارتكبت كلها تطرفاً أهوج ينتج عن اعتبار حرية التنافس والتحارب من اجل استعلاء الفرد على الفرد واستغلاله ، ومن ثمّ طبقة الافراد المستعيلين على طبقة المستضعفين واستغلالهم استغلالاً قانونياً ومقبولاً وطبيعياً . ذلك لان اعتبار هذا الاستبداد حالاً لشيء دائماً يقتزن في النفس بنزعات التطرف والاغراق في امداد الانانية بمطامعها ، في تحقيق هذه المطامع بكل وسيلة . وهذه الانانية الفردية ، الاباحية المطامع ، كانت تجعل الرجل مالكا للمرأة عند الرومان يرميها عندما يحلو له ، الا اذا كانت غنية وذات اسرة قوية تشد ازرها فترميها وقتذاك ساعة يحلو لها هي . ثم ان نفس هذه الفردية الاباحية في الملكية المطلقة للقوي او للغني بادت عند المسيحيين فقيدت المرأة بالرجل تقييداً لا انفصام له

خذ مثلاً آخر :

كان تراخي العلاقة بين المرأة والرجل قبل الثورة الفرنسية من مميزات النبلاء الاقطاعيين ، الحائمين حول البلاط كالفراشات الزاهية ، حتى ان شاعرهم «لافونتين» كان يتهمهم في اشعاره «اقاصيص واخبار» ^(٢) على «البون بورجوى» (اي البورجوازي الطيب) لتماسك اخلاقه الجنسية . كان هؤلاء النبلاء على هذه الحالة رغم القيود المسيحية التي صارت في بيئتهم الى وجود شكلي . ولكن بعد ان نشبت الثورة الفرنسية الكبرى ، وكانت نتيجتها ان فازت البورجوازية واستقرت (وهي طبقة من الاقلية استخدمت جماهير الشعب وطبعته بنزعها الخلقية ، متوسلة به دائماً الى جعل نفسها اقطاعية جديدة مؤسّسة على رؤوس الاموال بدل الارض ، افلست من قيود الزوجية المسيحية التي كانت تربطها نوعاً ما قبل الثورة ، وراحت تتخلّق برخاوة النبالة الاقطاعية ، ممعنة مغرقة في هذا التخلّق ، متخلصة بعنف وسرعة وهوس من قيودها السابقة ، مرخية الحبل لاهوائها وغرائزها ارخاءً كاد يكون جنونياً احياناً . كانت كأنما تنقم بذلك مما كانت تجد في الاقطاعية ، وفي اخلاقها المسيحية الخاصة سابقاً ، من ضغط وكبح جاح فرديتها و«حق» تملكها وتحقيق مطامعها . وهكذا نجد عداوة القائمين بالثورة لسالفهم قد حدت بهم الى الاغراق في التشبه بهم كما حدت بالمسيحية الاولى الى الاغراق في الابتعاد عن سلفهم وهكذا أيضاً نجد نزعة الاغراق هذه من مميزات الثورات القديمة الناجحة التي كانت تدعو اليها

(١) يقول ماركس وانجلز في بيانهما (عام ١٨٤٨) : « كل الحركات التاريخية السابقة كانت حركات الاقلية ، او لمصلحة الاقلية » . (ص ٢٠ — طبعة «مارتن لورانس» — لندن)

(٢) الخبر لغة في الرواية ، ولذا ترجمنا اسم اشعار «Contes et nouvelles» كما ذكره

مصالح الطبقات الطالبة للسيطرة ، وان هذه الثورات تشابهت ضمن نطاق نظام متشابه في صورته المتنقلة ، لما يقوم عليه من اساس ومبادئ اباحة التنافس الفردي والتملك الخاص ، من ارضاء العنان بالتالي للمطامع والشهوات في ميدان حُرِّ رُبُّهُ القوي او الغني

غير اننا اذ ندرس ثورة العمال والفلاحين ، التي تختلف بصراحة عن جميع الثورات القديمة الناجحة اختلافاً جوهرياً من حيث انها لم تقم بدافع من دوافع طلب السلطة على اساس التنافس الفردي ، او دوافع نقمة مظلومين حائرين متمردين خسب (كحالة الثورة السبارتا كوسية ضد اسيايد روما او حرب الفلاحين في مفتتح عهد الاصلاح اللوثيري في المانيا) ، بل اشتعلت من اجل محو كل سلطة استبداد وتملك واحتكار فردي او طبقي — نعم ، اذ ندرس هذه الثورة بدقة وحياد علمي نجد ان ذلك الميل الى الاغراق في الهوى الاباحي الفردي لم يكن ليظهر الاً بصورة عرضية ، ووقتية زائلة ، لم تكن الاً من بقايا النزعة الخلقية في العهد القديم . وما ذلك الاً لانها كانت ثورة ترمي الى عقل المطامع الفردية — الاً لان هذه المطامع وثوراتها وحركاتها ونظمها هي التي تنساق معها انسياقاً دائماً غير وقتي وغير عارض ، كل المظاهر الهوج والانهزافات المتطرفة والفيضانات الطغيانية المشوهة سواء كانت عقلية او مصلحية او عصبية او فنية او اخلاقية او حتى — علمية ! هذا الذي « كان » يدعي البورجوازيون انهم يضعونه على الحياض قبل ان تجيء الفاشستية وتعلن الحقيقة !

لقد كان من جملة خواص ثورة العمال والفلاحين في بلاد قياصرة الروس انها لم تعتمد الى الهجوم الحربي الايجابي والتعلق بالفتك الدموي . بل بادرتها بهما البورجوازية والاقطاعية الروسية والعالمية المتحدتان . انها لم تتطرف ، كحال الثورات السابقة ، في نبذ كل ما كان في النظام العتيق ، بل عملت على الاحتفاظ بحيره ونبذ شره ، متحدرة من الوقوع في الرذيلة الاجتماعية المضرة بدافع الكراهية او البغض الاعمى . انها لم تنتقم من اعدائها باصطناع نزعتها الخلقية ، كما فعل بورجوازيو الثورة الفرنسية او الابتعاد عنهم الى الطرف الآخر النائي . بل تمسكت بوسط معقول

ولما كنا اخذنا العلاقة بين الرجل والمرأة مثلاً نتكلم عنه في الثورتين المسيحية والفرنسية ، فلنتكلم عنها الآن بصدد هذه الثورة الثالثة . فان العلاقة بينهما لم تتخذ في هذه ، بعد تسلم العمال والفلاحين السلطة ، لصفة الانحلال الاقطاعي البورجوازي ولا صفة الارتباط « الطبوي » المسيحي الشديد . فلما قام بعض الشبان المتحمسين ، الذي كانوا لا يزالون متأثرين بشيء من النزعة العقلية في النظام الراحل ، بمظاهرات يدعون فيها الى خلع كل حائل يقوم في سبيل الاجتماع المطلق بين الجنسين ، وراحوا يزنبون صدورهم بأشرطة كتبوا عليها عبارات مثل : « ليسقط الحياء » ، هب لينين ورفاقه الى عقل هذه الموجة الهستيرية والى تنبيه اولئك الشبان الى خطأهم العظيم ، وتبيان الشرور الكامنة في الاغراق في الاهتمام بالاجتماع الجنسي

وان هذا ككل شيء آخر يجب ان يتبع نظاماً مفيداً ، نظيفاً ، جميلاً ، يجمع بين مطالب الثقافة وحاجات الحياة . وحاضر لنين وقتئذٍ محاضرات قوية بديعة في الموضوع ، وحدثت شيخة الثورة ، الرفيقة الألمانية « كلارا زتكين » حديثاً طويلاً جاء فيه ما معناه : « اي انسان عاقل لا يألف من الشرب من كأس شرب منها اناس قبله »

ثم لما ظهرت في تلك الثورة ، من الناحية الاخرى ، دعوة الى نوع من الزهد « الرهبانية » المنحرف تقول بعدم وجوب وجود « الكومفور » ^(١) في حياة النظام الجديد ، أجاب ستالين على اولئك بالنيابة عن الحزب الشيوعي الدعاة في المؤتمر السابع عشر للحزب المذكور . بتسخييف نظرهم هذه ، وبإفهامهم ان العمال والفلاحين وعلماءهم ينتجون بالاشتراك اكبر قدر ممكن من المستهلكات ووسائل الراحة ليوجدوا للانسانية سعادة التمتع بما تنتج . وهكذا رى التعقل الرصين الذي اخذت به ثورة العمال والفلاحين ، التي لا تميل مع مطامع فردٍ او طبقة من الافراد القليلين ، او تنطبع بطابع نظامهم الذي تسود فيه العقلية التي تقبل إشباع الشهوات والمطالب الاستبدادية المرخي لها العنان كشيء ، ليس فيه اذى عظيم أو كثير ما يقال . بل تميل الى اراحة المجموع الأكبر ، ومن بعده المجموع كله ، وتنظيم علاقته بعضه بعض تنظيماً معتدلاً ، فضيلاً ، صحيحاً ، ونظيفاً

ومما يحضرني الآن من المقابلات مقابلة خطرت لي بين موقف كلٍّ من ثورة تركيا الوطنية والثورة الشيوعية الاجتماعية من اللغة . فان تركيا ، التي مازال طابع البورجوازية على ثورتها الناهضة قوي الدمغة ، قد انحرفت في مجال اصلاح لغتها الى ناحية في تفقيرها . الثورة التركية الوطنية على حقٍّ من الناحية القومية الوطنية في محاولتها قطع كل دابر للتأثير السيء الذي كان له ان يفيض من بقايا الحياة العثمانية ، ومن استطراد العلاقات السابقة مع سائر اجزاء الدولة العثمانية . غير انها ، كما يبدو لي اغرقت في ذلك حيث مالت الى التخلص من الكلمات الفارسية والعربية التركية . فلنخير اللغة ان يكون الاهتمام في ابداع كلمات جديدة وفي استعارتها من لغات حية ، اكبر مما يكون في إضاعة الوقت في العمل على قتل الكلمات التي تموت من نفسها اذ لم تعد مفيدة أو ملائمة للحياة التركية الجديدة ، وتبقى حية اذا كانت تفيد او تلائم . ان الثورة ابدعت واستعارت ، ولكن كان عليها ان تبذل وتستعير دون ان تتحسس في القتل . ذلك لانه كلما كان في اللغة الفاظ حية مستعملة (ولا يكون التعمد في احياء الميت منها مفيداً ، كما تفعل الجماعات اللغوية في الغالب) مهما كان مصدرها ، أثرت اللغة وآلانت من نفارها وأسلسست من قيادها وساعدت العلم والادب والفن والثقافة على الارتقاء ،

(١) اي ان تمتع بأسباب الراحة والطعام نينة الجسدية ، التي نهيوها الوسائل والمخترعات والاتجاهات المتوافرة في الحضارة الصناعية والزراعية العظيمة في العصر الحديث

وسهلت العمل على اصحابها . ليس كل ما في الماضي مما يحسن بنا او مما نستطيع قذفه في سلة المهملات ، وليس كذلك ، كل ما فيه مما يحسن او يستطاع عدم قذفه في هذه السلة المباركة !

اللغة وآدابها اثنان ما ننتزعه من الماضي لفائدة الحاضر ورفاهه . وكيفما كانت هذه اللغة ، فلها تبقى تراثاً موهوباً يحسن بنا ان يُترك تحسينه وتجميله من جهة تقنية ما لا يصلح استعماله فيها للتطور الاجتماعي ، الذي يغني عن جهود الدكاتورة في ذلك ، بل ان قيام النظام الجديد يحتم وقوع هذا التطور

وهذا خير من ان نعود الى التقطيع والتشذيب تشديباً او تقطيعاً اصطناعياً يفقر ذلك التراث اكثر مما يغنيه . ثم ان اللغة هي الشيء الذي يجب علينا ان نوسع فيه ما نستطيع ، مجال تنازع البقاء وبقاء الأنسب . لندخل الى اللغة كل ما يمكننا من الالفاظ ، حتى ما لا يلزم او ما لا يبدو لازماً ، ثم لنترك المجتمع ونظامه وحاجته تنتقي منها ما يلزمها . وكلما رقينا المجتمع ورفعناه وحررناه رقت اللغة وتقدمت وتحررت من تلقاء ذاتها ، لانها أداة المجتمع في اتقائه وتابعه يمشي معه

وما الضرر في ان يكون لكل معنى مترادفات عدة ، واحدة من جذر عربي ، واخرى من اصل فرنسي ، وثالثة من سلالة طورانية ، مثلاً ؟ ان ذلك يعمق تربة اللغة ويسمدها ، يسهل استعمالها على الشاعر والعالم والكاظم ، وعلى الشعب بأجمعه ايضاً . اما اللفظة الجافة ، غير الصالحة ، فتموت من نفسها . وما اكثر ما في العالم اليوم من اكاديميات ومجامع لغوية قد تكون اقل تماوتاً من جماعاتنا اللغوية ، ولكنها مع ذلك تحاول الوقوف احجار عثرة بمحصر الالفاظ في مصدر واحد هو المصدر القديم « العرقي » او العنصري الصبغة (لاتيني ، عربي ، ايراني ، طوراني ، فرنسي ، الماني ، انكليزي ..) دون تطور اللغات و « تموشها » من المصدر العامي الذي هو اغزر ينابيعها والخالق الاول لالفاظها ومن مصدر اللغات الاجنبية الذي تستفيد جميع اللغات فيه بعضها من بعض كأنما هناك تعاون بينها على التقريب بين البشر ، او تعاون بين البشر على التقريب بينها ؟ لكن هل جهود هذه المجامع واختصاصها في التحجير والاصطناع المتكلس يحول دون تطور تلك اللغات تطورها الطبيعي الاجتماعي ؟ كلا ! وهذا اقرب برهان على ما اقول تجده في اخفاق مجامع لغتنا العربية بوجه عام ، كأن همها نشر الجهل وصد الشعب عن سبيل التعلم ، كأنها موكلة بقطع اقية الاغتذاء عن لغتنا المحبوبة وفصم علاقتها بالحياة . ان احداً لا يلتفت الى محاولات هذه المجامع التفاتاً جدياً ، والالفاظ الثقيلة التي تختزنها لا يستعملها سوى نفر من اعضائها ولا يقرأها سواهم . اما في بقية العالم ، فمثل هذه المجامع موضوع للتفحكة عند المفكرين ، وموضوع « مريحي » عند الشعب اذ لا يكاد يدري بوجودها

والآن ، وهذا هو امر اللغة ، نرى ان الثورة التركية الوطنية قد انحرفت ، وهي في سبيل القيام باصلاحاتها العظيمة ، عن جادة الصواب في شأن لغتها بمحاولة احياء الرميم واقضاء الحي . ولقد انحرفت في ذلك باغراق ينتج ضرراً للغة التركية . ولكن ما الباعث على هذا ؟ الباعث هو ان الثورة التركية كانت حتى وقتٍ بورجوازية ، قائمة على اساس فتح السبيل للتملك الشخصي واباحة الميدان لنمو الثروة الفردية ، لنمو التجار وأصحاب الصناعات الناشئة ومن اليهم . ذلك انه لما كانت البورجوازية التركية قد وجدت نفسها في حالة حرب مع بورجوازيات اجنبية ضخمة تحاول سلبها ذلك السبيل والميدان ، فقد عمدت الى استخدام كل وسيلة لتأمين مصالحها الخاصة . ومن هذه السبل ، عدا الاصلاحات الانشائية الواسعة ، المفيدة للبلاد عموماً ولها خصوصاً ، كان ذلك « الاصلاح » اللغوي الذي لم يكن في الحقيقة اصلاحاً بل « وسيلة » . وسيلة لاثارة روح الوطنية في الشعب ضد الاجنبي المخطر المضر ، المعادي لهضة الاتراك . والروح الوطنية حقاً وفضيلةً كانت كحالتها في تركيا او الحبشة مثلاً ، او ظالمة ورذيلةً كانت كحالتها في المانيا وايطاليا مثلاً ، هي التي تعتمد عليها كل بورجوازية كأساس وقوة لتحقيق مطالبها او مطامعها

وقد يكون (وغالب الامر كذلك) أن مصلحة الطبقات العاملة في تركيا كانت في ان لاتعارض بورجوازياتها في غلوها طالما انها لا تزال وطنيةً دفاعيةً مناهضةً للاستعمار ، فتتقي هذه الطبقات بذلك غائلة البورجوازيات الاستعمارية التي ترمي الى التسلط على جميع الاتراك بالسواء . كذلك قد تكون في جانبها فائدة موقته ، هي نتيجة حالة سيادة النظام الاستعماري في معظم العالم (وهي سيادة تسير نحو الاندثار بسرعة لخروج الاستعمار عن مصلحة الجمعية عموماً وعدم استطاعته تأمين حق البقاء لها ، الامر الذي يعاكس ارادة الجمعية واعمق غرائزها ومقاصدها) ، فلا تأسف كثيراً لتطرف بورجوازياتها الفتية في قطع كل صلة باقطار اخرى لا تزال محنية الهام لانس يحكمونها بالحرب واسم الاديان والتدين

لكن عندما تقوم الطبقات العاملة في تركيا بثورتها الصافية ، الخالصة من كل ضرورة قاهرة تفرضها عليها طبيعة التحارب في النظام الذي لا يزال صاحب الصبغة الظاهرة في اغلب المجتمع — انها عندذاك تعامل لغتها بغير ما تعامل به اليوم من الاغراق في جزّها . انها عندئذٍ تسير السير المعقول ، المتشد المنفرد الذي حُتِّم على ثورات الطبقات العاملة ان تمشي على صراطه بطبيعتها الانتاجية ، المناقضة لكل تخريب وغلوٍ في اهواء المصلحية الفردية

هنا نصل الى قمة المقارنة التي قصدناها ، لان هذا الصراط المستقيم عينه هو الذي سبقت الطبقات العاملة الروسية شقيقتها التركية الى السير عليه ، هو الدرب والخط الذي ابانه زعيمها ولسان

حالتها ، لنين ، بوضوح ودقة ، في تعاليمه . ذلك ان فريقاً من الناشئة اغرق أيام الثورة الاولى في محاولة تجديد اللغة كما كان اغرق زملاؤهم الآخرون في مسألة علاقات الجنسين . لقد كان هؤلاء الشباب لا يزالون تحت تأثير شيات تتلاشى من عقلية التطوُّح البورجوازي ، تلك النزعة العقلية التي تميل الى المغامرة والمغالاة في كل شيء من دون تدقيق الحساب تدقيقاً جامداً سليماً لغير المصالح الفردية والطبقية الضيقة التي تملك قيادتها . لذا كانت هذه الناشئة يومذاك تتحمس في تمرداتها على القديم حتى حدود نكران كل شيء فيه ، حتى الحد المضر غير المعقول في نكران لغتها ، في الاستسلام الى النعمة العمياء على طائفة كبيرة من الفاظها واساليب تعبيرها وامثالها وقواعدها ، وبالايجاز : من كل هذه الذخيرة اللغوية العريضة ، التي يخلقها تطور عصور طويلة دع عنك اجيالاً متراكمة من الاختبارات والتحسينات وتكوُّن النفسية والعقلية الشعبية ، التي خلقها وهذبها جمعية انسانية بأسرها والتي صفّاها تاريخ كامل لشعب كامل في غرباله العظيم

فلما رأى لنين هذه الميول الفوضوية ، المؤذية والسابقة لوقتها ، راح يخصص وقتاً ، وهو غارق مع رفاقه في بحر مُضطرب من مهام الدولة الجديدة ومشكلاتها لدرس المسألة ودحض حجج ذلك التهور الذي وقع فيه الشباب الفأزون . واني كثيراً ما اذكر قول هذا الرجل في كتابه « الدولة والثورة » :

« لكن الحياة ترينا في كل خطوة من خطواتها ، في حيِّز الطبيعة وحيِّز المجتمع معاً ، أن آثاراً من الماضي تبقى في الحاضر . لذلك لم يكن ماركس متحكماً لما أدخل شيئاً من « الحقوق البورجوازية » في الشيوعية . بل انه لم يفعل سوى تقرير ما كان محتم الوقوع اقتصادياً وسياسياً في مجتمع يخرج من رحم الرأسمالية »

وهكذا نجد الاغراق منحصراً في الثورات التي تحركها دوافع المطامع الفردية ، مطامع طبقات الأقلية . ومن هذه النتائج العديدة واحدة يجدر عدم المرور بهامراً الكرام . ان هذه الثورات هي التي خلقت في الدرجة الاولى تلك الفكرة المبتذلة الشوهاء ، التي لا ترى في الثورة إلا انهار دماء ، التي تحب ان لا تخلو من الدماء . ذلك لان جميع الثورات الناجحات والسابقات لثورة الطبقات العاملة غالين في التقتيل والتدمير

لقد كانت البورجوازية الفرنسية في ثورتها الكبرى كثيراً ما لا تدري لماذا تقتل وكثيراً ما كان منظر المقصلة تحزُّ الاعناق يلذها ويشعرها بالطمأنينة . ولم تقف عن استعمالها إلا لما رأت بأنها اخذت تقاذف رؤوس بعضها البعض

ألفاظ الآلات الزراعية

للمبر مصطفى الشراي

هذه جملة من الالفاظ العربية لأهم الآلات الحديثة المستعملة في الفلاحة اعرضها على ارباب الزراعة وعلى اساتذة المدارس الزراعية لعلمهم بقتبسون منها ما فيه فائدة لهم ريثما يأتيهم المجمع المغوي ومجلته بأصلح منها ١

✽ آلات تهية التراب ✽ — أهم الآلات الزراعية المحراث . والمحراث الحديث اي الأوربي يتركب مما يلي : اولاً — أداة أصلية تحمل سائر الأدوات تسمى Age وبالعربية السلب والسلب والوَيْج . ثانياً — أداة تشق الأرض عمودياً وهي السكين Coutra . ثالثاً — أداة تفصل كتلة التراب أفقياً وتسمى المقطع Soc . رابعاً — أداة تقلب كتلة التراب المفصولة اسمها المقلب Versoir . خامساً — أداة يرتكز المحراث عليها فتزحف به فهي اذن الميزحف Sep . ويكون المزحف عقب يسمى عقب المزحف Talon du sep . سادساً — أداة يعين بها عمق الحرث وعرضه وهي الميزان Régulateur سابعاً — أداة يقبض الحرث عليها لتسيير محراثه وهي المقوم والمقبض والدستق Mancheron والمحارث الحديثة انواع يسهل إيجاد الالفاظ العربية لها بترجمة الالفاظ الاعجمية كالمحراث العادي وذو العجلة وذو العجلتين وذو المقطعين وكثير المقاطع Polysoc وذو الصفائح او الأقراص ch. à disques ومحراث الكروم والمحراث المتقلب ch. tourne-oreille ومحراث النقب او محراث الخرق ch. défonceuse ومحراث الجث ch. déboiseuse ومحراث الجدول او محراث الفلجان ch. rigoleuse الخ

ومن الأدوات اليدوية للحرث الأداة المعروفة التي تسمى المر Bèche وهو محراث صغير الأكارين والبستانيين . ويكون على اشكال منها العادي والشوكي والمثلث . ومن الأدوات التي تنفذ في الأرض بالضرب المِعول Houe . واستعملنا له ايضاً لفظة المنكاش لأن الفلاحين في الشام وفي لبنان خاصة يسمونه « المنكوش » . وبعد ان تحرث الأرض تمشط بالة تسمى المشط Herse . والغاية من التمسيط تسوية سطح التراب وتجزئة الكتل الكبيرة منه وقلع بعض النباتات المضرة وغير ذلك . والمشط اشكال منها المشط الزاحف H. trainante والدائر H. rotative ومفتت المدر H. émotteuse والمفصلي H. articulée والمرن H. souple والكندي (نسبة الى كندا) وذو الصفائح H. à disques ويستعملون في الأرض الصلبة المندجة بدلاً من المشط آلة تسمى Scarificateur و Cultivateur وهي المسلفة والكاربة والمسحفة تحرث بها الأرض حرثاً سطحياً فتقبعر ذرات التراب وتسوي ولا تقلب . ويكثر الأوربيون من استعمال الممسسة او الممساة Rouleau وهي اسطوانة تضغط التراب وتجمع ذرائه وتسوي سطحه وتجزئ المدر وتغطي البزور الدقاق وتقتل بعض الحشرات . وهي على أشكال الممساة الراصة R. plombneur ومفتتة المدر R. brise-motte والمحططة R. marqueur والمماوجة R. ondulé الخ

وبعد ان تزرع الأرض ربما لزم حرت سطحها وتسوية ترابها وتهويته وقتل الأعشاب المضرة
وبعثة ذرات التراب لمنع انطلاق ماء الأرض بخاراً . فالعمل الذي يضمن هذه الغايات يسمى العزق
والأداة التي تستعمل فيه هي المِعْزَق Bineuse . والمعازق اشكال منها اليدوية ومنها التي تجرها الدواب
﴿ الآلات السائرة ﴾ — فلما يبذر الأوربيون البذار نثراً باليد ولا سيما في الأرض المتسعة ،
بل يبذرونها بواسطة المبذر Semoir وهو يوزع الحبوب على خطوط منتظمة وبطمرها في اعماق
متساوية . ومتى استحصد الزرع يحصدونه إما بالمِنْجَل Fauille وأما بالمِقْصَب او الحاصدة
(السيف) Faux وأما بالمِحْصَد وهو آلة الحصاد Moissonneuse . والمحصد الجامع M. javelouse
هو الذي يجمع الحصاد كدراً أو غُبُوطاً javelles ولا يربطها . اما المِحْصَد الرابط M. lieuse
فهو يربطها . والآلة التي يُحْش بها الكلاً في المروج تسمى المِحْش Faucheuse . ومتى حصد
الزرع يلبث كثير من السنابل مبعثرة على الأرض وهو اللَقَط واللقاط فيجمع بالِمِثْم Râteau .
وتنقل الحصاد الى البيدر أو الجَرِين فتدرس بالنورج المعروف أو بالمِدرَس Batteuse يدار
بمحرك أو بساحب Tracteur . ومن المعروف ان الساحب أو الجارّ (او المِسْحَب او المِجْر)
يستعمل ايضاً في الحرث وفي اعمال اخرى . ومتى فصل الحب عن القش وجب غرلة الحبوب لتنتقى .
ويستعملون لهذه الغاية غرايل مختلفة منها الغرال الهوائي Tarare وغرال الاصطفاء او المصطفية Trieur
وفصل حب الذرة والقطن بالمِنْزَع او المِنْقَض Egréneuse . ولتفريق هذه الآلات بعضها عن
بعض تضاف الى النبات الذي تنفض بزوره فيقال مِنْزَع الذرة ومنزَع القطن الخ . والحالج معروفة
ويستعمل الأوربيون خاصة آلة تسمى مِهْشَماً او مِقْطَعاً تضاف الى ما تهشمه مثل مهشم
الكلاً Hache-fourrage ومهشم البقل Hache-légume ومهشم القش Hache-paille ومهشم الذرة
Hache-maïs وهي كلها تستعمل في تهية علف الخيل والأنعام . وكذا الجاروشة او المِجْرش
او المِرْضَخَة او المِرْضاخ Concasseur والمِسْحَق Broyeur
﴿ آلات صناعة الألبان ﴾ يفرزون القشدة عن اللبن بآلة تدعى Ecrémeuse وبالعرية
المِفْرَزة او القَرَّازَة وأهم أجزائها الطَّسّ Bal وأقماعه . ثم تؤخذ القشدة او الكثاء فتفرز الزبدة
عن الخيض بآلة تسمى Baratte أي المِمْحَض والمِمْحَضَة . وبعد ذلك تجرد الزبدة عما يكون
حالقاً بها من سكر اللبن والأملاح والجبنين بأداة اسمها المِعْجَن Malaxeur . ومتى تم ذلك توضع
الزبدة في القوالب المعروفة وتباع . ويستعملون في المحالب اي دور الحلابه المبرِّدات Réfrigérants
ومقاييس كثيرة لفحص اللبن مثل مقياس نظافة اللبن Lacto-sédimentateur ومقياس الحموضة
Acidimètre ومقياس تخمر اللبن Lacto-fermentateur ومقياس كثافة اللبن Lacto-densimètre
ومقياس القشدة Crémomètre ومقياس اللبن Pèse-lait ومقياس السمن Butyromètre . ولأني اعود الى
هذا البحث في مقال ثان فأذكر اسماء الآلات المستعملة في الأسقاء وبعض الصناعات الزراعية وغيرها

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرميحاني

اجتمع لي طائفة من اسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عن لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغراء في بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدميحاني

— ٦ —

خيار الشَّنْبَر

يطلق على شجر وثمر اما الشجر فتكون الواحدة منه كبيرة متوسطة الحجم تكاد تكون ملساء ذات منظر جميل ترتفع من ٢٠ — ٤٠ قدماً وذات اوراق ريشية كبيرة مركبة متبادلة على الاغصان طول الواحدة منها من ٣٠ — ٤٥ سنتيمتراً في كل ورقة من ٤ ازواج الى ٨ من الوريقات المتقابلة البيضية او البيضية المستطيلة الحادة القمة التي يتراوح طولها بين ٥ — ١٢ سنتيمتراً . أزهارها صفر فاقعة جميلة ذكية الرائحة في عناقيد كبيرة معلقة في آباط الاوراق العليا يتراوح طول العنقود بين قدم وقدمين . اما الثمار وهي التي يطلق عليها ايضاً (خيار شَنْبَر) فقرون خرنوبية الشكل لا تنفتح ملساء اسطوانية كل قرن منها مجزأ الى حواجز بينها مساكن البذور التي تكون كثيرة ووحيدة (اي منفصلة الواحدة عن الأخرى) في لب طري لزج اسمر قاتم ذي رائحة ضعيفة وطعم سكري ولون القرن يكون في البدء اخضر ثم يصير الى السمرة فالسواد عند النضج ويكون معلقاً بحامل خاص متجاور مع طائفة من القرون ويتراوح طول القرن بين ٥٠ — ٧٠ سنتيمتراً ونحنه قيراط . ولفظ شنبَر معرب جنبر بالفارسية وهو (خرنوب الهند)

اسمه العلمي (Cathartocarpus fistula, Pers.) (قنار تو قارپوس فستولا) اشتقاقاً من اليونانية Kathairo يسهل و Karpos ثمرة او (Cassia fistula, L.) (قاسيا فستولا) وفصيلته الخيار الشنبرية او السنائية (Caesalpinaceae) سيزالپينياسية

وبالانجليزية (Drumstick Tree; Pudding Pipe tree; Purging Cassia)

وبالفرنسية (Canéficier; Cassier; C. des pharmaciens; C. purgative)

ويقال إن موطنه بلاد الحبشة وانتقل منها الى الهند والصين ومصر وامريقة وجزائر انثيلة والعراق وبلاد العرب التي كان يعرف فيها قبل اكتشاف امريقة . والمستعمل منه في الطب الثمار (القرون) لاشتمال لبها على (القثارتين) (Cathrtin) الذي يوجد في انواع السنسني المختلفة . وهو خليط من العناصر الفعالة المسهلة . ويدخل اللب في عجينة الدخان الانجليزي المعروف . وفي الهند يستعمل قلف جذور الاشجار لاطلاق البطن الشديد . اما قلف الجذوع فيستعمل في الدباغة . ويحصل من الشجر على نوع من الصمغ . وخشبه مندمج ثقيل ابيض يضرب الى الحمرة اذا نشر الواحاً وعرض للشمس صار احمر داكناً خشب البلوط ويكتسب صقلاً جميلاً

الحنّظل

ويقال له (العَلَقَم) و (الشَّرِي) بفتح الشين وسكون الراء . نبات عشبي يخرج اغصاناً وورقاً يفرش الارض . ورقته شبيهة بورقة البطيخ خشنة الملمس من وجهيها ذات ثلاثة فصوص او سبعة ريشية . وازهاره وحيدة الجنس في النبات الواحد (ذكر وانثى) برتقالية اللون تضرب الى الصفرة ناقوسية الشكل توجد فرادى . اما الثمرة وهي التي يطلق العرب على حبها (الهَبِيْد) فستديرة شبيهة بكرة متوسطة في العظم او برتقالة تحوي لباً شديداً المرارة يضرب به المثل اسمه العلمي (Citrullus Colocynthis, Schrad.) (سِترولُّوس قولوسنثيس) وفصيلته اليقطينية او القرعية (Cucurbitaceae) (قوقوربيتاسية)

وبالانجليزية (The Wild gourd, Colocynth, Bitter Cucumber or Bitter Apple Plant)

وبالفرنسية (Coloquinte)

ويقال إن موطنه الشرق الاقصى باليابان وانتقل منها الى الهند فبلاد العرب ومنطقة البحر المتوسط والسودان ورأس الرجاء الصالح ويزرع باوروبا . والمستعمل منه في الطب لب الثمار (Colocynth) يدخل في العقاقير لاطلاق البطن الشديد وكثيراً ما يحصل عليه من ازمير وتريستا وفرنسا واسپانيا . وفي رأس الرجاء الصالح يغتذي اهله بالبذور ويستخرجون منها زيتاً للاستصباح واهل السودان يحصلون من الثمار على نوع من القطران المرّ يطبّون به اديم القرب المملئة بماء الشرب اثناء الرحيل منعاً لتميقيق الابل العطشى لها ويستعملون مسحوق لب الثمار منفرداً او مخلوطاً بالقلقل الاسود لصيانة ثيابهم الصوفية من فتك العشة كما ذكر في كتاب برون وماسي

الخِرْوَع

كدرهم شجيرته في مقدار شجرة التين صغيرة جميلة المنظر سريعة النمو ترتفع من ٥ اقدام الى ٨ معمرة اذا تركت ولكنها تزرع سنوياً في الغالب للحصول على زيتها المشهور كسهل في الطب من قديم الزمن . اوراقها كهيئة الكف شبيهة بورق الدلب خضر او حمر للواحدة سبعة فصوص غائرة . أزهارها مجتمعة في عناقيد غليظة قائمة وزهرات التذكير والتأنيث في الشجيرة الواحدة . ثمارها عبارة عن احقاق متوسطة الحجم خشنة شائكة اطرافها مستديرة . والحق مركب من ثلاثة فصوص كل منها كالاسطوانة في كل فص بذرة واحدة على سطحها بقع وفي احد طرفيها زائدة لحمية . والبذور شبيهة بالقراد او بيض العصافير

اسمه العلمي (Ricinus Communis, L.) (ريسينوس قومونيس) وفصيلته الفربيونية (Euphorbiaceae) (اوفوريبياسية) وبالانجليزية (Castor Oil or Palma Christi Plant) وبالفرنسية (Ricin Commun)

موطنه الاصلي شمال إفريقيا الشرقي ويزرع الآن في بلدان كثيرة بالمناطق الاستوائية والمجاورة لها بأفريقية وآسيا وفي جنوب اوربا في النادر على أنه يوجد برياً في كثير من الاراضي البور من تلك المناطق . وقد عثروا على بذور منه في مقابر قدماء المصريين يرجع عهدها الى ٤٠٠٠ سنة مما يدل على معرفتهم بوجوده نفعه . كما وان قدماء اليونان والرومان استعملوا زيتة مسهلاً واستضاءوا به في مصابيحهم كما يستضاء به الآن في الهند بالسكك الحديدية لتفضيله على الزيوت الاخرى لبطء احتراقه وابيضاض ضوءه الشبيه بالضوء الكهربائي ولرخص ثمنه وامتناع خطره الى غير ذلك كما جاء في كتاب زراعة المنطقة الحارة تأليف السير ه . ا . نيكولز المطبوع في سنة ١٩٢٩ ويفتفع به ايضاً في تزييت الآلات الميكانيكية والساعات ويدخل في صناعة انواع من الصابون واخلاط بعض المراهم والزيوت العطرية . هذا وقد عرف من قديم ايضاً ان اوراق الخروع اذا غليت ووضعت على الثدي ساعدت على ادرار اللبن وانها اذا استعملت بمحالتها الطبيعية ساعدت على انحدار الطمث (الحيض) واذا استعمل قلف الجذر كان مسهلاً . وفي بلاد البنغال من الهند تستعمل الاوراق لتغذية دود القز . واهل السودان يصنعون عجينة من اوراق الخروع يضعونها على رأس المريض بالصداع لشفائه

اللبَّخ

جمع واحدته (لَبَخَة) وهو شجر كبار يرتفع الى ١٦ أو ١٨ متراً وقلف جذعه املس اسمر اللون قائم . اوراقه من نوع الورقة الريشية المركبة المضاعفة يكون في كل ورقة من زوجين الى اربعة

من الوريقات الريشية في كل واحدة من هذه من ٥ أزواج الى ٩ من وريقات ليست ريشية غير متساوية الجانبين الواحدة منها بيضية الشكل مستطيلة يتراوح طولها بين ٢٨ — ٣٠ ملليمترًا مستديرة الطرفين. وأزهاره تضرب الى الصفرة والخضرة مجتمعة في رؤوس رأحتها ذكية ترغها النحل وهي المعروفة في مصر (بذقن الباشا) وغارده قرون رقيقة تضرب الى الصفرة الفاتحة مستطيلة تبلغ ٣٠ سنتيمترًا طولاً و ٥ عرضاً

واسم الشجرة العلمي (Albizzia Lebbek, Penth.) (أَلْبِزِيَا لِبِّك) وفصيلتها السنطية او المستحية (Mimosaceae) (ميموزاسية)

وبالانجليزية (The Siris—Acacia; Egyptian Acacia; “Woman’s Tongue” of W. Indies) وبالفرنسية (Acacie de Malabar; Bois à feu; Ebénier d’Orient)

ويقال إن اصل هذا اللبخ من بلاد الهند الشرقية وإن كان دائماً الآن في جنوب آسيا ووسطها وشمال إفريقيا ووسطها وإريقية وأستراليا. وقد أدخل الى مصر والسودان واستنبت فيهما كشجر للظل والزينة وكثر انتشاره وخاصة في القاهرة وضواحيها فقد كانت تزين به الشوارع الى ما قبل الحرب العظمى ثم ازيل بسبب فتك آفة بق الهبسكوس الدقيقي وللاتنفاع بمحشبه اذ ذاك وخشبه ابيض يضرب الى الصفرة او السمرة مندمج قابل للصقل يستعمل في النجارة كثيراً وخاصة في صناعة المحارث ومراكز العجلات المعدة لحمل الاثقال وانتفاطات اخرى. واهل السودان يستعملون قلفه في الدباغة كما يستعملون بذوره قابضة ويحصلون من اشجاره على صمغ يشبه الصمغ العربي

أما ما ورد في كتب اللغة والنبات والآثار كتاج العروس للزبيدي وكتاب الافادة والاعتبار للبغدادى ومفردات ابن البيطار وحاصلات بومباي الاقتصادية لبردود وبغية الطالبين لاحمد باشا كمال فيصف نوعاً آخر من اللبخ اختلف في اسمائه وصفاته. ففي التاج ان شجرته عظيمة مثل الدلب ثمارها خضر كالفم حلو جداً لكنه كريبه ولا ينبت الاً بانصنا من صعيد مصر وهذا رأي ابي حنيفة الدينوري وقيل إن شجرته عظيمة مثل الأثابة (نوع من التين البري) او اعظم ورقها شبيه بورق الجوز ولها جنى كجنى الحمّاط (التين الجبلي) مرّ اذا أكل اعطش واذا شرب عليه الماء نفخ البطن حكاه ابو حنيفة المذكور وانشد:

من يشرب الماء ويأكل اللبخ ترم عروق بطنه وينتفخ

قال: وهو من شجر الجبال. قال صاحب اللسان اخبرني العالم به انه رأى شجرة بانصنا وذكر انه جيد لوجع الاضراس واذا نشر خشبه أرعف نائمه وينشر الواحاً فيبلغ اللوح منها خمسين ديناراً يجمع له اصحاب المراكب في بناء السفن وزعم انه اذا ضم لوحان منه ضمّاً شديداً صارا لوحاً واحداً والتجما

وفي المقرزي في كلامه عن مصر : وبها اللبخ وهو ثمرة قدر اللوز الاخضر كان من محاسن مصر
إلا أنه انقطع قبل سنة ٧٠٠ هجرية . قال دليل (Delile) إن البحاث دي ساسي (De Sacy) اوصافتي
الى تقرير ان اللبخ الذي اطلق اسمه على جملة اشجار اخرى انما هو الهجليج في بلاد النوبة وبلاد
العرب وهو نادر الوجود في مصر وقد اُسميه (بالانيتس ايجيپتياكا) (Balanites Aegyptiaca, Delile)
وانا لا اشك كذلك في مشابهته الى (پرسيا) (Persea) عند القدماء وانها ترجع الى (پرسيا)
(Persica) اي الخوخ في بعض الآراء . وفي بغية الطالبين ان اللبخ يسمى (ميموزوپس شمپري)
(Mimusops Schimper, Hochst.) وهو شجر كثير الوجود قديماً في ارض مصر ولذا وجد في
المقابر كثير من اثماره وأوراقه الشبيهة بورق الصفصاف كانت تنضد في اكاليل الموتى . وحقق
(كُنْث) (Kunth) ان ثمرة النبات المسمى (ميموزوپس النجي) (Mimusops Elengi) هو الذي ذكر
ضمن الفاكهة المدونة في صحيفة ٤٥٤ من مجموعة بسالكا . وخالفه (أنجر) ذاهباً الى انه ثمرة الخاط
(المخيط) الشهير بمصر (ويؤيد رأي أنجر ما قال بردود في كتابه ان المخيط اعتبر پرسيا القدماء
التي تنسب الى بالانيتس ايجيپتياكا ومن المحتمل كثيراً انها المخيط والبرقوق المصري الذي ذكره
پليني (Pliny) وكان يصنع من خشبها توابيت الموتى) . وظن شوينفورت ان الشجرة المسماة
(ميموزوپس شمپري) التي لا وجود لها الآن الا في بلاد الحبشة هي المعروفة عند قدماء المؤرخين
باسم (پرسيا) وهي التي اسهبوا فيها الشرح واطالوا الكلام

ومما تقدم يتخلص ان اللبخ انواع : اولها اللبخ المسمى علمياً (البزيبك) وهو من الفصيلة
السنطية وسبق وصفه وانه ذائع في جنوب آسيا ووسطها وشمال افريقية واستنبت في مصر والسودان .
وثانيها ما ورد في كتب اللغة المختلف في اسمائه وصفاته وقيل إنه كان في صعيد مصر قديماً ويسمى
الهجليج وسماه دليل (بالانيتس ايجيپتياكا) وقيل بمشابهته الى (پرسيا) وهو من الفصيلة
السياروبية (Simarubaceae) . وثالثها ما في بغية الطالبين من ان اللبخ يسمى (ميموزوپس شمپري)
من فصيلة (Sapotaceae) (ساپوتية) وعلق عليه (كُونْث) (و شوينفورت) الذي قال إنه لا وجود
له الآن الا في بلاد الحبشة وانه هو (پرسيا) . ورابعها ما ذهب اليه (أنجر) مما يشعر بأن لبخ
القدماء هو المخاط (المخيط) (Cordia Myxa) (كورديا مكسا) بدليل ان الثمر الذي وجد في
مقابرهم هو ثمرة المخيط والذي كانت تصنع من اخشابها توابيت الموتى . فاذا صح انه المخيط نسب الى الفصيلة
الشنجارية اي فصيلة لسان الثور (Boraginaceae) (بوراجيناسية)

هذا ولا بد من الاشارة الى ما وقع من الاختلاط في التسمية بكلمة لبخ فهي على ما افهم في
كتب العرب اسم موضوع للنوع القديم . وقد اطلق اسم اللبخ على (البزيبك) لاعلى انه اللبخ
القديم بل اخذاً من كلمة (لبك) الموجودة في الاسم الحديث ومن ذلك حصل الاختلاط والا فهما
نوطان من فصيلتين مختلفتين

المثنوي

للسَّاعِرِ الْقُرْصِي

نبيُّ ولو ضجَّتْ شيوخٌ ورهبانُ وهل بعد إعجاز ابن كندة برهانُ؟
وكلُّ كلامٍ يرفعُ النفسَ منزلُ وكلُّ مقالٍ يفسدُ العقلَ بهتانُ

تحْيِيكَ يا نسرَ القريضِ بلابلُ يعيبُ عليها الشدو بومٌ وغربانُ
إذا أنت أرقصتِ النجومَ ترنحتِ أزاهيرُ من تغريدهنَّ وافئانُ
فيألك من نسرٍ له زارٌ ضيغمُ زمازمه في مسمع الدهرِ ألحانُ
تخطى سماءَ العبقرينَّ وانجلتِ له خلفِ أكوانِ الأنامي أكوانُ

لك الله تطوي شاسعَ البيدِ عاقداً على (الزنج) (١) ما عيت به البيض (حمدان)؟
تراعى لك الآمالُ نُضراً دوانياً ففي الصدرِ بركانٌ وفي العينِ بستانُ
إذا غاض ماءُ الجدِّ فالزرعُ مجذبٌ ولو علَّه نيلٌ وغدته أطيانُ ...
وان شئتِ امرأ شاءَ ربك ضده تعجَّبت من عصيانه وهو اذعانُ
وكم رغب الإنسانُ في ما يضرُّه وناح على فقدانه وهو وجدانُ
ولولا رجاءُ الفوز لم ينبِ مضجعٌ بحرٍّ ولم يطمح إلى المجد فتیانُ
ولو هانت الدنيا على كل طالبٍ لما شاقنا ربحٌ ولا شقَّ خسرانُ
ولو حيزَ الممنوع قبل امتناعه على الجهد لم يستوجب العذل كسلانُ
ولو أعلنَ التدبير من وزع اللُّهي على الناس لم يعتب على الحظ انسانُ
وفي الملا الأعلى غناءُ لشاعرٍ وفي الوهم عن مرٍّ الحقائق سلوانُ
رعى الله نجماً أسعدَ الشعرَ نحسه فدمَّكه من دولة الشعرِ شكرانُ
رمي بك في الصحراء عن مصر نابياً وفي النفس عدُّ الرملِ همٌّ واشجانُ
تلفَّتِ الجاساً ومهرِك منصتٌ ورمحك مشتاقٌ وعضبك بقطانُ
وقدَّت قميصَ الفجرِ إلا غلالةً كما شفَّ عن معنك للعمه تبيانُ

(١) يعني كافور الاخشيدي سلطان مصر

وقاضت شآبيب اللجين وفجرت
وعبَّ عباب التبر في كل ساحل
فولت سراعاً خيفة النوء واختفت
وعامت على المد الغيوم كأنها
روائع تنسي طائر الجدهمه
نفذت الى ما خلفهن بناظر
رأيت به ما لا يرى كل مبصر
كأنك في فلك على الفجر ساج
أهبت ربّات الفنون فرتلت
وقاضت مع الالحان من كل ربة
همت فتلقاها براع مقف
تراض به شمس القوافي كأنه
وزلتها للناس آيات حكمة

ألا أي ينبوع سقاك معينه
أصاب «ابن أوس» منه حسوة طائر
وأنت مقيم كارع من دنانه
تعاطيك اكواب الخلود ملائكة
وتسعى اليك الجن تسأل حكمة
يمن علينا الدهر فيك وانه
بك اشتهر العصر الذي انت غره
عيال على ذكراك ذكرى ملوكه
خلدت نخلدت الزمان وهكذا

أبا الطيب استعصت على الطب علة
فأزرى بقدر العبقرى شويعر
ويخشى لها في مهجة الشعر إزمان
وباء بألقاب الخنازيد وزان

اكنـتَ طرحت البوق في الحي جانباً
أحقاً اهاتيف الحماسة خيفة
ألا افتننا فالنقد ضاعت اصوله
وقد نام آساد ورُوع غزلان ؟
وابطالها الغر الميامين صبيان ؟
وشوه وجه الرأي حب وعدوان !

«بني ذر التاريخ ينصف رجاله
أجدنا فجئ الحاسدون وليتنا
أغاروا على الفاظنا بمراقم
لهموا بانتقاد الثوب عما يضمه
وداؤوا بتدمام الغبار عيونهم
فان تلق منهم ما لقينا فلما
بشاعرها فلتفتخر كل أمة
إذا طويت أعلامها فهو بيرق
يهز رفات الغابرين صراخه
وتبعث أبطال وتنضى صوارم
وقفتم على أطلال مجد مضيع
وماذا يرجي الشاعر الحر بينكم
تصرم عهد العز والبأس والندی
خالت سيوف الدولة البيض أعظما

ففي كفه الميزان ان ضاع ميزان
أسأنا في بعض الإساءة احسان
يقر لها بالطعن . . . بيض ومران
وتنتخب الحسنة والجسم عريان
إذا برزت في حلبة الشعر فرسان
هم الناس يا بني لم يزالوا كما كانوا
يهددها بالموت والعار طغيان
وان اخمدت انقاسها فهو بركان
فتنشق ارماس وتنحل اكفان
وتنشر اعلام وتنصف اوطان
خطفكم منه شقاء وحرمان
وما حوله الا امان وعبدان
وبدل من اخلاق (يعرب) (طوران)
ويا ليتهم فيكم «كوافير» سودان

ابا الشعر هذا محفل من محافل
صحا الدهر يستسقيك كأساً جديدة
ألا نهلة أخرى ؟ أما من ثمالة
خلا العرش بعد (ابن الحسين) على المدى
تمر البرايا موكباً إثر موكب
يفتش فيها عن خليفة «احمد»

تهز بها الدنيا بذكرك قحطان
قضى الف عام قبلها وهو سكران
يهش لها صايد وناد وندمان ؟
وعطل من كسرى البلاغة ايوان
يقول خول الشعر والشعر سهران
فتمضي الليالي وهو حيران بأسان



دار الآثار المصرية في قصر النيل



الدور الارضي في دار الآثار المصرية

مصلحة الآثار المصرية

ودار الآثار المصرية وتاريخ انشائها

للركتور حسن كمال

حدث في ربيع سنة ١٨٥٧ ميلادية ان الامير نابوليون ابن عم الامبراطور نابوليون الثالث امبراطور فرنسا وقتئذٍ وصل الى وطنه حديثاً من رحلة بالقطب الشمالي . وكان مموه كثير الحركة قليل القناعة فكان قلقه مدعاة لقلق عمه واحراجيه كثيراً . وتاق سموه يوماً ما الى الذهاب في رحلة الى الشرق فقبولت هذه الرغبة بكل وسائل التشجيع والتسهيل . وكان الارشيدوق ماكسيميليان قد سبقه في رحلة الى مصر واحضر معه آثاراً نالت اعجاب اهل وطنه . فصمم سمو الامير نابوليون ان يقوم بعمل يفوق عمل الارشيدوق ماكسيميليان . فأرسلت افادة بذلك الى سمو والي مصر سعيد باشا الذي قرّر ان يقابل بكل وسائل الاكرام

عندئذٍ اشار (ديلبس) على سمو الوالي ان يبعث في طلب انتداب الاستاذ (ماريت) من فرنسا لمدة ثمانية اشهر فقط وذلك في اكتوبر سنة ١٨٥٧ . فحضر (ماريت) الى مصر فسافر في النيل يبحث في الوادي عن الآثار ويدفن ما يعثر عليه بالتالي في محله حتى يجيء الامير نابوليون كي لا يتجشم هذا الاخير مشقة الحفر والتنقيب

بعد ذلك بقليل وصل الى القاهرة الاستاذ (هينريخ بروكش) الالماني . ورغبة في عدم ضياع الوقت ذهب (ماريت باشا) وقابل الاستاذ (بروكش باشا) في محطة السكة الحديد وطلب منه اعداد نفسه بأسرع ما يمكن كي يشترك معه في الحفريات المطلوب القيام بها

وقد افاض علماء الآثار في شرح هذه القصة بعباراتهم المتباينة . نخص بالذكر منهم (ماسپرو) و (دي مرجان) و (دي روجيه) و (بروكش) وذلك في عدة مجالات اثرية ليس هذا مقام شرحها وبدأت الحفريات في الجزيرة وسقارة والعرابة وطيبة (الاقصر) وجزيرة الفيل ياسوان وعثر على مقادير كبيرة من الآثار وقتئذٍ . واستمر العمل سائراً بنجاح من كل الوجوه الا وجه واحد وهو مجيء الامير نابوليون الذي اعتذر عن الحضور الى مصر « لاسباب هامة » . وفي ٨ يناير سنة ١٨٥٨

ورد نبأ الى (ماريت) من فرنسا بطلب رجوعه اليها وتسليمه اعماله في متحف اللوفر عندئذٍ صمم (ماريت) ان يؤسس له مستقبلًا بمصر . فارسل الى الامير نابوليون انه يمكنه ان يحضر معه مجموعة اثرية لسموه اذا تفضل سموه وممكنه من تأخير عودته الى فرنسا . فأتى

اليه الرد من سكرتير سموه المدعو (فرّيزاني) بأن سموه يكون شديد الامتنان اذا تمكن (ماريت) من احضار « بعض حلي وتماثيل صغيرة وقطع من الفنون المصرية الجميلة مع بيانات بطريقة العثور عليها » فاخذ (ماريت) ما يعتبره موافقاً لذوق سمو الامير نابوليون الملقب وقتئذ بلقب (بلون بلون). ولما وصلت الهدية الثمينة الى الامير المذكور رشح (ماريت) مأموراً للآثار المصرية وذلك بعد مضي بضعة اشهر

هذه باختصار قصة انشاء مصلحة الآثار المصرية وظهورها في عالم الوجود. ومن اهم ما عثر عليه وقتئذ تابوت الملك (كامس) فقد اكتشفه (ماريت) و (بروكش) في ديسمبر سنة ١٨٥٧ في حفرة جهة (دراع ابي النجا). فلما رآه (ماريت) ظنه لا يروق في عين الامير (نابوليون) فأبقاه في مصر حتى حفظ بدار تحف القاهرة. اما جثة الملك فكانت في حالة تحلل تام. حتى انها تفتت بمجرد فتح التابوت. ووجد مع الجثة باطة وتماثيل لاسدين وخانة ملكية ارسلت جميعها ضمن الهدية المقدمة الى الامير (نابوليون). وهي الآن في دار تحف اللوفر بفرنسا

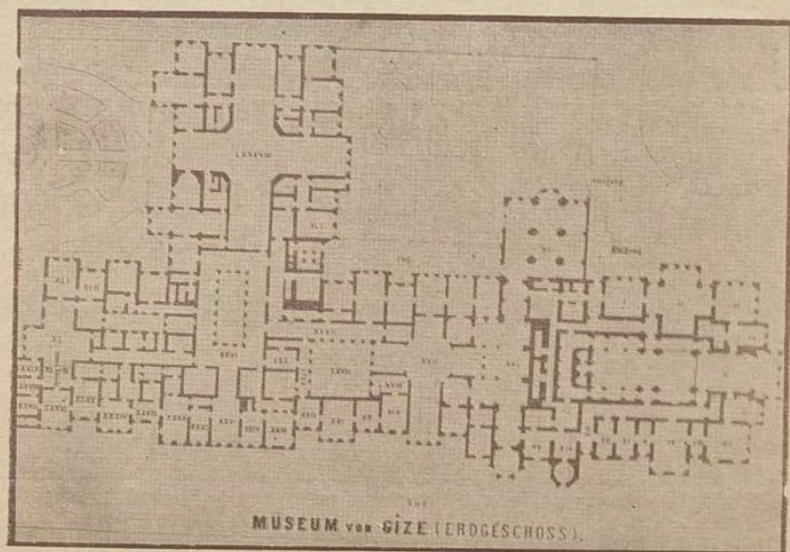
و (كامس) هذا حكم القطر المصري في القرن السادس عشر قبل الميلاد ولما توفي دفن باهرامه بالساحل الغربي بالاقصر. وقد كافح الهيكسوس كفاح المستميت وبعده اتت الاسرة الثامنة عشرة وحكمت القطر بصولتها وجبروتها ثم تلتها الاسرة التاسعة عشرة بعزها وجاها. بعد ذلك اخذ القطر في الاضمحلال وبدأت ايدي اللصوص تعث بمدافن فراغة مصر الاقدمين قصد اقتناص الحلى والادوات الثمينة التي اعتاد القوم ان يدفنوها مع ملوكهم كما هي الحال مع (توت عنخ امون) وورد بقرطاس (ابوت) التاريخي ان البوليس المصري القديم فتش قبر الملك (كامس) وقتئذ ووجده سليماً. لكن وقع على اثر ذلك ان ازداد اللصوص امعاناً في سرقة المقابر الملكية. فخاف القوم على جثث ملوكهم واخذوا ينقلونها من مقابرهم ذات المعالم الواضحة الى حفر مخبئة مغموسة الدلائل والقرائن. فكان من حظ الملك (كامس) المذكور ان نقل من قبره العظيم الى حفرة صغيرة اسفل (دراع ابي النجا) وهناك بقيت جثته مع تابوتها وبعض ممتلكاتها حتى ديسمبر ١٨٥٧ ميلادية لما اكتشفها (ماريت) و (بروكش) بالطريقة السابق شرحها

دار الآثار المصرية

والآن وقد ألمعنا سابقاً الى تاريخ انشاء مصلحة الآثار المصرية فننتقل بالقارىء الى تاريخ انشاء المتحف المصري فنقول ان (ماريت باشا) بدأ المتحف المصري عام ١٨٥٧ ميلادية (بديكر عن مصر) بمحي بولاق. واول دليل وضع لهذا المتحف كتبه ماريت عام ١٨٦٤ تحت عنوان Les principaux monuments du musée de Boulacq. وفي سنة ١٨٨٣ وضع الاستاذ ماسيرو دليلاً ثانياً. وبعد الاحتلال الانكليزي للقطر بمدة يسيرة نقل المتحف من بولاق الى سراي الخديو اسماعيل باشا بالجيزة وبقي هناك حتى ٩ مارس سنة ١٩٠٢ لما بدى في نقل محتوياته الى المتحف الحالي بقصر النيل



العالم الأثري المصري المغفور له
أحمد كمال باشا



رسم الدور الأرضي لدار الآثار المصرية في الجيزة وهي الدار التي تقدمت
دار الآثار المصرية الحديثة في قصر النيل



لوحة تمثل الملك اخناتون يعبد الشمس



رأس هومياء رخمسيس الثاني

وتم نقل المتحف في ١٣ يولييه سنة ١٩٠٢ وكان كلاً نُقل أثر وضع في المحل المعدله حتى اذا ما استهل شهر اغسطس صار متحف القاهرة الجديد مستعداً لدخول المتفرجين . الا ان اصلاح الانصاب والقواعد والحيطان عقب ما اصابها من التخديش الناشئ عن نقل الآثار كان مانعاً لذلك . فلما انتهى هذا اصلاح فتح المتحف في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٢ (راجع مقدمة دليل متحف القاهرة سنة ١٩٠٣) واعدت أبهاؤه لمن اراد التفرج عليها

واول مدير (مأمور) لمصلحة الآثار كان بطبيعة الحال (اوجست ماريت) (١٨١٢-١٨٨١) . ثم أتى بعده (جريبو) و (دي مورجان) و (لوريه) و (ماسيرو) و (لاكو) . ويرجع الفضل في اكبر توسعة لتحف هذه الدار الى عهد جاستون ماسيرو الذي توفي عام ١٩١٦ ميلادية . ولعل اهم كنز أُرِي عثر عليه في الآثار المصرية كلها بما في ذلك الحديث هو الموميات الملكية — او جنث فراغة مصر — الذين دوخوا العالم واعلوا منزلة مصر حتى بلغت عنان السماء . والى هذا الكنز يرجع الفضل الاكبر في تعرف العالم الحديث بالقديم . لان الروايات الاثرية والقصص التاريخية التي كانت معروفة عند هؤلاء القوم لم تقدر حق قدرها ولم تصبح لها منزلتها العالية الا بعد ما شاهد اهل هذا العصر وجوه حكام تلك الازمنة ولمسوها بأيديهم . فكان هذا الاكتشاف كومبض البرق في الدجى الحالك يكشف عن مئات من المعالم كانت محتبئة تحت جنح الظلام الدامس

والفضل في اكتشاف هذه الموميات الملكية يرجع الى الاستاذين احمد افندي كمال^(١) (وقد انعم عليه بالباشوية في اواخر حياته — وتوفي عام ١٩٢٣ م) واميل بروكش فانهما في يوم الاربعاء ٦ يوليو سنة ١٨٧٩ تمكنا بمعرفة محمد احمد عبد الرسول من الوصول الى ذلك الكنز في بئر عميقة بالقرب من الشيخ عبد القرنه بالا قصر . وهذه البئر تفتحي من اسفل بسرداب متعرج وطويل ينتهي بحجرة واسعة يبلغ طولها حوالي ثمانية امتار تقريباً . واول ما وقع نظر الاستاذين كان على تابوت (نسي خونسو) ثم (سيتي الاول) ثم على كثير من اثاث المنازل وادوات الزينة وغمائل المقابر على اختلاف انواعها ولكمها كانت بغير نظام . وتحت بصيص الشمعة تمكن العالمان من معرفة تواريخ وموميات الملك (امنحوتب الاول) و (تحوتمس الثاني) و (احمس الاول) محرر مصر من الهيكسوس و (سكنزح) شهيد الثورة القومية ضد الهيكسوس و (تحوتمس الثالث) البطل الفاتح و (رمسيس الثاني) الامبراطور العظيم !!! وغيرهم ممن حكموا العالم القديم . واستمر شخص هذا الكنز ساعتين (راجع (Historians History of the World) مجلد ١ ص ١٥٦)

وفي الحال اتيا بحوالي مائتين من الانفار بمعونة سعادة مدير المديرية . وبسدى في نقل تلك الآثار . وبقي احمد افندي كمال واميل بروكش يتسلمان الآثار قطعة قطعة مدة ثمانية واربعين ساعة من دون ادنى راحة حتى نقل جميع التحف . ثم بدأت مهمة نقل ذلك الكنز الى السفينة النيلية.

وفي ١١ يوليو كانت هذه الآثار على شاطئ النيل بالاقصر . وكلنا نعرف مقدار التعب الذي حلَّ بالقائمين بهذا العمل في حرارة شمس يوليو المحرقة بالاقصر . وفي يوم ١٤ يوليو وصلت السفينة النيلية الى الاقصر لشحن مفردات الكنز ثم أفلعت الى بولاق . ومن ثم نقلت محتوياتها الى المتحف المصري وكان في بولاق وقتئذٍ

ومن ظريف ما حدثنا به الوالد انه لما توجه الى الاقصر للقيام بهذا العمل اراد مقابلة سعادة مدير قنا . فنزل من السفينة هو والاستاذ اميل بروكش لهذا الغرض . وتعدّر عليهما الحصول على عربة وكان وقت الظهيرة . فترأى لهما السير على الاقدام فسارا هذه المسافة الطويلة من النيل الى ديوان المديرية في لهيب شمس يوليو . وحدث في اثناء سيرهما ان الاستاذ (بروكش) اعترته نوبة مغص كلوي شديدة اضطر من جرأها الى الاستراحة هنيئة تحت شجرة . وكان كمال افندي وقتئذٍ بواسيه . قال هذا الاخير ولما ذهب عن (بروكش) الالم تفقد احداً حذاءه اللامع فوجد طبقته اللامعة قد سالت وخلفت قماشاً اسوداً من شدة الحرارة !! ولما وصلا الى ديوان المديرية لمقابلة سعادة المدير علما ان سعادته في الحمام يطفئ لهيب الحر !! والقصد من سرد هذه الحكاية هنا اظهار بعض ما عاناه الاستاذان من التعب في انجاز ذلك العمل الشاق

ويتلخص السبب في تكديس موميات وأثاث مقابر هؤلاء الملوك بعضها فوق بعض في ذلك المكان المختبئ في ان المملكة المصرية لما ضعفت سلطتها بدأت اللصوص في نهب مقابر الحكام الاقدمين يخاف الكهنة على موميات ملوكهم وتمكنوا من حفر البئر التي تقدم ذكرها حيث واروا موميات حكامهم . فبقيت هذه في حرز امين الى ان تسلمها احمد افندي كمال و (اميل بروكش) وأودعها بدار تحف بولاق . وكلنا نعرف دار التحف المصرية التي في قصر النيل الآن . اما دار التحف المصرية السابقة لها فكانت تعرف باسم دار تحف الجزيرة وهي سراي المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاول حوّلت هذه الدار الى دار تحف ونقلت اليها محتويات دار تحف بولاق . وكانت هذه السراي ذات طابقين ارضي وعلوي . وكل طابق مكوّن من تسعين صالة تقريباً . ومنه يتضح للقارئ ان محتويات المتحف وقتئذٍ كانت كثيرة جداً — ولا غرابة فقد كانت حينذاك اغنى مجموعة من نوعها في العالم . وكانت تحفها مقسّمة تقسيماً علمياً بحسب العصور من اقدم الازمنة الى العهد القبطي . وقد جاء ذكر هذا المتحف في حديث عيسى بن هشام حيث يجد الباحث العبارة الآتية ضمن عباراته عن المتحف المذكور « ولو انك عرضت اهل مصر على هذه الآثار واحداً واحداً لما استفادوا منها شيئاً ولا افادوك عنها شيئاً ولما وجدوا لها قيمة تذكر سوى النذر اليسير من المقلدين للغربيين ولم تجد بين عشرة الملايين اليوم سوى شخص واحد يفقه « لغة الهيرغليف » اعنى لغة آبائهم واجدادهم كما يزعم الزاعمون مع كثرة الخبيرين بها في الامم الغربية » وهو يعني بذلك المرحوم كمال باشا طبعاً . اما الآن فان تلاميذ الباشا المذكور اخذوا يتبؤون مكائهم تحت الشمس في علم الآثار وصار لهم منزلة محترمة بين ابناء وطنهم

رسالة "السيرة الفلسفية"

للطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي

للمحرر فؤاد الأهواني

هي رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة العلمية ، أخرجها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات مستشرق ألماني يشتغل الآن في باريس أستاذاً بمدرسة الدراسات العليا الملحقة بجامعة السوربون ، اسمه بول كراوس Paul Kraus . تقابلت وإياه في باريس في صيف هذا العام ، وأطلعني على هذه الرسالة التي نشرها في مجلة أوريانثاليا ^(١) التي تصدر في روما ، وأردفها بترجمة فرنسية للرسالة ، وتحليل لها أيضاً ، والاستاذ كراوس قد اختص بدراسة الرازي ويعمل بالفعل على إخراج كثير من كتبه ، وقد أعجبتني هذه الرسالة الصغيرة عن السيرة الفلسفية التي وضعها الرازي فأحببت ان أقدم ملخصها للقراء لما فيها من نفع . ويترجم له صاحب أخبار الحكماء فيقول: ^(٢)

محمد بن زكريا أبو بكر الرازي طبيب المسلمين غير مدافع ، وأحد المشهورين في علم المنطق والهندسة وغيرهما من علوم الفلسفة . وكان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم ترك ذلك وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً . وألّف كتباً كثيرة يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى أكثرها في صناعة الطب ، وسأثرها في ضروب من المعارف الطبيعية والالهية ، إلا أنه توغل في العلم الإلهي وما فهم غرضه الأقصى فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخرية وانتحل مذاهب خبيثة وذم أقواماً لم يفهم عنهم ولا هدى لسبيلهم . ودبر مارستان الري ثم مارستان بغداد زماناً ثم عمي في آخر عمره وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلثمائة . هذا قول القاضي صاعد بن الحسن الاندلسي . وذكر ابن شيراز في تاريخه أنه توفي سنة أربع وستين وثلثمائة . وذكره ابن جليجل الاندلسي في كتابه فقال : أبو بكر الرازي مسلم النحلة أديب طبيب مارستاني ، دبر مارستان الري ثم مارستان بغداد طويلاً ، وكان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم نزع عن ذلك واكب على النظر في الطب والفلسفة وبرع فيها براعة المتقدمين ، وألّف في الطب كتباً كثيرة بدیعة ... وعمي في آخر زمانه بماء نزل على عينيه ففقد له لو قدحت ؟ قال : لا ، قد أبصرت من الدنيا حتى مللت ، فلم يسمح لعينيه بالقدح ، وكان في زمن المكتني ، قلت وفي بعض زمن المقتدر ۞

» وذكره محمد بن اسحاق بن النديم في كتابه فقال : أبو بكر محمد بن زكريا الرازي من اهل الري ، أوحده دهره ، وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء لاسيما الطب . وكان ينتقل في البلدان ، وبينه وبين المنصور بن اسماعيل صداقة ، وله ألف كتاب المنصوري . قال أبو الحسن

الوراق : قال لي رجل من اهل الري شيخ كبير سألتُهُ عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسقطه وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم آخرون ، وكان يجيئ الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه منهم ، فان كان عنده علم والاّ تعداه الى غيره : فان اصابوا والاّ تكلم الرازي في ذلك . وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم . قال ولم يكن يفارق النسخ إما يبيض وإما يسود . وكانت في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء ، وفي آخر عمره عمي . . . »

ويقول الاستاذ كراوس في تحقيق هذا المخطوط إن « السيرة الفلسفية » قد ذكرت ضمن الكتب المنسوبة الى الرازي . وقد ذكره « البيروني » في رسالته تحت هذا العنوان « السيرة الفلسفية » وهو العنوان المرقوم في هذا المخطوط الوحيد . اما ابن ابني اصبهنة فيذكر عدة تأليف الأرجح - في نظر الاستاذ كراوس - انها ترجع الى كتاب واحد فمنها كتاب « سيرة الحكماء » ، و « في السيرة الفاضلة » و « سيرة أهل المدينة الفاضلة » ، و « في سيرته » . أما القفطي فيذكر عن ابن النديم ضمن تأليف الرازي « كتاب في السيرة الفاضلة » . وتبدأ الرسالة على هذا النحو

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابو بكر محمد ابن زكريا الرازي - ألحق الله روحه بالروح والراحة إن ناساً من أهل النظر والتمييز والتحصيل ، لما رأونا نداخل الناس ونتصرف في وجوه من المعاش عابونا واستنقصونا وزعموا أننا حائدون عن سيرة الفلاسفة ولا سيما عن سيرة إمامنا سقراط المأثور عنه أنه كان لا يعشى الملوك ويستخف بهم إن هم غشّوه ، ولا يأكل لذيق الطعام ، ولا يلبس فاخر الثياب ، ولا يبني ولا يقتني ولا ينسل ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمرأ ولا يشهد لهواً ، بل كان مقتصرأ على أكل الحشيش ، والالتفاف في كساء خلق والايواء الى جب في البرية ، وأنه ايضاً لم يكن يستعمل التقية للعوام ولا للسلطان بل يحببهم بما هو الحق عنده بأشرح الالفاظ وأبينها وأما نحن فعلى خلاف ذلك . ثم قالوا في مساوىء هذه السيرة التي سار بها إمامنا سقراط أنها مخالفة لما عليه مجرى الطبع ، وقوام الحرث والنسل ، وداعية الى خراب العالم وبوار الناس وهلاكهم ، وسنجيهم بما عندنا في ذلك إن شاء الله

فنقول : أما ما أثروه عن سقراط وذكروه فقد صدقوا وقد كان ذلك منه ، لكنهم جهلوا منه أشياء أخر وتركوا ذكرها تعمدأ لوجوب موضع الحجة علينا . وذلك أن هذه الامور التي أثروها عن سقراط قد كانت منه في ابتداء أمره الى مدة طويلة من عمره ثم انتقل عن كثير منها حتى أنه مات عن بنات ، وحارب العدو ، وحضر مجالس اللهو ، وأكل الطيبات إلا من اللحم ، وشرب يسير المسكر ، وذلك معلوم مأثور عند من عني باستقصاء أخبار هذا الرجل . وإنما كان منه ما كان في بدأ أمره لشدة عجبه بالفلسفة وحبها ، وحرصه على صرف زمان الشهوات ، واشتغل بالذات إليها ومؤاتاة طبعه له على ذلك واستخفافه واسترذاله لمن يلاحظ الفلسفة بالعين التي تستحق أن تلاحظ بها ، وآثر ما هو أخس منها عليها . ولا بد في أول الأمور المشوقة المعشوقة من فضل

ميل إليها وإفراط في حبها ولزومها وشنآن المخالفين فيها ، حتى إذا وغل فيها ، وقرت الأمور به قرارها سقط الإفراط فيها ، ورجع إلى الاعتدال كما يقال في المثل « لكل جديد لذة » . فهذه كانت حال سقراط في تلك المدة من عمره ، وصار ما أثره عنه من هذه الأمور أشهر وأكثر لأنها أطرف وأعجب وأبعد من أحوال الناس ، والناس مولعون باذاعة الطريف النادر ، والاضراب عن المألوف والمعتمد . فلسنا إذاً بمخالفين للأمر الأحمَد من سيرة سقراط ، وإن كنا مقصرين عنه في ذلك تقصيراً كثيراً ومقرين بالنقص عن استعمال السيرة العادلة وقمع الهوى ومحبة العلم والحرص عليه . بخلافنا إذاً لسقراط ليس في كيفية السيرة بل في كميتها ، ولسنا بمنقصين إن أقررنا بالنقص عنه إذ كان ذلك هو الحق ، وكان الإقرار بالحق أكثر شرفاً وفضيلة . فهذا ما نقوله في هذا الموضوع وأما ما عابوه من السيرة الأولى من سيرتي سقراط فانا نقول : إن المعيب منها بحق أيضاً كميتها لا كفييتها ، إذ من البين أنه ليس الانهماك في الشهوات وإثارتها الأمر الأفضل الأشرف على ما بيننا في كتابنا « الطب الروحاني » لكن الأخذ من كل حاجة بمقدار ما لا بد منه أو بمقدار ما لا يجلب ألماً على اللذة المصابة منها . وقد رجع سقراط عن المفرط منها الذي هو المعيب بالحقيقة ، والداعي إلى خراب العالم وبوار الناس ، إذ قد عاد إلى أن أنسل وحارب العدو وحضر مجالس اللهو . ومن فعل ذلك فقد خرج عن أن يكون ساعياً في خراب الدنيا وبوار الناس ، وليس يجب أن لا يكون كذلك حتى يكون مغرقاً في الشهوات ونحن وإن كنا غير مستحقين لاسم الفلسفة بالإضافة إلى سقراط ، فانا مستحقون لاسمها بالإضافة إلى الناس غير المتفلسفين

« واذ قد بينا ما اردنا بيانه في هذا الموضوع فنرجع ونبين ما عندنا ، ونذكر الطاعنين علينا ، ونذكر اننا لم نسر بسيرة الى يومنا هذا — بتوفيق الله ومعونته — نستحق ان نخرج بها عن التسمية فيلسوفاً . وذلك ان المستحق لمحو اسم الفلسفة عنه ، من قصر في جزئي الفلسفة جميعاً ، اعني العلم والعمل بجهل ما للفيلسوف ان يعلمه ، او سار بما ليس للفيلسوف ان يسير به . ونحن بحمد الله ومنه وتوفيقه وارشاده فبرآء من ذلك . اما في باب العلم فنقبل اننا لو لم تكن عندنا منه الا القوة على تأليف مثل هذا الكتاب لكان ذلك مانعاً عن ان يمحى عنا اسم الفلسفة فضلاً عن مثل كتابنا في البرهان ، وفي العلم الالهي ، وفي الطب الروحاني ... والكتاب الموسوم بالجامع الذي لم يسبقني اليه احد من اهل المملكة ولا احتذى فيه احد بعد احتدائي وحذوي ... فان لم يكن مبغني من العلم المبلغ الذي استحق ان اسمي فيلسوفاً ، فن هو ليت شعري ذلك في دهرنا هذا »

خصص الرازي هذه الرسالة في الرد على مهاجميه ومنقديه ، وعرض للذين يخلعون عنه لقب الفيلسوف ، فرسم الطريق الذي يسلكه صاحب الفلسفة طامة ، وشرح حياة سقراط ليستخرج منها النهج السوي اذ كان سقراط المثل الاعلى الذي يحتذى في الاخلاق . وقد نعود في كلمة اخرى الى المبادئ الاخلاقية التي ذكرها الرازي في هذه الرسالة فهي طريفة حقاً وجديرة بالبسط والتفكير . ولكنني اريد ان اوجه انظر الى الطريقة التي حالج بها هذا الفيلسوف الدفاع عن نفسه ،

فإن صفة العلماء التواضع ، ولكن كثيراً من المفكرين خرجوا على هذا التقليد ، فكتبوا تاريخ حياتهم ، ذكروا فيه أحوالهم الشخصية ، ورسموا طرائق معاشهم ، ولم يحدوا في مدح انفسهم نقصاً أو عيباً ، وكل ادرى بنفسه . ولعل الرازي اذا لم يكن قد سلم من هجمات المعارضين ، ونقدات الناقدين ، فذلك لانه هو كان البادئ بمهاجمة علماء زمانه والخط من قدرهم ، واذا كانت هذه المؤلفات قد ضاعت اصولها وفقدت متونها ، فإن اسماءها تدل عليها ، وقد عدت مؤلفاته حسب ما ورد في « اخبار الحكماء » فكانت مائة وستة وثلاثين كتاباً ، « وبالجملة فقرابة مائتي كتاب ومقالة ورسالة خرجت عني الى وقت عملي هذه المقالة في فنون الفلسفة من العلم الطبيعي والالهي » كما ذكر هو عن نفسه في هذه الرسالة . ثم انظر الى كتبه مثل « الرد على الناشئ في نقض الطب » . وكتاب « في الاسباب المميلة لقلوب الناس عن افاضل الاطباء الى اخسائهم » و « كتاب الرد على ابي قاسم البلخي في نقض المقالة الثانية في العلم الالهي » و « كتاب الرد على الجاحظ في نقض الطب » و « كتاب مناقضة الجاحظ في كتابه في فضل الكلام » و « كتاب نقض النقض على البلخي في العلم الالهي » و « كتاب في ان بعض الناس ترك الطيب » و « رسالة لم صار جهال الاطباء والنساء في المدن اكثر من النساء » فن هذه الكتب ما ناقض به اعلاماً من الكتاب الذين سبقوه كالجاحظ ، ومنها ما عارض بها اهل زمانه ومعاصريه . ويخيل الينا ان هذه المعارضة كانت عنيفة بل بالغة في العنف ، يؤيدها ايمانه المتأصل بأنه وحيد عصره في العلم والفلسفة والطب كما ذكر عن نفسه حيث قال « فإن لم يكن مبليغي من العلم المبلغ الذي استحق ان اسمى فيلسوفاً فمن هو ليت شعري ذلك في دهرنا هذا » وقد سرد بعد ذلك طرفاً من سيرته الخاصة ، يعتذر بها عن نفسه فقال : « فاني لم أصحب السلطان صحبة حامل السلاح ، ولا متولي أعماله ، بل صحبته صحبة متطبب ومنادم يتصرف بين امرين : أما في وقت مرضه فعلاجه وإصلاح أمر بدنه ، وأما في وقت صحته بدنه فايناسه والمشورة عليه — يعلم الله ذلك مني — بجميع ما رجوت به عائدة صلاح عليه وعلى رعيته ولا ظهر مني على شره في جمع مال وسرف فيه ، ولا على منازعات الناس ومخاصماتهم وظلمهم ، بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من حقوقي . وأما حالتي في مطعمي ومشربي ولهوي فقد يعلم من يكثر مشاهدة ذلك مني اني لم أتعلم الى طرف الافراط ، وكذلك في سائر احوالي مما يشاهده هذا من ملبس أو مركوب أو خادم أو جارية . فاما محبتي للعلم وحرصتي عليه واجتهادي فيه فمعلوم عند من صحبني وشاهد ذلك مني ، اني لم أزل منذ حداثتي ، وإلى وقتي هذا ، مكباً عليه حتى أتني متى اتفق لي كتاب لم أقرأه ، او رجل لم ألقه لم التفت الى شغل بته — ولو كان في ذلك علي عظيم ضرر — دون أن آتي على الكتاب وأعرف ما عند الرجل . وإنه بلغ من صبري واجتهادي اني كتبت بمثل خط التعاويذ في علم واحد أكثر من عشرين الف ورقة ، وبقيت في عمل الجامع الكبير خمس عشرة سنة أعماله الليل والنهار حتى ضعف بصري وحدث علي فسخ في عضل يدي يمنعي في وقتي هذا عن القراءة والكتابة ، وأنا على حالي لا أدعهما بمقدار جهدي ، وأستمع دائماً بمن يقرأ ويكتب لي »

سِتْرُ الزَّمَانِ

الدين والريضة

الاخلاقية الحديثة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

المقولات المولية

الادبية والمالية والاقتصادية



الميراث والريضة

الاخلاقية الحديثة

للمركن نور عبير الرحمن سهربر

﴿ التطور في العقائد والعادات ﴾ : ليس من شأن الاجتماعي اذا ذكر الاديان بصورة مجملة ان يحصر كلامه في الاديان كما نزلت على مؤسسها لان الشعائر والعقائد والاعمال في الامة على كثر الزمن قد لا تبقى على صيغتها الاصلية بل ربما ارتقت عن هذه الصيغة او انحطت بحسب العوامل والطوارىء وقاما كانت ثابتة من غير تعديل او تبديل . ويهمننا ان نقرر هنا ان قابلية التطور في العقائد وما يتبعها من العادات المتجلية بمجلباب التقديس قابلية عظيمة حتى ان المتتبع ليرى انتقالاً يكاد يكون فجائياً من النقيض الى النقيض باسم العقيدة الواحدة نفسها ، وان « البدعة » التي تضطرب لها افئدة المؤمنين في الجيل الواحد قد تصبح قاعدة من قواعد الايمان في الجيل الآخر ولا سيما اذا قدر لها رجل مبجل يفثي بان لها اصلاً في النصوص القديمة ، وقد لازم التعصب في المجتمع الازياء خصوصاً لباس الرأس واثار في البلدان الشرقية « حروباً » حامية الوطيس لا تزال لها بقية باقية ، وذكر لنا من تقدمنا ان تغيير الاحذية من القديمة الى الحديثة في عاصمة البلدان السورية احدث هياجاً عظيماً كاد ينتهي بفتنة حمراء ، وفي اوائل القرن الحاضر ضمني ورجلاً من كبار الاعيان في بيروت مجلس ذكر المجتمعون فيه حديث الفتوى بلبس القبعة كما نقل لنا عن لسان الشيخ (محمد عبده) يومئذ فارتعش واضطرب وامتنع لونه وظهر من النفرة ما يظهره الترك السكاليون اليوم من رؤية الطربوش على رأس السوري او المصري او العراقي !

ولا يقتصر هذا التطور على الشؤون التي اصبحتنا نعدّها ثانوية لا يؤبه لها بعد مرور الزمن عليها ، بل يتناول الشؤون التي نعدّها اولية ، ولا ادل على ذلك في موضوع العقيدة الدينية من تولد مذهب (التوحيد) في لب البلدان הפרוטستنتية وتمتعه بالحرمة اللائقة به مع كل ما احدثه من التغيير في العقائد التي اعتبرتّها الاجيال السالفة جزءاً لا يتجزأ من التعاليم المسيحية ، ورأينا في اميركا من اتباع هذا المذهب الجديد والمؤمنين به من لا يقول شيئاً عن زملائهم واخوانهم الموحدين السابقين امثال (لونغفلو) و (امرسون) و (هوثرن) و (جفرسون) و (لينكون) من الاموات وغيرهم ممن زينوا اسم الولايات المتحدة واعلوا مقامها ، ويقوم مذهبهم فيما يقوم عليه من نقد العقائد المتوارثة المعنونة على وحدانية الخالق وحدانية منزّهه وانكار التثليث ، وعلى اخوة البشر وان النجاة تكون بالاعمال لا بمجرد الايمان فقط وان الارتقاء البشري سنة ثابتة الى الابد

ونرى في الشرق تحت اعيننا تبدلاً أساسياً في وضع من الاوضاع المقدسة مثل اخطار الادوار في حياتنا الاجتماعية وهذا الوضع هو الحجاب ، فالذين يتمسكون به يغالون في شأنه مغالاة تجعله في

مصاف الاركان الجوهريه التي بني عليها الاسلام وقد لا يقل في نظرهم عن اقدس المقدسات ، واما اهل السفور فلم يخلعوا الحجاب فقط بل يدعون اليه علناً بقولهم انه مخالف للحياة الاسلامية الاولى مخالفة بدهية ! وكيفما كان الحال فرور المرأة المسماة اليوم سافرة في اهم شارع من شوارع القاهرة وعلى رأسها القبعة لا يستوقف نظر احد ، ولو اقدمت على مثل هذا العمل قبل خمسين او ستين سنة مثلاً ما فازت بالسلامة . والذين يقرأون كتاب (تحرير المرأة) في ايماننا هذه لا يشعرون بشيء من الهزة العنيفة التي احدها يوم ظهوره ، ذلك لانهم رأوا باعينهم من الافراط في العري ما جعلهم يترحمون على اعتدال قاسم بك امين والسفور الذي دعى اليه

وفي النازية الالمانية اليوم نزعة اجمعت الكنيسة المحافظة على وسمها بالزندقة والوثنية وغير ذلك من الفاظ الاستنكار ، ولكن عالمنا خبيراً بالنشوء الاجتماعي قال لي ، من يدري ما عسى ان يكون تاريخها في المستقبل ؟ وقد يكتب لها ان تنتشر من المانيا الى سائر العالم المسيحي كما انتشر مذهب (لوتر) في القرون الماضية ، ولكن من المحقق ان الصهيونيين واقفون اليوم في صف المدافعين عن قواعد الايمان الكنسي وهم اشد حرصاً على مقاومة (هتلر) « وبدعه » من رعاة الكنيسة الانجيلية نفسها **سخر** السخافات الباقية من العقائد الخالية : من اعجب الظواهر الاجتماعية ان يبلغ البشر هذا المقام الرفيع في الارتقاء العقلي وتبقى بعض العقائد والشعائر الابتدائية السخيفة ملازمة له . واذا كان لها في احد الايام الغارة ما يجوزها فليس لها في يوم الاستنارة العقلية مسوغ ما . واعجب من ذلك ان يدأب بعض « المؤمنين » على التمسك بها وممارستها على رغم جميع المناهضات والمقاومات التي يبديها العقلاء الذين هم اقرب الى فهم الدين والاحاطة بروحه ونصوصه . وقد اثر اشد الاثر في استدامتها وتعلق الناس باهدابها ان بعض كبار الاخصائيين من اهل العلوم والفنون العملية الحسية وائمة الصناعات ممن لم يسبق لهم اي اشتراك في شيء من العلوم الاجتماعية والتاريخية والدينية ما برحوا يحفلون بها ويطأطئون رؤوسهم اجلاً لآلها وتعظيماً ، فتراهم وهم ائمة مبرزون في فروعهم كالاطفال في هذه العلوم . فلا غرو ان يكون لهم من نبوغهم في المنطقة التي اختصوا بها صوت مسموع لدى العامة في منطقة لما تطأها اقدامهم ، ورأي مطاع في شأن لما يكن من شؤونهم ، لان العامة وبالاخص يظنون ان من اتقن شيئاً فقد اتقن كل شيء ، او من صنع آلة ميكانيكية حافلة بالحيل الدقيقة مثلاً او اخترع دواء ناجعاً لمرض عضال حار فيه الاطباء فان عمله مستمد من منبع عميق لاطاقة للبشر ان يغترفوا منه ، فراهبه في السياسة او في الاجتماع او في الدين يجب ان يكون حجة يقارع بها الخصوم . وقد طرأ هذا التحول السريع بتقدم العلوم الحسية وتمتع اصحابها بالمقام الرفيع في المجتمع ، وكان هذا المقام عادة وفقاً على المشتغلين بالشؤون العقلية والروحية . وحضرت مرة مجلساً حاول فيه احد الذين يستغلون اسماء الرجال الاخصائيين المشهورين في القروء التي عانوها ان يبرهن عن سخافة كان يؤمن بها امير الماء (ناسن) — وهي انه سيموت في يوم معين حقيقته الايام — على صحة الهواجس

دسمبر
الاشهر
الشعار
الشعار
ويتهدي
في المشا
الى العالم
العالم الف
على
اجمالاً
تلك الى
ثم
هي الس
والمرو
يكون
على ذلك
قد ترش
علاقة
تحكم
اكتس
التعلق
الرجول
الشرع
المعجور
ان اتمر
وقال لا
وانا
وذكر
(1)

« الاثرية » او الروحية التي تخامر النفوس ، وكذلك استغلَّ غيره اسم (باستور) لتأييد بعض الشعائر والعقائد البالية ، وانني افهم كل الفهم ان يكون كلام (نلسن) حجة في القيادة البحرية وكلام (باستور) حجة في الجرائم ولكنني لا افهم ابداً كيف يكون كلامهما حجة على صحة الهواجس النفسية والشعائر التقليدية ، ولا قرب الى المعقول ان يستشار (توماس اديسون) في قواعد اللغة العربية ويهتدى برأي (رونتجن) في تاريخ حياة (توت عنخ امون) من ان يستشار (نلسن) او (باستور) في المشاعر الوجدانية والعقائد الدينية . على ان البلية كانت اعظم والطامة اشد واحكم لما كان المنتسبون الى العلوم المعنوية يدعون السيطرة على العلوم المادية والتحكم في اصحابها ، فلمهم مثلاً ان يحزوا رقبة العالم الفلكي الذي يجرؤ على القول بكروية الارض ودورانها !

على ان الذي سيمتقي عثرة في سبيل الاقناع بما حدثنا واقامة الدليل على ما بينا هو ان العلوم الاجتماعية اجمالاً ليست من الضبط والاحكام في المقام الذي تتمتع به العلوم الطبيعية فيجوز لكل ثرثار ان يدعي تلك الى اجل واما هذه فحجتها قريبة وحبل التدجيل فيها قصير

ثم ان العقبة الكأداء التي لما يعرف المجتمع كيف يتغلب عليها ويأمن الالتطام بها هي السلطة القاهرة التي تتمتع بها العادة المستحكمة ولا سيما متى كان لها اتصال بالحرمة والشرف واللياقة والمروءة والاباء وغير ذلك من معاني الاعتزاز والسمو ، وقد تصبح مثل هذه العادة - على ما قد يكون فيها من الهمجية والنفخس والظلم - مقياساً في الاخلاق وكالاً في العقيدة . وانني لا ضرب على ذلك مثلاً من الاقوام التي تعيش عيشة ابتدائية فان اوضاعها البسيطة الخالية من تعقيد الحضارة قد ترشدنا الى فهم الاوضاع الحاضرة في ارقى الاوساط المدنية . قال الاستاذ (هوبكنس) ^(١) عن علاقة الدين والعادة بالاخلاق ان قانص رؤوس من جزيرة (بورنيو) قص القصة الآتية التي تدل على تحكم عادات السلف في الخلف وكيف ان الاخلاق انما هي السنة التي درج عليها الآباء والجدود والتي اكتسبوها للفائدة التي استفادتها العشيرة من تطبيقها والسير عليها . قال الصياد : كنت شديد التعلق بمربتي المعجوز ، وقد حان الزمن الذي قال لي والذي فيه : يا ولدي لقد كبرت وباشرت سن الرجولة فلم واقتل قتيلاً » كما هي العادة في تلك الاصقاع لاثبات الرجولة . قال الصياد « وحكم الشرع عندنا ان النساء المعجيزات اللات لم يعدن يصلحن لشيء ان يذبحن . فدلني والذي على مربتي المعجوز وكانت جالسة لوحدها وقال لي ، انني صغير السن فلا استطيع ان اقتل رجلاً ولكن يجب ان اتمرن عليها فأعطاني قوسي وسهامي وقال لي هلم وارمها . اما انا فلم ارد قتلها ولكنه اصر علي وقال لا بد من ذلك فرميتها بسهم ولكن طاش فلم يصبها فأدركت هي الموضوع وأخذت في البكاء وانا اخذت في العويل فاغتاظ والذي وامرني ان امتنع عن عويلي واكفكف دمعي واضبط الهدف وذكر لي انه من الشر المعيب ألا اقتلها . حينئذ اخذت ارميها رمياً متواصلاً ومع انها اعولت فلم

التفت الى عوبلها وما زلت ارميها حتى قتلتها . وكانت عندي في مقام والدتي ولكنني لم ابال . ثم ان والدي قال لي يا ولدي الآن اصبحت رجلاً صالحاً وقد عملت عمل الرجال وقت بالحق »

﴿ الاخلاق الایجابیة ﴾ حدث عند الاجتماعین المتأخرین تطور في الاتجاه الاخلاقي لا بد من الاشارة اليه هنا ، وهذا التطور هو الاهتمام بما يسمى « الاخلاق الایجابیة » لا الاكتفاء « بالاخلاق السلیمة » — یعنی اننا كننا في الماضي نعد السكالم في الرجل ان یمتنع فقط عن انیان بعض الموبقات كالخمر والمیسر والزنا وغير ذلك من المحرمات التي لا يشك احد في فضيلة الابتعاد عنها ، وان یسير في حیاته سیرة المسکنة والخضوع « والدروشة » وكم رأینا في الحوانیت الایات الاتیة معلقة على الجدران وهي : — اذا شئت ان تحیا سعیداً من الاذى وحظک موفور وعرضک صین

لسانک لا تذكر به عورة امریء فکک عورات وللناس السن

وعینک ان ابدت الیک معائباً فصنها وقل یا عین للناس اعین

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدی وفارق ولكن بالتي هي احسن

لم تعد مثل هذه الاخلاق — على ما فيها من سحر وانسانية — مقياساً للنشاط الاجتماعي ، فهو يتطلب الجرأة والاقدام والعمل لا الانزواء في الزوايا ولا وضع اليدين على الرأس وترديد كلمة « يا لطيف » . والمسکنة وما يتعلق بها من زهد وانقياد وتمشية للحال تروق الامم المستعبدة التي لا ترى سبيلاً الى النجاة الا بالخضوع وعقد الآمال بظهور المهدي او عودة المسيح او يوم الحساب واما القاعدة الاجتماعية التي يرجى منها الخير العميم فهي الامر بالمعروف كما هي النهي عن المنکر وتلقين القواعد التي تبني عليها الاستقامة كما هي النقد الصحيح لتقويم الاعوجاج وبث روح العدالة في الافراد كما هي الضرب على ايدي المعتدين حتى لا يتجرأوا على فساد المجتمع ، فترك الحبلى على الغارب في مثل هذه الجرائم التي نحترم اجنثا لاصل من الاصول الجوهرية في الحياة الاجتماعية والسماح عن المعتدي يكاد يجعل المتسامح شريكاً في ارتكاب الجرم ، بل لا بد من مقابلة الظلام وجهاً لوجه . وحدث في بعض الحركات الوطنية ان ارسل احد الزعماء الى السجن فجاء اليه بعض الاطفال يحملون باقة من الازهار اظهارة لا عجايبهم به فقال لهم من وراء قضبان الحديد « آد لو وصلت اليکم لقبلت ايديکم الصغيرة ولا أخبرتکم اني الى الخناجر احوج مني الى الازهار »

ويعالج اساطين النهضة الاخلاقية في اوربا هذا الموضوع معالجة دقيقة ، ومن المفيد جداً ان يطلع ابناء العالم العربي على طريقتهم وعلى الغرض الذي يتوخونه من ذكر الاخلاق الایجابیة في مقابل الاخلاق السلیمة ، ومن خيرة الکتاب في هذا الباب من الاجتماعین الاستاذ (بايندر) فيجدربنا ان نقل لهم خلاصة منه ننهي بها سلسلتنا هذه ^(١) فقد قال بعنوان « الاخلاق المسيحية القديمة والحديثة » ما مؤداه : ولما كانت النصرانية في الاصل دين المظلومين

والحرومين فقد وقفت بالضرورة موقف الخضم تجاه القوي المتصف بالاقتدار، وفي الاحوال والظروف الحافلة بالمتاعب والمشاق يكون الاستسلام وترك المقاومة في كثير من المواقف خير سياسة تفتح، ذلك لان الثورة محكوم عليها بالاخفاق، والتفكير فيها خارج عن الموضوع. فلما اصبحت الكنيسة وضعاً في صميم الدولة اهل اصحابها هذه الناحية من تعاليمها، بيد ان هذا الطابع الاول يبق ملازماً لها ولم ينمح اثره، فكانت تعدل وتوسع بحيث تنطبق على جميع الناس بشكل تواضع وتذل يتذلل المرء امام الله للذنوب التي ارتكبها. وربما كان هذا العمل ضرورة من الضرورات الملحجة في عصر ساد فيه العنف والشدة فكان من الواجب التوسل بالوسائل المربعة لارهاب الاشرار كبيرهم وصغيرهم، فكانت النتيجة ان الكنيسة اهتمت بالضعف والذل والمسكنة والعجز واعتبرت هذه الصفات السلبية وامثالها مطلوبة في المرء مرغوباً فيها وانها في كثير من الاحوال عنصر جوهرى في السيرة المسيحية. قال (بايندر) ومع مايجوز لهذه الشيم الكمالية من قيمة مقدرة فهي شيم لا تؤدي الى التقدم في الحياة الا بطريقة سلبية يعني انها تمنع الاحتكاك الاجتماعي ولكنها لا تؤدي الى تحسين الاحوال والظروف، مع ان هذا التحسين هو الضالة المنشودة التي ينادي العالم في طلبها ويستغيث للحصول عليها

وتحسين الاحوال كما تعلم يتطلب البداءة والتشبث والهجوم والمخاطرة وغير ذلك من معاني اقدام لا الاستسلام والخضوع. وقد غرس صدر النصرانية هذا الخلق السلي في المؤمنين في جميع القرون، وحيثما ابيح انحراف عن هذه الخطة فالنتيجة كانت هلاكاً كما هو الحال في الفرسان الهيكليين وهم فرقة (الداوية) The Templars في ابان الحروب الصليبية والمؤسسات الاخرى التي انتظمت انتظامهم فان التقوى اضمحلت عندهم وتغلبت عليهم الصفات العسكرية الهجومية اما في العصر الحاضرة فالنتيجة مختلفة عن ذلك اختلافاً بيناً، فاذا كان ثمة كثيرون لا يزالون يؤمنون بالدين فهم قد اغفلوا شأن الفضائل السلبية التي كانت تعد جوهرية في العصر السالفة، وربوا ما عندهم من تشبث وبداءة واقدام وعالجوا مشاكل الحياة واجبروا الطبيعة بقوة ارادتهم على التسليم بالكنوز المدفونة فيها، فكانت النتيجة من الناحية الاجتماعية شيئاً طريفاً خليقاً باستراء الاسماع والانظار عواقب الاخلاق الجديدة * قال (بايندر): لقد صرف المجددون الهمم لاصلاح الدين بان نقشوا فيه روحاً هجومية وطالبوا الناس بمساهمة نشيطة في الحياة السياسية والصناعية الحاضرة، وحيثما تم شيء من النجاح في هذا الباب حمل المتمسكون بالطريقة الدينية على ما استجد حملة شعواء قائلين انها شرود عن النصرانية الصحيحة ان لم تكن مروقاً وضلالاً، وكانت الكتب التي تقول بمثل هذه الاصلاحات الجوهرية موضوع اضطهادهم وحرمانهم

وكان من النتائج الاخرى ان انسكل عدد كبير من الرجال من عضوية الكنيسة ممن لم يطبقوا البقاء على الجمول والتعاس، فقد ودوا ان يعملوا شيئاً خليقاً بنشاطهم ولكنهم اجيبوا ان تصدقوا

وعودوا المرضى ، وقد ترضي مثل هذه الطريقة الرجل الذي تقوم افكاره على الطريقة الجامدة ويعتقد بان الله راض ان ينظم الشؤون على طريقة تحتفظ بالمرضى والفقراء دائماً . اما الرجل الحديث وطريقته في التفكير متحركة لا جامدة وعقيدته الثابتة التحسن المنتظر في الاشياء فيستأهل في نفسه لِمَ يَأتى بوجود بين ظهرانينا هؤلاء المساكين الذينهم في حاجة مستمرة الى مساعدتنا ؟ ومن الحق عندنا ان الخطأ ان يكون من الجانب الالهي ، اذن فهو من الجانب البشري ، من جانب المجتمع او من جانب الفرد ، فلا بد من عمل شيء لاصلاحه يعني يجب ان تلقى على الجاهل دروساً في الصحة والغذاء وان تنبه الجماعة الى التهيج والاستعداد اللازم للتفتيش الطبي والنظام الصحي ، اذ لا ضرورة ملجئة تقضي بان يكون ثمة مرضى او فقراء فتى اقيم نظام في التوزيع عادل فاهل الاسراف وفاقدو الحيلة وقليلو التدبير فقط يكونون وحدثهم من الفقراء ، والواجب يقضي بان يلقنوا ضرورة العمل حتى اذا ما رفضوا السعي في مناكب الارض سيقوا الى المعاهد الخاصة حيث يعزلون عن الناس وتعلم لهم الادوية الناجمة

وكذلك من النتائج التي نتجت السعي لاستدراك الاكف من اتباع الكنيسة العاملين والحصول منهم على الهبات العظيمة لكل عمل يخطر بالبال ، فالذين يدافعون عن النظريات الدينية العتيقة يزعمون ان الرجل المتنازل عن جزء من ثروته لغاية خيرية هو رجل يعمل لخدمة الانسانية ، ولكنهم لا يدركون ان الهبات السمحة هي سبب عظيم في استمرار الشرور الاجتماعية الحاضرة . وقد يكون المرء حريصاً على التبرع بعشر ثروته على شرط ان ينال اذنًا ربانيًا يحل له امتلاك الاعشار التسعة الباقية والتصرف فيها ، فلا عجب والحالة هذه ان يكثر التحدث كتابة وخطابة عن الصلاح في الهبات العظيمة وان يصير كثير من الناس صالحين بهذا المعنى

وما دامت الكنائس متعلقة بالنظرية الدينية العتيقة وهي من الاساس نظرية سلبية فلا امل باتخاذ الاجراءات الاصلاحية الجوهرية . لان هذه الكنائس متى تحولت الى ايجابية هجومية ووعظت عن الظلم الصناعي وما اشبهه من الشرور باهتمام خسرت تأييد الرجال الذينهم هدف سهامها وحملاتها ومعنى ذلك بالقلم العريض خسارة فادحة في الموارد التي تعيش منها واغلاق الكثير من المباني الكنسية . والناس قد تعودوا ان ينظروا الى السلبية انها النصرانية فهم يأنفون هذا الاتجاه الجديد الذي لم يألفوه **الدين والدستور السبب والمسبب** : وربما كان اصعب شيء على المرء تعلمه هو ادراك دستور السبب والمسبب ادراكاً علمياً . فهذا الدستور معترف به عند جميع الناس من الناحية النظرية فقط لا من الناحية العلمية ، وكان من الجائز تطبيقه تطبيقاً شاملاً اعم لولا الموقف الرسمي الذي تقفه العقيدة الدينية بحيث تجد المخرج من ورطته دائماً والحيل من مفعوله الثابت . واغرب منظر في جميع التاريخ مُجبر هو الخطط التي اختطها الناس لتجنب مفعول هذا الدستور والابتعاد عن منطقة عمله ، وهم ما يدعوا الى الاطمئنان وتوقع التحسن في المستقبل هو ان الناس تعلموا — على اقل

تقدير — ان جزاء الوزر الذي يزره المرء لا يمكن تجنبه ولا تحميله على عاتق الآخرين ممن لم يرتكبوه (ولا تزر وزر اخرى) ، فدستور تحسين النسل مثلاً انما يعني هذا في دائرة التوالد لا اقل ولا اكثر — يعني ان القذارة الاجتماعية تنتهي بالوراثة الفاسدة حتماً وسريعاً ولا مخرج من هذه الورطة ولا حيل من مفعولها الثابت لا بالاوهام ولا بالخرافات . وكذلك دستور الاجور الناقصة او الرخيصة فهو يجري على هذا النمط — يعني ان محصولها يكون اضعف نوعاً واحط مقداراً من الاجور الوافية ، فالسبب والمسبب متصلان لا يحول بينهما حائل ، وربما كان اهتمام الناس بمحوائيت النسيج القذرة التي يقيم بها العمال المرهقون للعرض الملتصق بالملابس المصنوعة فيها والخوف من عدواه اضعاف ما تحدته فيهم تلك المجادلات العتيقة حول اخوة البشر وابوة العزة الالهية

✽ حاجتنا الى التغيير ✽ : قال (بايندر) ويتوقف الاثر الاجتماعي الذي يتركه الدين الرسمي في المستقبل على قبوله دستور السبب والمسبب ، فاذا ما اغفل الدين هذا الدستور طرد العناصر المفكرة من حظيرة الكنيسة ونفّرها من الاشتراك في اعمالها ، كما دلت الحوادث في السنين الاخيرة ومعظم الخلق هم في حاجة الى الدين وذلك لضعفهم ووهنهم ، واحدى غاياته المعروفة ان يزرع في قلوبهم القوة وفي نفوسهم السعادة ولن يتم ذلك بتعليمهم ان يحملوا تبعه ذنوبهم ونقائصهم على اعناق الآخرين . والطريقة المثلى للاعتبار والدرس الحكيم هي ان يتحمل الفرد وزر عمله . وهذا ينطبق على الفرد كما ينطبق على الجماعة . وتكون المحنة المغربية بارتكاب الشرّ المرّة تلو المرّة عظيمة فوق طاقة معظم الناس اذا ما قيل لهم ان هناك طريقة من الطرق لنجاتهم ورفع التبعة عن اعناقهم . وان بعض الناس لا يتعلمون حتى من الاختبار ولا يتعظون حتى من المصيبة فلا شيء يعمل لهم سوى تركهم في مراحل الالم : هذا هو دستور الطبيعة وهو دستور الروح . وما من رجل يختمر فيبلغ في الاخلاق المقام المحمود الا بالسعي وصرف الجهد فعلينا « ان ننشد السلامة بالخوف والرعدة » ويريدنا الله ان نتعاون معه على رفع المجتمع الى مستوى اعلى مما هو فيه وان يتم ذلك الا اذا عرفنا واجبنا وساهمنا في تحمل التبعة

اما الاصرار على ضعفنا وذلتنا ولفت الانظار الى شرّنا ووهننا فيجعلنا دون العمل الواجب علينا انجازة واقل اهلية للقيام به ، لاننا نحن في الاكثر كما نحن بما يقال لنا ، والاشادة بقابليتنا للعمل ، تساعدنا على انهاء هذه القابلية فينا لان « من كان عنده فيعطى » واما من كان خلواً فلا حق له وليس هذا دستوراً كفيئاً بل هو سنة كل ارتقاء . والنظر الصحيح الصائب في الالهية هي انها عامل يعمل دائماً وابدأً بنشاط مستمر لترقيتنا ورفاهيتنا ، ولا نستطيع ان نضع في ميزان التقدير والاعتبار من شأن الجهود التي تصرفها هذه القوة المعنوية من اجلنا الا على قدر ما تتمثل منها بجهودنا ومساعدتنا وماعدا ذلك فكلام هراء وثرثرة لا طائل تحتها . ولا ندري اننا عيال الله ما لم نقيم بالعمل الذي اختصنا به ، والمسألة كلها هي مسألة ممارسة عملية واختبار ذاتي لا مسألة نظر وعقيدة

ويدلنا الاختبار في اعمالنا على دستور السبب والمسبب في جميع نواحي الحياة بل هو حقيقة الحياة نفسها والحقيقة وحدها هي التي تحررنا من رق العبودية . انتهى

﴿ منطقة الدين ﴾ : لا شيء أضر بالدين مثل اخراجه عن حدوده والسير به في فياف وقفار قاحلة لم تكن له موطناً ولا لرحاله محطاً ، وقد يضيع فيها كما تضيع الصرخة في الوادي ، وليس من تمام الاخلاص في شيء اننا اذا احببنا زيدا من الناس مثلاً ان نقول انه مهندس وطبيب ومزارع ومحام ورياضي وفلكي وجيولوجي وجغرافي وكيمائي وغير ذلك من النعوت الفنية وغير الفنية في آن واحد علاوة على ما يتحلى به من سمو الاخلاق ، فلم يأتى نرجوز لانفسنا ان نكون اكثر كرمًا وتسامحاً في مسائل الدين ؟ وفي الاسلام نص صريح لمؤبري النحل ان يؤبروه كما دلهم الاختبار لانهم أعلم بدنياهم ، ولان مثل هذه الفنون العملية ليست من الدين في شيء فلم نحاول حشرها وحشر غيرها فيه يا ترى ؟ ولم تخل أوربا نفسها من الافراط والغلو في توسيع منطقة الدين مما حمل كثيراً من الكتاب الغربيين على التفريط ورد الفعل ، يدلنا على ذلك ان كاتباً اجتماعياً معتدلاً كالاستاذ (ديلي) يدرس كتابه في بعض الجامعات الدينية والمعاهد الاخلاقية يقول في هذا الصدد ^(١) « ان ما اشتهر به الوضع الديني من البقاء والاستمرار تاريخياً على رغم الحوادث يتجلى لنا متى نظرنا بعين الاعتبار الى المصالح المتعددة التي شملها ، فهو باعتبارها فلسفة قد استحدثت لنفسه نظرية كونية عالمية غرضها بيان وحدة جميع الاشياء في آله واحد او آلهة متعددين هم خلقوا الكائنات واداروا امورها وزرعوا فيها الحياة وارشدوها لبلوغ غاية معينة ، وباعتبارها علماً قال انه بواسطة الوحي قد حصل على الدساتير الجوهرية التي تسيطر على المعارف ، حتى انه طاب الناس في بعض الايام ان يطبقوا العلم على هذا الوحي الذي أتى به ، واستن في الاخلاق سنناً ليسيروا عليها قائلاً انه بعمله هذا انما يعمل بسلطة الهية ، وأبدى حقه ايضاً في املاء القواعد العملية في الشؤون الاقتصادية والمنزلية والسياسية والتهديبية وان له ان يدير الطرائق التي تجري عليها . وبدهي ان مثل هذه الدساتير العظيمة والسلطات الجسيمة لا تسلم بها العوامل الاخرى في المجتمع دائماً » ، ذلك لان الفلسفة والعلم يدافعان عن حقهما في اذاعة النتائج التي وصل اليها حتى لو كانت هذه النتائج مناقضة للاصول اللاهوتية ، وكذلك علم الاخلاق الاجتماعي فقد اخذ يطبع الكنيسة بطابعه فيما يتناول السيرة الاجتماعية ، ولم تعد الاصول التهديبية التعليمية ترضى الخضوع للقواعد الایمانية ، ونرى الكنيسة والحكومة تفترقان والقانون المدني يدير الاسرة ، واما الحركة الاقتصادية فهي كثيرة الشعب وشديدة التعقد بحيث لا تستطيع الكنيسة التسلط عليها . فالكنيسة مضطرة في مثل هذه الاحوال الملحجة اما ان تصبح مناقضة للعصر الذي تعيش فيه متأخرة عنه واما ان تعمل لغاية في النفس اسمى وأرفع بعيدة عن الصغار والنمطيات المملة ساعية للقيام بالواجب مرة ثانية باعتبارها هداية منزلة تهدي المشاعر الكمالية العليا التي تغلي في صدر الانسان »

ولما حمل (برناردشو) على «الكتاب المقدس» حمل على ما يدعيه اصحابه فيه من الذنواوي الطويلة العريضة الفنية وغير الفنية الخارجة عن منطقة الدين كما اسلفنا ولكنه قال وهو محق في قوله ^(١) «ان هذا الكتاب وان عُدَّ بالمقاييس العلمية مهجوراً من سائر النواحي الا انه من ناحية واحدة يحتفظ بقيمته وذلك باعتباره سجلاً لنشوء الفكرة الالهية» — فكرة اول سعي سعاد الانسان المتمدن لتعليل مصدر الكائنات والحكمة من وجودها

وفي الحق ان هذه الفكرة هي مركز الثقل في جميع الثقافة التي مرت عليها العصور وعليها يرتكز الدين في جهاده المتواصل الثابت وهي التي جعلت هذا البون الشاسع بين الانسان والحيوان، والفرد بالغاً ما بلغ من العلوم المادية واوسع ما احاط من سنفها ووساثيرها لا يكون قد ازدان بالموهبة الانسانية الجوهرية اذا هو لم يتساءل في نفسه من اين اتى الى اين ذاهب ، وسيتبقى هذا السؤال ماملاً من اقوى العوامل في الحث على التتبع والتدقيق وكشف المخبات، وربما رجع اليه الفضل الاكبر من الناحية التاريخية في ايجاد العلوم واستحداث الفنون وتوجيه الانظار الى الحكمة . ويعلو الدين او ينحط بقدر التنزيه الذي تتحلى به تعاليمه . وما دام هذا السؤال موضوع الدين الاساسي فالدين طود ثابت ما زعزعه في الماضي الثورة الفرنسية ولا تزعزعه في الحاضر الثورة الكمالية ، وانما الخطر عليه كل الخطر هو الخروج به عن المنطقة التي خلق ليعمل فيها ، واستثمار النفعيين والجهلاء الاحتكاريين للنفوذ الذي يتمتع به . ثم اذا صدر مثل هذا السؤال عن قلب يلتهب شوقاً الى ادراك كنه الحقيقة والاحاطة بأسرارها فهو يدل على ان نفس صاحبه ليست حيوانية بهيمية بل هي نفس تزدان بالاخلاق والاخلاص ايضاً وهذا ما يمجّد الاجتماعيون ليجعلوه من جوهر الدين ، ونحن لا ننكر ابدأً ان اهل التتبع يميلون اليوم الى الفصل بين الاخلاق والدين من الوجهة العلمية ولكن العاملين من الاجتماعيين يستعينون بالدين لتقويم الاخلاق ، ذلك لان الاتصال بينهما اتصال وثيق ، وجميع الاديان الراقية الكبرى طائفة بالحث على مكارم الاخلاق ، والدين الذي لا يجعل الاخلاق الصحيحة غرضاً من اغراضه الجوهرية لا يهتم الجمعية البشرية الاحتفاظ به

ودلنا تاريخ لاديان الراقية على ان الالهية مجلت في النفوس من الناحية العقلية حكمة واستقصاء ، ومن الناحية الفنية جلالاً وجمالاً ، ومن الناحية الروحية طهارة واخلاقاً ، فلا غرو ان يكون لها هذا السلطان الباهر وهذه القوة الساحرة ، ولا يزال الاتقياء في كل عصر ومصر يشاطرون الكاهنة (بيشيا) لما قالت في مكهن (دلفي) في بلاد اليونان منذ عشرات القرون «ايها الغريب اذا كنت طاهر النفس فادخل معبد الله القدوس مكتفياً بلمس ماء التطهير ، فالتطهير سهل على الصالحين ولكن البحر المحيط جميعه بأنهاره عاجز عن غسل الادران من الرجل الشرير»

(1) The Adventure of the Black Girl in her Search for God, p. 69.

العقوبات المولية

الادبية والمالية والاقتصادية

العقوبة اسم يطلقه رجال القانون ، على الذرائع التي يتذرع بها لقسر الناس والدول على الخضوع للقانون . وقد تفرغ في احد قالين ، اولها توقيع الجزاء على من انتهك حرمة القانون ، وثانيها وسائل غرضها منع انتهاك مرتقب . ولتاثيرها وجهان ، احدهما سلبى ، ذلك ان معرفة الآثم او المعتدي ، ان النية معقودة على تطبيق العقوبات عليه ، وان تطبيقها مستطاع ، ردعه عن الاقدام على ما ينوي ، والاخر ايجابى ، وهو قائم على منع المعتدي من التمادي في اعتدائه ، وحرمانه من ثمرات الاعتداء ، وحمله على الخضوع للقانون

اما كيف نشأ نظام العقوبات في القانون الدولي ، فبحث فقهي لا يتسع له نطاق هذا المقال ، فنكتفي بالقول بان انشاء جامعة الامم بعيد الحرب الكبرى ، قام على قاعدتين ، احدهما احترام ما يعرف بالقانون الدولي ، المستمد من المعاهدات والاتفاقات الدولية وما قرّرتهُ المؤتمرات المختلفة في هذا الصدد ، والاخرى الاتفاق على فض كل نزاع دولي بالوسائل السلمية ، اما باتفاق الفريقين المختلفين واما بالتحكيم واما بعرض المشكلة على محكمة العدل الدولية

هذه القواعد مطوية في عهد جامعة الامم . ولكن عهد الجامعة لم يكتب بتقريرها ، بل نص في مواد مختلفة على السبل ، التي يجب ان تطرق ، فضا للنزاع بالوسائل السلمية ومنعاً للحرب . ففض النزاع بالوسائل السلمية منصوص عليه في المواد ١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ . ووسائل الاحتياط التي يجب ان تتخذ عند التهديد بنشوب حرب منصوص عليها في المادتين ١٠ و١١ . وفرض العقوبات على معتد مرتقب او معتد فعال منصوص عليها في المواد ١٠ و١١ و١٣ و١٥ و١٦ و١٧ . اما اعادة النظر في المعاهدات القائمة ، التي اصبحت تطبيقها متعذراً او مهدداً للسلام لتغيير الاحوال فنصوص عليها في المادة ١٩ . وهذه المواد متماسكة البنيان ، يشد بعضها بعضاً ، ولا يمكن ان ينظر فيها مفصولة بعضها عن بعض

العقوبات الادبية الدبلوماسية

الرأي العام في مختلف الامم ، وبوجه خاص في البلدان الديمقراطية ، رادع قوي الاثر عن الاعتداء . وليس ادل على ذلك من ان الحكومات التي اشتركت في الحرب الكبرى ، حاولت كل منها ، ان تقنع شعوبها بانها خاضت غمار الحرب مكرهة ، دفعاً لاعتداء واقع عليها . فالنجاح في حرب ما من دون تأييد الرأي العام ، امر متعذر . والرأي العام الدولي ، قد يعرب عن استنكاره لخطوة دولة من الدول ، بأساليب مختلفة ، بامتناع

السيّاح عن زيارة تلك البلاد واعلامها ، وباجتناب الناس شراء ما تصنعه وتصدره الى الخارج ، او بكتابة المقالات في الصحف ، او بالاحتجاج عن طريق الممثلين الدبلوماسيين فهذه الوسائل ، مفردة ومجتمعة ، تضعف الثقة في مالية البلاد ، علاوة على ما تتأثر به تجارتها بمقاطعة بضائعها . لانه اذا رميت نية دولة ما بالشك ، وحامت حول استقامتها في احترام عهودها الظنون ، ضعفت الثقة كذلك بتعهداتها المالية العامة ، فتعجز في الغالب عن فتح الاعتمادات الدولية او عقد القروض الدولية التي لا ندحة عنها في هذا العالم الذي تربطه بعضه ببعض اسلاك خفية من المال او ما يقوم مقامه

الا ان حكومة من هذا القبيل تملك سلاحاً في الغالب ، يمكنها من ان تخفف وقع هذه الوسائل الادبية . وهذا السلاح هو السيطرة على الرأي العام في بلادها او توجيهه في الوجهة التي تبغي ، بكم المعارضين وسدّ افواه النقدة . والحكومة العازمة على الاعتداء ، والمؤيدة من شعبها اما عن عقيدة واما عن سيطرة ، قد لا تعبأ في الغالب بالرأي العام الدولي الى حدّ ما واذاً فالعقوبات الادبية لا تعدّى حدّاً معيناً في تأثيرها ، اي في مقدرتها على ردع المعتدي عن الاعتداء . ولا يخفى ان صلات الامم بعضها ببعض ، تتم في ابان السلم بواسطة الممثلين الدبلوماسيين . ولكن الاحتجاج الدبلوماسي لا يعدو كونه كلاماً مفرغاً في قالب الاحتجاج او التحذير او الانذار فابسط شكل تتخذه العقوبات الدبلوماسية هو اعتراض او احتجاج دولة ما على عمل دولة اخرى . ومكانة هذا الاحتجاج ، تختلف باختلاف الدولة المحتجة ، وقوتها ومكانتها في مجامع الامم ومدى اعتماد الاولى على الثانية . فاحتجاج الدول الكبرى اوقع في الغالب من احتجاج الدول الصغيرة ويستفحل وقعه اذا كان اعراباً حقيقياً عن شعور الامة التي يرفع باسمها

ان قيمة احتجاج من هذا القبيل ، لا تقوم في المقام الاول ، على استنكار الدول الاجنبية لعمل الدول المعتدية ، بل على توجيه نظر الشعوب الى عمل الاعتداء المستنكر والخطر الذي ينطوي عليه . ثم هو يعبئ في الرأي العام في الدولة المحتجة ، بل وفي غيرها ، باخراج المشكلة وحقائقها من مطاوي المفاوضات الدبلوماسية ، الى وضع المناقشات العلنية في الصحف وعلى المنابر . وفي هذه الناحية يكون الاحتجاج معواناً على الحيولة دون عمل الاعتداء قبل ان تنظم المقاومة الدولية المشتركة لمنعه . وغني عن البيان ان قيمة الاحتجاج الدبلوماسي تزداد اذا جاء من غير دولة واحدة باللغة تلك الدولة من المسكنة والقوة ما بلغت . فاذا سنحت الفرصة لاحتجاج من هذا القبيل ، تبعث الدول المختلفة باحتجاجات متماثلة في معناها ، متقاربة في صيغها . وهذه الطريقة قد تفضل طريقة وضع احتجاج واحد من قبل دول مختلفة ، لما يقتضيه وضع صيغة احتجاج من هذا القبيل من المناقشة الطويلة قبل الاتفاق عليها . الا انه متى وضعت صيغة مشتركة لاحتجاج دولي ، يزيد شأنها في نظر الدولة المعتدية ، لدلائها على اتفاق الدول المحتجة

ولكن العقوبات الدبلوماسية ، لها اساليب اخرى للاعراب عن استنكار الدول لاعتداء دولة ما عدا الاحتجاج او التحذير شفاهاً او كتابةً . واحد هذه الاساليب ، سحب السفير او الوزير المفوض من عاصمة الدولة المعتدية . وابقاء العمل الدبلوماسي في تلك العاصمة في يد قائم بأعمال السفارة او المفوضية . فعمل من هذا القبيل ، من شأنه ان يؤكد احتجاجاً قديماً كتابة او شفاهاً واهل . ولكنه في الوقت نفسه ، يعترض عليه ، بأنه في الازمات الدقيقة ، تحتاج كل دولة ، الى سفير او وزير مجرب ، للقيام بمفاوضات دقيقة كل الدقيقة في الغالب

وهذا الاعتراض نفسه ينطبق على قطع الصلات الدبلوماسية بسحب السفير او الوزير ورجال السفارة او المفوضية جميعاً من عاصمة الدولة المعتدية . فعندئذ يتعين على الصلات بين الدولتين ، ان تستأنف عن طريق ممثل دولة ثالثة ، او عن طريق احد القناصل ، وفي كلتا الحالتين ، لا يتم الاتصال بين الدولتين ، في شؤون حيوية ، على احسن ما يرام

فأساليب العقوبات الدبلوماسية التي تقدم ذكرها ، لا تعدو كونها اعراباً عن استنكار ادبي لعمل الدولة المعتدية . وقد تستعمل الطرق الدبلوماسية ، للاعراب عن تحذير او انذار ، ولكن قيمة التحذير او الانذار يتوقف اولاً واخيراً على استعداد الدولة المحذرة او المنذرة لتأييد تحذيرها او انذارها بالقوة . وهذه الناحية من العقوبات الدبلوماسية ذات صلة وثيقة بالعقوبات الحربية . وهي خارجة عن موضوعنا الآن

العقوبات المالية

الفرق بين العقوبات المالية والاقتصادية ، فرق دقيق ، ولذلك جاء ذكر العقوبات المالية منفصلاً عن ذكر العقوبات الاقتصادية في المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة

تحتاج الحكومات في هذا العصر ، الى نقد اجنبي ، او الى اعتمادات مالية اجنبية ، لشراء ما تحتاج اليه من العروض في الخارج . فالعقوبات المالية لا تؤثر تأثيراً كبيراً الا في دولة تعتمد الى مدى بعيد على ما تستورده ، وبوجه خاص من المواد الخام للصناعة ، والمواد اللازمة للحرب كالذخيرة والاسلحة على اختلافها ، او مواد الغذاء . ولعل ابلغ مثل على هذا ، حاجة بريطانيا الى استيراد مواد الغذاء ، وحاجة إيطاليا الى المعادن والوقود

فالعقوبات المالية ليست ببعيدة الاثر في ردع الدولة المعتدية اذا اعتمد عليها وحدها ، ولكنها تمتاز في سهولة تطبيقها وسرعته

فالمشكلة التي تتناولها الدول حين تعرض لتطبيق هذا الضرب من العقوبات ، هي الحيلولة دون تمكين الدولة المعتدية من الحصول على المال اللازم لاقتناء ما تريده من اسواق العالم فمن الوسائل التي تعتمد عليها الدول حين تحتاج الى مال تنفقه في الاسواق الاجنبية ان تطلب

الى جميع مواطنيها الذين يملكون سندات اجنبية في الخارج ان يضعوا هذه السندات تحت تصرفها فتبيعها او تعقد قروضا بضامتها، وتنفق المال الذي يجمع من هذه الناحية في شراء ما تحتاج اليه. وقد سبق لبريطانيا ان عمدت الى هذه الوسيلة خلال الحرب الكبرى، لما طلبت الى البريطانيين الذين يملكون سندات اميركية ان يحولوها الى حكومتهم لتمكينها من شراء الاسلحة والذخيرة اللازمة لها ولحلفائها لمواصلة الحرب

فالعقوبات المالية ترمي، الى منع تحويل من هذا القبيل

ثم انها تحظر عقد قروض مالية للدولة المعتدية

الا ان الاقتراض السري من اصعب ما تتعرض له الدول في فرض العقوبات المالية. فقد تتفق الدولة المعاقبة مع دولة اخرى، غير مشتركة في العقوبات، ان تعقد قرضا باسمها الخاص في سوق بريطانيا المالية، او في سوق اميركا المالية، فاذا عقدت هذا القرض استطاعت الدولة المقترضة ان تحول به غير طريقة واحدة الى الدولة المعاقبة. ولولا النص على تطبيق العقوبات الاقتصادية جنبا الى جنب مع العقوبات المالية، لتعذر على الدول المتفقة على توقيع العقوبات المالية، ان تمنع الدولة المعاقبة من الفوز ببعض ما تحتاج اليه من المال على الاقل، لشراء ما تحتاج اليه

ومما تتعرض له العقوبات المالية، ويجعلها سلاحا ذا حدين، ان تلغي الدولة المعاقبة ما سبق لها وعقدته من القروض في سوق دولة او اكثر من الدول المشتركة في فرض العقوبة المالية عليها، كأن تنكر ايطاليا مثلاً، ما عقدته من القروض في بريطانيا، انتقاماً من اشتراك بريطانيا في فرض العقوبات المالية عليها، او انها تتوقف على الاقل عن دفع الفوائد على هذا القرض

ولما كانت الاعتمادات المالية مرتبطة اوثق ارتباط بالصادرات والواردات، الظاهرة والخفية، فتطبيق العقوبات المالية، لا يمكن ان يكون دقيقاً الا اذا صحبه تطبيق العقوبات الاقتصادية، او بالحري قطع الصلات التجارية بين الدولة المعاقبة والدول الاخرى

ومن العقوبات المالية امداد الدولة المعتدى عليها، بعمون مالي. ففي مايو سنة ١٩١٦ وجهت حكومة فنلندا نظر جامعة الامم الى ان الدول الصغيرة التي رضيت بنزع سلاحها، قد تضطّر اذا اعتدى عليها، ان تعتمد الى شراء المواد اللازمة للحرب. فيجب ان يوضع نظام يمكن الدول الصغيرة المعتدى عليها، من الفوز بعمون مالي دولي. فنظرت لجان الجامعة المختلفة في الموضوع من جهات مختلفة، ووضعت مشروعاً، عرض للتوقيع ابتداء من اكتوبر سنة ١٩٣٠

فهذا المشروع يسلّم بان الدول الصغيرة المعتدى عليها، او المهدة بالاعتداء عليها، تحتاج الى مال يمكنها من تنظيم الدفاع عن حياتها. ولذلك يقترح ان لا يكون المدد المالي الذي تصيبه من الدول، قروضا تعقد لها، بل ضماناً من هذه الحكومات للقروض التي تعقدها في اسواق العالم المالية الحرة. وهذا العمل في نظر واضعي المشروع ضرب من «السلامة الاجاعية» في الميدان المالي

هذا هو الاتفاق الذي طلبت الحبشة بمقتضاه عوناً مالياً من جامعة الأمم . ولكن المشروع لم يبرم مع ان ثلاثين دولة وقعت عليه ، وسبب ذلك ان تنفيذه مربوط بتنفيذ مشروع لنزع السلاح او تحديده العقوبات الاقتصادية

العقوبات الاقتصادية وسائل يتوسل بها لتضييق نطاق الاتجار مع الدولة المعتدية . وهذه الوسائل تكون في الغالب حظراً تاماً او جزئياً على المواد الاتية :

١ - جميع الواردات من الدولة المعاقبة

٢ - الصادر اليها من مواد الحرب كالاسلحة والذخيرة

٣ - الصادر اليها من المواد الخام اللازمة للصناعات الحربية

٤ - جميع الصادرات الاخرى اليها

٥ - جميع الصادرات والواردات اي المقاطعة الدولية التامة

والعقوبات الاقتصادية يمكن ان تطبق على وجهين . فالوجه الاول يفرغ في قالب المقاطعة الاقتصادية ، فتمتنع كل دولة عن التوريد الى الدولة المقاطعة . وهذه المقاطعة لا تصيب النجاح التام الا على شرطين ، ان تشترك فيها جميع الدول التي تورّد الى تلك الدولة ، وان تكون الدولة عاجزة عن اكفاء نفسها بنفسها . فمدى النجاح في تطبيق العقوبات الاقتصادية من هذه الناحية مرهون بعدد الدول المشتركة فيها ، وبمدى ما تحتاج اليه الدولة المعاقبة من الواردات الاجنبية

اما الوجه الثاني فهو ان تعتمد الدول المعاقبة الى ضرب نطاق بحري وبري حول شواطئ الدولة المعاقبة وحدودها منعاً لوصول اي بضاعة اليها . وهذا العمل يعرف بالحصر Blockade الاقتصادي والنجاح في هذا العمل يتوقف من ناحية على موافقة دول الصادر الكبرى والاستعداد لتأييد الحصر بالقوة الحربية والبحرية

فالفرق الاساسي بين المقاطعة الاقتصادية (اي الحظر السلبي) والحصر الاقتصادي (اي الحظر الفعال) هو ان الحظر السلبي يمكن ان تطبقه كل دولة على حدة من دون ان تتعرض لخطر ما الا خطر مقابلة عملها بمثله من قبل الدول المعاقبة . حالة ان الحظر الفعال لا يمكن ان يتم الا مستنداً الى القوة . ومقاومة الدولة المعاقبة لهذا الضرب من العقوبة لا بد من ان يقضي الى حرب . وبما يضاف الى هذا ان الدول غير المنتظمة في الجامعة ، قد تعترض على الحصر البحري ، لعرقلة اعمالها التجارية ، وقد يقضي الى مشكلات خطيرة بينها وبين دول الجامعة

حظر الواردات من الدولة المعاقبة

المرتبة الاولى في تطبيق العقوبات الاقتصادية هي حظر دخول الوارد من الدولة المعاقبة الى الدول المشتركة في تطبيق العقوبات عليها . وتنفيذ هذا العمل خال من الصعوبة . فهو من الناحية

الادارية سهل التطبيق ، لا يحتاج الى هيئة حكومية جديدة للقيام به ، بل يكتفى بالاعتماد على مصلحة الجمارك في ذلك . ثم انه يفضل على حظر الصادر ، لانه اسهل على تعيين مصدر الوارد الى بلاد ما من ان تعين المصير النهائي للصادر منها . ويضاف الى هذا وذاك انه لا يحتاج الى اي عمل خاص ، من قبيل الحصر البحري لمنع الصادرات من الوصول الى شواطئ الدولة المعاقبة . ولا ريب في انه اسهل على حكومة ما ان تقنع شعبها بالامتناع عن شراء بضائع معينة ، من ان تقنعهم بالامتناع عن بيع بضائعهم . فحظر الوارد من الدولة المعاقبة الى الدول المعاقبة اسهل من الناحية النفسية من حظر الصادر منها الى الدولة المعاقبة . وهذا الحظر يؤثر في اضعاف موارد الدولة المعاقبة في الاسواق الخارجية ، لانها تعتمد على ثمن ما تبيعه في الخارج ، لشراء ما تحتاج اليه . فتطبيق هذا الحظر جنبا الى جنب مع تطبيق العقوبات المالية من شأنه ان يحد الى مدى بعيد من مقدرتها على شراء ما تحتاج اليه في الخارج ، الا اذا كانت تملك مقداراً فائضاً من الذهب تصدره لتوفي به ثمن ما تشتريه

والنجاح في هذا الضرب من العقوبات الاقتصادية يتوقف على عدد الدول المشتركة فيه ومقدار ما كانت تصدره في ابان السلم الى الدولة المعاقبة

حظر تصدير مواد الحرب اليها

من العقوبات الاقتصادية التي تجدر توقيها على دولة تستعد لحرب ، او تخوض حرباً منتهكة في عملها عهد جامعة الامم وعهدا باريس (كلوج بريان) الامتناع عن تجهيزها بالوسائل التي تمكنها من القيام بالحرب ، اي الاسلحة والذخائر

والنجاح في توقيع هذه العقوبة يتوقف على الجواب عن الاسئلة التالية : — ما مبلغ تقدم الصناعة في الدولة المعتدية وما مقدرتها على صنع السلاح ؟ هل تملك مصادر المواد الخام اللازمة لصناعة الاسلحة ، في بلادها او بلاد خاضعة لها ؟ هل خزنت مقادير من هذه المواد استعداداً للحرب وما مقدار ما خزنته ؟ هل اتفقت اعم الدول التي تصنع الاسلحة على تطبيق هذه العقوبة ؟

ان صناعة الاسلحة ، صناعة واسعة النطاق ولكنها تكاد تكون محصورة في اثنتي عشرة دولة هي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية وتشيكوسلوفاكيا والسويد وايطاليا وهولندا والبلجيكا والدنمارك واليابان واسبانيا وسويسرا ، وقد بلغ ما صدرته هذه الدول ٩٨ في المائة من مجموع تجارة السلاح الدولية سنة ١٩٣٢ ولكن ٦٩ في المائة من تجارة السلاح الدولية في تلك السنة خرج من ثلاث دول فقط هي بريطانيا وفرنسا والسويد . فالدول من هذا القبيل فريقان فريق يملك مصادر للمواد الحربية ومصانع لصنعها وفريق لا يملك هذه ولا تلك ، او قد يملك المصانع دون مصادر المواد اللازمة لها

خطر تصدير السلاح والذخيرة الى الفريق الثاني ، يحول دون استمراره في حرب ما اكثر من مدة قصيرة ، اي حتى ينفد ما خزنه من الاسلحة والذخيرة قبل نشوبها او بعيده . ذلك ان ما تخزنه الامم من الاسلحة والذخائر الحربية في ايام السلم ، قليل لا يذكر ، اذا قيس بما يستنفد منها في ابان الحرب ، فلقنابل ورصاص البنادق والمفرقات بوجه عام تستهلك بسرعة عظيمة في الحرب . والمدافع تبرى فيجب ان تبديل بغيرها او ان يعاد تبطينها ، والطائرات تبلى اجزاؤها بمعدل مائة في المائة في الشهر خلال الحرب ، وقلما تخزن دولة ما من الاسلحة والذخائر ما يكفيها اكثر من مدى الفترة الاولى من الحرب ، وهي الفترة التي تستنفد فيها الذخيرة ، وتصبح الاسلحة في حاجة الى التجديد . ولا ريب في ان المخزون من هذه المواد في البلدان التي لا تصنعها اكبر في المتوسط مما تخزنه الدول التي تملك المصادر والمصانع معاً . ولكنها مع ذلك لا تلبث ان تشرع في حرب ، وتفرض عليها العقوبات الاقتصادية ومنها حظر توريد الاسلحة والذخائر اليها حتى تدرك عجزها عن مواصلتها

وقد اعترفت لجنة عينتها جامعة الامم للبحث في النزاع القائم بين بوليفيا وبراغوي ، وقد دامت الحرب بينهما ثلاث سنوات (١٩٣٢ - ١٩٣٥) بانه لولا وارد الاسلحة الى الدولتين من الخارج لعجزت الدولتان عن مواصلة الحرب . ولا ريب في انه لو طبق حظر تصدير السلاح على الدولتين المتحاربتين معاً لانهت الحرب في سنة ١٩٣٣ . بل لو ان الجامعة تحركت وفقاً لقواعد عهدها وعيَّنت المعتدي من الدولتين المتحاربتين وفرضت العقوبات عليه وحده ، لماطالت الحرب اكثر من بضعة اشهر الا ان حظر تصدير السلاح والذخيرة الى بلاد تملك مصادر ومصانع كافية لصنعها لا يؤثر وحده تأثيراً كبيراً في مقدرتها على مواصلة الحرب . ومع ذلك فقد رأينا بريطانيا وفرنسا ، في خلال الحرب الكبرى تبتاعان السلاح والذخيرة من الولايات المتحدة الاميركية اكفاءً لحاجتهما منهما مع ان صناعة السلاح فيهما اوسع نطاقاً واوفى عدّة منها في غيرها من الدول . فليس ثمة دولة من الدول في وسعها ان تغضي ، وهي مشتبكة في حرب كبيرة ، عن هذا الضرب من العقوبات الاقتصادية ولا بدّ في تنفيذ هذا الحظر من جعله تاماً وطاماً والاّ ضيّع الغرض المقصود وفي ذلك لا بدّ من الاتفاق بين الجامعة والدول المصدرة للسلاح

والغالب ان لا يكون لتوقيع الحظر على مواد الحرب ، تأثير واسع النطاق في البلاد التي توقعه لانه ينحصر في خسارة بعض الشركات التي تصدر هذه المواد ، وعند ذلك لها ان تطلب تعويضاً من حكومتها ولكنها اذا كانت تجري على النظام الذي تجري عليه الحكومة البريطانية ، وهو وجوب استصدار رخصة من الحكومة لتصدير كل شحنة من الاسلحة والذخيرة ، فليس ثمة سبيل لطلب هذا التعويض لانه من حق الحكومة ان ترفض اصدار هذه الرخصة عند ما ترى باعثاً على ذلك ولكن اذا شاعت الدولة المعاقبة ان تثار لنفسها من تحريم هذا الضرب من المصادر اليها ، كان

لعملها تأثير عام في تجارة البلاد التي وقعت العقوبة عليها. في سنة ١٩٣٤ ادعت حكومة بوليفيا ان الحظر الذي وقعته حكومة انكلترا على تصدير الذخيرة والسلاح اليها ، مناقض للاتفاق الانكليزي البوليفي الموقود سنة ١٩١١ وانذرت الحكومة البريطانية بفرض ضرائب اضافية على الشركات البريطانية في بوليفيا ، وكانت هذه الشركات معفاة من هذه الضرائب بمقتضى المعاهدة المذكورة . فكان رد الحكومة البريطانية ان عملها هذا ليس مناقضاً للاتفاق . ولكن الحادثة تدلُّ دلالة واضحة على ما تستطيع دولة معاقبة في هذه الناحية

فيتضح مما تقدّم ان حظر تصدير الاسلحة والذخيرة ، عمل لا تعترضه صعاب كبيرة من الناحية الادارية ، ولا يؤثر تأثيراً طاماً كبيراً في تجارة البلاد التي تفرضه . وان نجاحه مرهون باتفاق جميع البلدان المشهورة بصناعة الاسلحة والذخيرة على توقيعه ، وان فعله في الغالب لا يكون كبيراً الا اذا وقع على بلدان لم ترتق فيها الصناعة ارتقاءً عظيماً ، بل انه لا يؤثر الا تأثيراً يسيراً محصور النطاق اذا فرض على بلدان تملك المصانع الوافية . فاذا كان في الامكان تعيين المعتدي وفرض الحظر عليه دون المعتدى عليه ، كان تأثيره اسرع ظهوراً منه اذا فرض على اليقين المتحاربين معاً وعلى كل حال لا يكفي حظر الاسلحة والذخيرة وحده في معاقبة دولة تنوي الاعتداء لانها تكون في هذه الحالة قد اعدت عدتها بمخزن مقادير كبيرة من السلاح والذخيرة قبل شروعه فيها

حظر المواد الخام اللازمة للحرب

قلنا ان حظر الاسلحة والذخيرة ، لا يجدي نفعاً ، اذا كانت الدولة المعاقبة تكفي نفسها بنفسها من حيث صناعة الاسلحة في بلادها . ولكن هذه الكفاية لا تقوم على وجود المصانع الوافية في البلاد فقط بل تقوم كذلك على امتلاك البلاد لمصادر تستطيع ان تستمد منها المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة . والمواد الخام ليست موزعة توزيعاً متساوياً بين الامم ، او في مناطق الارض المختلفة . فيجدر بنا ان نلقي نظرة على هذه الناحية من الموضوع ، لنعلم ، هل مدُّ الحظر حتى يشمل المواد الخام اللازمة لصناعة الاسلحة والذخيرة الحربية ، من شأنه ان يضيق الخناق على المعتدي او لا

واول ما يتجه اليه النظر في هذا الصدد ، هو ان نعرف المواد التي تحتاج اليها الامم في هذه الصناعة ، وما تحتاج اليه الدول المختلفة منها

فرداً على السؤال الاول نقول ان الامم العسكرية ، متجهة في هذا العصر ، الى جعل الآلة الميكانيكية ، اساساً لتنظيم الجيش . فالجيش الحديث لا غنى له عن السيارة والطائرة والمدافع على انواعها ، والدبابات الثقيلة والخفيفة ، وهذا علاوة على اصناف السفن الحربية من البوارج الضخمة الى الغواصات وباذرات الالغام . فالصناعات الاساسية التي تعتمد عليها الامم في الاستعداد للحرب ، هي صناعة المعادن ، والصناعات الكيميائية والكهربائية ، وصناعة استخراج النفط وتكريره واعداد اصنافه المختلفة . وفي ما يلي قائمة باهم المواد التي لا غنى لهذه الصناعات المختلفة عنها ، وما تستعمل له

الفحم والكوك — لا بدّ منهما في صناعة الصلب وتوليد الطاقة لاسباب النقل الحديثة. ويستخرج منهما زيوت معينة مثل الفينول والتولوين والكريزول وهي مما لا غنى عنه في صناعة المتفجرات النفط — وهو الوقود الذي لا غنى عنه للسيارات والدبابات والطائرات والسفن الحربية ويستخرج منه كذلك الزيوت لتزيت جميع المحركات على اختلافها

القفطن — لصناعة المتفجرات

الصوف — مادة لا غنى عنها لاغراض متعددة ومنوعة

المطاط — يستعمل لاغراض منوعة، أهمها في الصناعة الكهربائية، والنقل. ولا يخفى ان الالمان في خلال الحرب الكبرى اضطروا ان يجعلوا اطارات العجلات في سيارات النقل من الحديد، لان الحصر البحري حال دون وصول المطاط الى بلادهم الغليسرين — لا غنى عنه في صناعة الديناميت

السلولوس — لا غنى عنه في صناعة اصناف البارود الذي لا دخان له

تبر الحديد والحديد الزهر — لا غنى عنهما في صناعة اية آلة من الآلات او سلاح من الاسلحة الرصاص — لا بد منه في صناعة الذخيرة الحربية والاحماض والمتفجرات النحاس والخارصيني والقصدير والكاديموم — يحتاج اليها في صناعة بعض الاسلحة ومدافع الميدان والذخيرة الحربية والمعدات الميكانيكية والكهربائية

النيكل — يستعمل في صناعة بعض اصناف الذخيرة، والصلب

الالومنيوم — في الطائرات وكل محرك او آلة يحتاج الصانع فيها الى خفة الوزن

الزئبق — كثير الاستعمال في كباسات المتفجرات

البلاتين — يحتاج اليه في صناعة الاجهزة الكيميائية وخاصة في صناعة النترات

الانتيمون والمنغنيس والمولبدنوم والتنجستين والكروم وبعض مركباتها — لا بدّ منها في صنع

اصناف الصلب القاسي

ويجري هذا المجرى حجر الفتيلة (الاسبستوس) والفرانيت والميكا والحامض النتريك والكبريت والزرنيخ والبروم والكلور والفسفور. والاربعة الاخيرة لا غنى عنها في صناعة الغازات الحربية هذا عن المواد الخام التي تحتاج اليها الامم المختلفة في صناعاتها. وليس من السهل معرفة ما تحتاج اليه الجيوش منها في المتوسط. ولكن اللجنة الاميركية للعقوبات الاقتصادية تناولت هذا الموضوع بالبحث الدقيق، فوصلت الى نتيجة تقريبية يصح اتخاذها مقياساً. فقد قالت في تقريرها ان الاعمال الحربية في الميدان تقتضي اتفاق ما زنته ثلاثة اطنان من الصلب والسلاح والذخيرة والسكك الحديدية الخفيفة وواقيات الخنادق، للجندي الواحد في السنة. وان صنعها لا بد ان يكون قد اقتضى معالجة ستة اطنان من الفحم وستة اطنان الى ثمانية اطنان من الحديد. وبلي

ذلك ما يستنفد من النفط ويقدر بطن واحد للجندي الواحد في المتوسط في السنة . وتليه المواد الاخرى وهي اقل مما تقدم . فالجندي ينفق من مائة رطل الى مائتي رطل من كل من المواد الآتية وهي النترات والكبريت (الپيريت احد مركباته) والسمنت والمنغنيس والنحاس والرصاص و٢٥ رطلاً من كل من المواد الآتية وهي القطن والصوف والمطاط والفلزات اللازمة للذخيرة الحربية اي القصدير والنيكل والانتيمون والالومنيوم والخرصيني (زنك) والزئبق . واذا صح تقدير الخبراء فالمستهلك من النفط والوقود السائل والصلب في الحروب المقبلة ينتظر ان يفوق ما كان عليه في الحرب العالمية . فالمواد التي تستهلك في الحرب تفوق كثيراً ما يستهلك منها في اَبان السلم ، حتى في الدول التي فيها مصانع كبيرة تصنع الاسلحة والاعتدة الحربية للتصدير . اما الدول التي لا تملك هذه المصانع فيبدو عجزها عن الفوز بمواد الحرب حال تطبيق هذه العقوبة عليها او بعيد تطبيقها

واذا رجع القارئ الى المقال الذي نشرناه في مقتطف نوفمبر الماضي بعنوان « المعادن والتبعات الدولية » (ص ٤٤٧) تبين ما تحتاج اليه الدول المختلفة من المعادن والفلزات اللازمة للصناعات الحربية فلا حاجة بنا الى تكراره هنا

وقد تعتمد الدولة المعاقبة الى مصادر جديدة تستمد منها المواد التي تحتاج اليها بعد حظر تصديرها اليها كما فعلت المانيا بنفط رومانيا في الحرب الكبرى . او قد تعتمد الى مناجم بتعذر استخراج المعادن منها استخراجاً راجحاً في اَبان السلم ، فتستخرجها منها عند الاضطراب اذ يصبح الربح في المقام الثاني . او قد تجمع ما يطرح عادة من مادة معينة فتسبكها وتنقيها وتعيد استعمالها . او قد تحاول ان تستنبط بدلاً صناعياً محل للمادة الطبيعية كما حاول الالمان ان يحلوا المطاط الصناعي محل المطاط الطبيعي فأخفقوا ، وكما حاولوا ان يصنعوا الاسمدة بتثبيت نتروجين الهواء لتحل محل الاسمدة الطبيعية فأصابوا نجاحاً عظيماً . او قد تبتدع وسائل جديدة لاستعمال مادة طبيعية متوافرة او في الوسع الحصول عليها ، بدلاً من اخرى لان الحصول عليها متعذر ، كما استعمل الالمان النيكل المستورد من

كندا عن طريق البلدان السكنديناوية بدلاً من المولبدنوم والتمغنستن في تقسية الصلب هذه العوامل تخفف من وقع الحظر على الدولة المعاقبة ، ولكن تأثيرها ، بصرف النظر عن العامل الاول ، يسير جداً . يضاف الى هذا ان الاحداث الطبيعية قد تدمر ما تخزنه الدولة المنتوية الاعتداء من مواد الحرب . فالزلازل التي اصابَت اليابان سنة ١٩٢٣ دمرت احواض النفط ولو ان اليابان كانت مشتبكة في حرب حينئذ وتصدير النفط اليها محظور ، لاصيبت قوتها الحربية في اضعف مقاتلتها وكذلك يتبين للقارئ ان الدولة المعتدية تواجه مصاعب عظيمة الشأن في الاستمرار في اعتدائها اذا حظرت الدول بالاتفاق تصدير بعض المواد الخام اللازمة للصناعات الحربية . وحظر التصدير الى الفريق المعتدي يعني في الغالب ابحاثه الى الفريق المعتدى عليه . وكون هذه المواد الاساسية قليلة ، وخطرها ذريع التأثير ، يجعل الحظر ممكناً من دون ان تضطرب التجارة الدولية اضطراباً يبعث على القلق

المقاطعة الدولية

قد تكفي احدى العقوبات التي تقدم ذكرها لردع المعتدي عن الاعتداء ، او لتقصير اجل اعتدائه ، ولكن تأثيرها قد لا يكون تاماً لذلك قد يعتمد الى عقوبات اخرى اعم وافعل في تحقيق الغرض المنشود ، وفي مقدمتها « المقاطعة الدولية » بتطبيق جميع فقرات المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة في وقت واحد . وتطبيقها هذا يقتضي من اعضاء الجامعة الامور التالية : —

- ١ — فصم جميع الصلات المالية والتجارية مع الدولة المعتدية
 - ٢ — منع كل معاملة بين رعايا اعضاء الجامعة ورعايا الدولة المعتدية
 - ٣ — منع كل معاملة تجارية ومالية بين رعايا الدولة المعتدية ورعايا الدول الاخرى سواء كانت اعضاء في الجامعة ام لم تكن
- ولا تعلم عقوبة اتم فعلاً من هذه العقوبة . فان فعلها لا بد ان يكون سريعاً وتاماً في ردع الامم التي لم تبلغ مبلغاً عالياً من التقدم الصناعي . اما تأثيرها في الامم الصناعية الكبيرة التي لا تتأثر عادة تأثيراً كبيراً باحدى العقوبات المتقدمة ، فلا بد ان يكون كبيراً كذلك ، ولكنه على كل حال يتوقف على مدى اعتمادها على تجارتها الخارجية . واقل الامم اعتماداً على تجارتها الخارجية هي روسيا السوفيتية والولايات المتحدة الاميركية ، وتليها بولونيا فاليابان فاسبانيا فايطاليا فالمانيا فنشكوسلوا فاكيا ففرنسا فالسويد فالمملكة المتحدة (اي انكلترا واسكتلندا وويلز) فالبلجيكا
- اما منع توريد المواد الغذائية الى دولة من الدول فعقوبة لا تطبق الا عند الحاجة القصوى والمملكة المتحدة بين الدول الكبرى ، اشدّها تأثراً بهذه العقوبة لانها تستورد ٥٠ في المائة من المواد الغذائية التي تحتاج اليها . ويقتضي فصم عرى المعاملة اقفال الحدود البرية ووقف تبادل رسائل البريد والتلغراف والتلفون والمحادثات اللاسلكية ومنع الطائرات والسفن من النزول في مطارات الدولة المعاقبة والرسو في مرافئها وسحب جميع الممثلين الدبلوماسيين والقنصلين واعتقال جميع رعايا الدولة المعاقبة المقيمين في بلاد الدول المعاقبة او ارجاعهم الى بلادهم

وقد تطبق المقاطعة الدولية تطبيقاً سامياً ، او تطبيقاً فعالاً اي حربياً . فالتطبيق السلمي ممكن اذا اجتمعت الدول على الاشتراك في التطبيق . ولكن لما كان الاجماع متعذراً ، ولما كانت بعض الدول الكبرى خارج نطاق الجامعة وقد لا يأنس من نفسه ميلاً الى الاشتراك مع دول الجامعة في هذا العمل فقد تقتضي الحالة في نهاية الامر استعمال القوة . وهذا يعني الحصر البحري والبري (Blockade) وهو ينطوي على خطر الاصطدام بالدولة المعاقبة وبالدول المحايدة لان هذه في الغالب لا تتنازل عن حقوقها في الاتجار الحر مع الدولة المعاقبة

حَدِّيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

الحرب القادمة

كتبها اوزيرت سنيول سنة ١٩١٥

القارورة اليونانية

لجون كينس

« نقلها خليل هنداي »



الحرب القادمة

كتبها اوزبرت ستبول سنة ١٩١٥

كانت الحرب الطويلة قد وضعت اوزارها. وكانت احوالها قد محيت ذكراها.
واصبح من الإرهاق ان تحدث الصم. بل ان حديث الابطال عاد يضجرك

اولئك الكيماويون السحرة^(١) الذين حولوا الدم الى ذهب، كانوا قد هرموا ولكنهم
عقدوا اجتماعاً وقالوا فيه: « لعلهُ يجب علينا ان نبني مقابر او نشيد مذبح »
« لذكرى اولئك الاحداث الشجعان الذي تقدموا مختارين، فاصيبوا بالعمى، او »
« حرقوا، او شوّهوا، ففقدوا كل شئ بينهم وبين الاحياء، أو نثروا قطعاً دامية »
« في سبيلنا. ان ذلك عمل جدير بهم وبنا »
« او لعلنا نعلم اولادهم »

ولكن اغني هؤلاء السحرة سعل سعالاً لطيفاً وقال: لقد كنت دائماً في الطليعة
— في العمل الخاص — وانني لا اتأخر عن احد في محبتي لبلادي. وعندي ان رأيكم،
رأي حسن، رأي بديع، ثم انه ليس كبير النفقة

ولكن يبدو لي ان القضية التي حاربنا في سبيلها مهددة بالخطر. واي تذكار
اجدر باولئك الساقطين، من ان يسقط ابناؤهم في سبيل القضية نفسها

وخرج الشيوخ الدماث الى الشارع يصيحون في الشبان:
« اتضحّون، ايها المتقاعدون، بما مات آباؤكم لكسبه؟ »
« يجب ان نجعل العالم سالماً للشباب »

وذهب الاولاد...!

(١) اشارة سخريه الى رجال المال والاعمال الذين جمعوا ثروات ضخمة في الحرب

القارورة اليونانية

في متحف لندن « زهرية يونانية » قديمة خطت عليها كيف الناقد صورة سامية من صور الحياة ، صورة عاشقين يهيم احدهما بالآخر . لم يترك لهما المصور مجالاً للاقترب ، ولم يعتقهما من هذا الموقف المفجع . وقع عليها ناظر « كيفس » فاستفزت مشاعره فراح يعطينا هذه الفريدة الرائعة من فرائده . وهي مقطوعة ذات الحان خفيفة ، لا ترى هنالك الا الحب ولا تشعر بغير الجمال . تبارك الله وتبارك هذا القلب السقيم الذي يرتاح للحان الشائعة ويطلب الى الالحان ألا تنقطع . تبارك الله وتباركت هذه الحقيقة التي لفها برداء الجمال حتى جعل الجمال مظهرًا من مظاهرها وجعل الحقيقة مظهرًا من مظاهرها (المترجم)

ايها الغادة المحرومة من الراحة !

يا ربيبة السكون الغالية ، وابنة الاعوام المتوانية

يا ابنة الغابات التي تعرف كيف تحدثنا احاديث يكتنفها زهر أريجها اضوع من اشعارنا !

آية خرافة حاكمتها اوراق الآلهة او الأموات او كلاهما معاً تنتشر — محفوفة

بالسر — من أحنائك ؟

ومن هم هؤلاء الآلهة وهؤلاء الناس وهؤلاء العذارى المستوحشات ؟

هؤلاء المجنونات النافرات

وما هي هذه الوقائع في سبيل الانعتاق والانطلاق ؟

وهذه الصنوج والشبّابات ؟ وما هذا الانجذاب والذهول ؟

ان الارانيم التي نسمعها هي جميلة ،

وأجل منها ارايم لا نسمعها ،
 ألا اعزفي ايها الصنوج لا لآذاننا ،
 اعزفي وليكن عزفك اشد وقعاً ،
 اعزفي للروح ورددي اناشيدك الخرساء .
 وانت ايها الفتى الآوي الى فيء الشجر
 انت لن تستطيع ان تنجز انشودتك كلها .
 وهذه الاشجار لن تستطيع ان تعري من اوراقها .
 وانت ايها العاشق المسرع لن تقدر على ان تُعطي قبيلتك ، مهما احسست أنك
 أشرفت على الظفر .
 ولكن لا تأس ولا تحزن !
 انها لن تذوى نضرتها ، ولن تتذوق انت منها كل بهجتك ستظل محبباً لها حتى
 النهاية وهي حتى النهاية ستظل جميلة

سعيدة انت ايها الاشجار التي لا تقدرين على التجرد من اوراقك ، ولا تقولين
 للربيع وداعاً !

وسعيد انت ايها الموسيقى الذي يردد دائماً بلا ملل افاني جديدة

واكثر سعادة ذلك الحب الملهب الرغبة ، الدائم ظمؤه ،
 السرمدى خفوقه ، اللامعة فتوته .

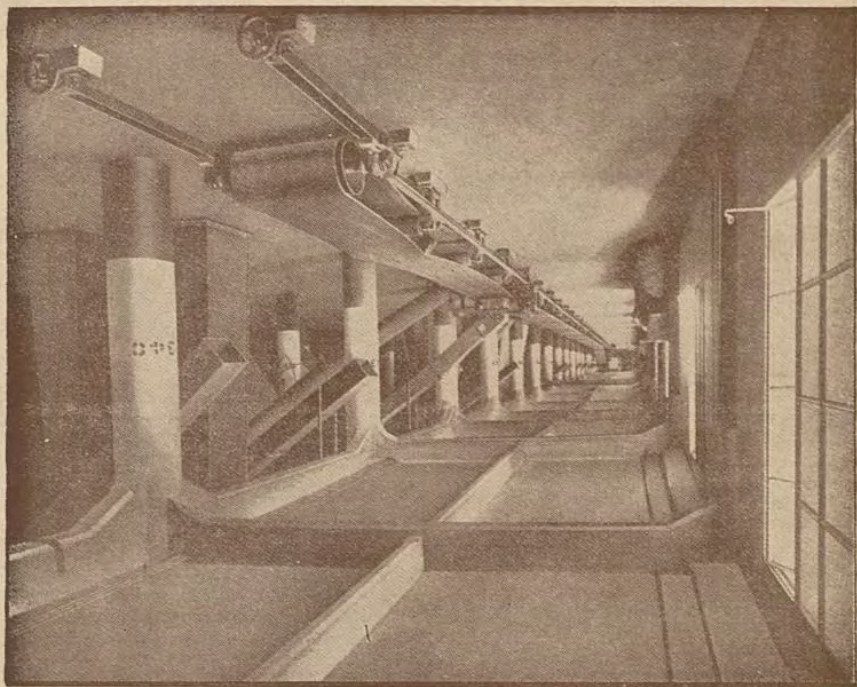
يسمو فوق كل هوى بشري غنيف ،
ويترك قلوبنا محرومة يأساً وسأماً ،
وجباهنا مضطربة ، وشفاهنا يابسة .

من هم هؤلاء الذين قدموا الى مذبح التضحية ؟
والى اي معبد نضر ايها الكاهن السري تقود هذه العجلة التي يتصاعد خوارها
للسماء ، وقد زينت اعطافها بأكاليل الزهر .
اية مدينة صغيرة مشيدة على ساقية او شاطئ ، او مرفوعة على طود حول معبد
التماثيل الهاديء ، قد افقرت من اهلها هذا الصباح القدسي ؟
انت ايها المدينة الصغيرة ستظل شوارعك صامتة ،
ولا روح تعود من ذلك العالم تنبئنا بسبب اقفارك .

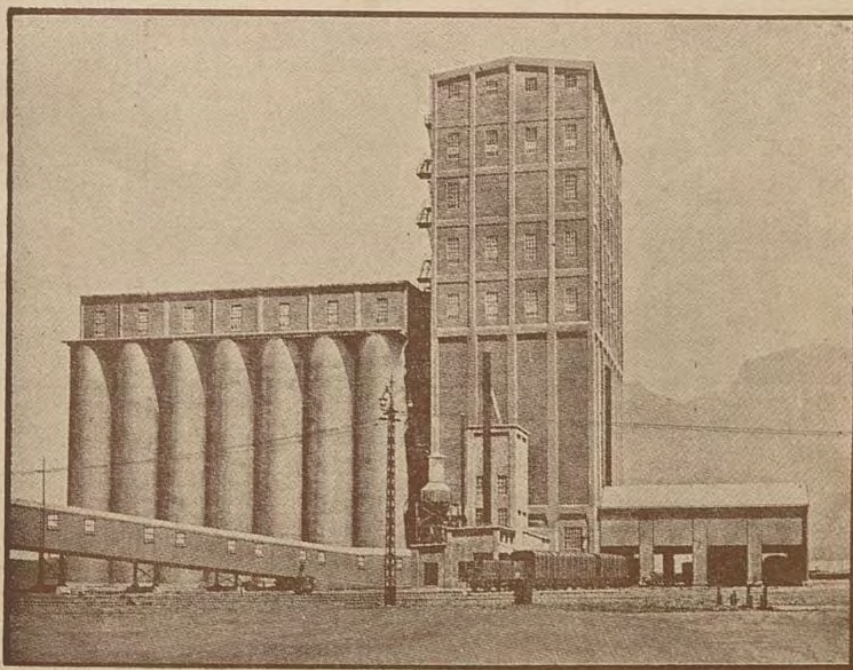
ايها المواطن التي يغشاها اشكال من الناس والعذارى الرخاميات المؤتلفات مع
فروع الاشجار والاعشاب الموطوءة !

ايها الشكل الصامت الذي يحير كنهه العقل كما تحير الأبدية !
ستبقى انت عند ما تبديد الشيخوخة هذا الجيل
ستبقى بين آلام كآلامنا صديقاً للانسان الذي تقول له :
« ان الجمال هو الحقيقة والحقيقة هي الجمال »
هذا كل شيء — هذا كل ما تعلمه على الارض
وهذا كل ما يجب ان تعلمه عليها »

(ترجمها خليل هنداي)



مشهد في داخل صومعة الغلال الحديثة وفيها النقالة «الآتوماتيكية»



صومعة للغلال تتسع لثلاثين ألف طن

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِفْتِصَاءِ

صوامع الفصول

عنيت مصر اخيراً بمسألة خزن الغلال بعد ان مضت السنون وهذه المسألة مهمة كل الاهمال ومحصول البلاد المصرية يفقد سنوياً ما لا يقل عن عشرين في المائة — بحسب التقديرات الرسمية — لما يصيبه من التلف الناشئ عن تقلب احوال الجو وبعض الآفات الحشرية والطيور والفئران ومع ان مصر كانت اول امة فكرت ونظمت مخازن الغلال في عهد يوسف عليه السلام ولا تزال آثار اهراتها في الفيوم ماثلة للعيان ، فلها في العهد الحاضر تأخرت عن غيرها من الدول في العناية بهذا الامر الذي يهم الزارع والصانع والتاجر والمستهلك على السواء كانت مصر اهراء العالم القديم في عهد الرومان للغلال والحبوب . ولكنها فقدت مكانتها في هذا الميدان لانحطاط نوع الغلال نفسها واهمال الوسائل الفنية لتصنيفها وحفظها وعرضها في الاسواق العامة فالزارع يكتفي بالآلات القديمة في درس محصوله وهو لا يكاد ينتهي من عملية الدراسة حتى يبادر الى التخلص من المحصول لحاجته الى النقود فتبسط الاسعار في اول المحصول عادة لكثرة المعروض منه في السوق . وهو ان فكر في ابقاء المحصول قليلاً في احدى شون البنوك انتظاراً لتحسن الاسعار تعرضت غلاله لجميع انواع الآفات . حتى اذا ما حان وقت العرض تبين له ان ما قد يكسبه من تحسن الاسعار ، يفقده بتلف جانب غير يسير من المحصول المخزون وقد حدث من طامنين في احد البنوك المصرية المعروفة ان القول الذي كان مخزوناً في شونه ، وكانت مقاديره كبيرة جداً ، هطلت عليه الامطار فنبئت حبوبه واضطر البنك للتخلص منه ان يبيعه بالخس الاسعار

وقد فطن علماء الغرب المحدثون الى هذه الناحية من الثروة الزراعية فصمموا مخازن للغلال والحبوب على انواعها تتوافر فيها جميع الشروط والوسائل لحفظ المحاصيل من التلف ، فيستطيع صاحبها ان يخزنها ما شاء وهو يعلم انه لا يعرضها في خزنها لضررها وانها لا يتعرض هو لخسارة ما علاوة على تثير ذلك في تنظيم العرض والطلب ، وفقاً للاسعار السائدة في الاسواق العالمية

والقاعدة في هذه المخازن الاعتماد على الوسائل الآلية في جميع مراتب العمل . فثمة آلات عملها ان «تشفط» الغلال من المراكب او عربات السكة الحديد او مركبات النقل ، وتنقلها نقلاً ميكانيكياً الى داخل المخزن ، حيث تنقى وتنظف وتصنف بالآلات مختلفة او توماتيكية (اي تعمل من تلقاء نفسها) ثم توزن وزناً ميكانيكياً ايضاً بالآلات تبرز رقماً وقد دون عليها الوزن الصحيح ويمكن كذلك ان تعالج الغلال بجميع الوسائل العلمية من تبخير وغيره داخل هذه المخازن ، بحيث اذا خزنت لم يبق لاصقاً بها ما قد يولد آفة تصيبها

وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه المخازن باسم «سيلو» Silo واصل هذه الكلمة عربي بحسب اقوال الغربيين ويظهر انها استعملت اولاً في اسبانيا والمغرب الاقصى . فخبذا لوعني احد اللغويين بالبحث عن اصل اشتقاقها العربي . وقد اصطلح على تسميتها في القطر المصري بالصوامع لان الفلاح اعتاد ان يطلق اسم صومعة على المخزن المبنى بالطين الذي يحفظ فيه غلاله . وكان الكاتب جلال حسين اول من اطلق عليها هذا الاسم في مقالات له نشرت في المقطم وقد عم استعمال هذه الصوامع في البلدان الزراعية الكبيرة والصغيرة في العالم اجمع ، ولم يكتف في استعمالها بخزن الغلال فيها ، بل استعملت ايضاً لخزن البن وبزر القطن وبزر الكتان وغيرها من المحاصيل الزراعية

وكان اقبال الممالك المختلفة عليها دافعاً للبيت الانكليزي الكبير الذي يتولى تعميم هذه الصوامع وهو بيت هنري سيمون المهندسين المعروفين في بلدة ستوكبورت على مقربة من منشستر — وقد زارها كاتب هذه السطور ، وهي مشهورة بمصانعها المختلفة لآلات ضرب الارز وطحن الغلال — على انشاء فروع له في استراليا وزيلندا الجديدة والهند وفرنسا والبلجيك وهولندا والبلدان السكنديناوية والارجنتين وشيلي والبرازيل واوروغواي والمكسيك والصين واليابان

ومن عهد قريب فكرت وزارة التجارة والصناعة بعد طول البحث والدرس ان تنشئ صوامع تتسع لثمانية وعشرين الف طن من الغلال المختلفة في ساحل اثر النبي بالقاهرة بين مصر القديمة والمعادي حيث تقع شون الغلال المختلفة

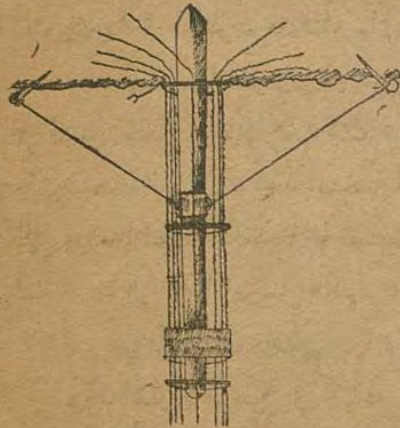
ومما لا شك فيه ان هذه خطوة مفيدة اذ لا جدال في ان مصر تحتاج الى مخازن اخرى عديدة من هذا القبيل . ففي الريف تحتاج الى مخازن صغيرة مما يسميه المهندسون باسم « صوامع الريف » وهي صغيرة تتسع احداها لالف اردب فقط . فالبنوك الزراعية في القطر المصري والدوائر الكبرى في حاجة الى مثل هذه الصوامع للعناية بخزن محاصيلها . ويضاف الى هذا ان البلاد تحتاج الى بناء صوامع من هذا القبيل في الموانئ لحفظ الوارد من الغلال

جهاز «الريافان»

وتنمية النبات ومكافحة آفاته

يعلم قراء المقتطف ان الاشعة اللاسلكية القصيرة استعملت في تجارب متنوعة في اوربا وأميركا لمكافحة بعض الآفات التي تصيب بعض الحبوب عند تخزينها ، وان بعض الباحثين مدّ في الارض اسلاكاً كهربائية وأجرى فيها تياراً كهربائياً ، فزاد محصول المزروعات التي تأثرت بها . ومن شاء زيادة الاطلاع فعليه بمراجعة كتابنا فتوحات العلم الحديث (ص ٢٦٣ - ٢٦٥)

وقد اطلعنا من عهد قريب على تقرير وضعه الميسو جورج رالي Ralli في وصف جهاز استنبطه ودعا « راليقان » وسجله في محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية في اول يونيو من هذه السنة . وهذا الجهاز مبني على قاعدة تأثير الامواج الكهربائية القصيرة في النبات والآفات التي تصيبها . ومبدؤها التقاط الاشعة الكونية التي تخترق جو الارض بواسطة رؤوس معدنية دقيقة ثم نقلها بواسطة مكثفات ومحولات فتجتمع بكهربائية الارض وتنشئ حقلاً كهربائياً مغنطيسياً حول المكان الذي توضع فيه وتولد أوزوناً في الجو



اما القاعدة الاخرى التي بني عليها هذا الجهاز فهو ان النبات يشبه الحيوان في تأثره بالعلاج بالامواج . وقد سبق للعلامة بوفون فيبين ان هناك شبيهاً اصاصياً بين النبات والحيوان في تركيبهما الحيوي وفعالهما الفسيولوجية فالعلاج بالامواج يقوي الجسم الانساني ويمنع بعض الامراض ويشفي البعض الآخر . وقد اثبتت التجارب المختلفة في بلدان متباعدة صحة هذا القول . فالتعرض للاشعة التي فوق البنفسجي الصادرة من مصباح القوس فعالة في منع الكساح مثلاً . والاشعة المنطلقة من

الراديوم فعالة كذلك في معالجة بعض النواحي السرطانية . والتعرض لاشعة الشمس عامل فعال في معالجة المصابين بالدرن . والاشعة اللاسلكية القصيرة تستعمل في اميركا الآن ، في نطاق محدود ، لاحداث الحمى اللازمة لمعالجة شلل الحلق العام والظاهر من تقرير الميسو رالي ومن تجارب سبق لنا فاطلعنا عليها في مجلات علمية متنوعة ،

ان العلاج بالاشعة يؤثر في النبات تأثيراً من قبيل تأثيره في جسم الانسان . وهو يقول انه يقوي بنية النباتات والاشجار المثمرة ويزيد محصولها ضعفين او ثلاثة اضعاف ولما كانت التيارات الكهربائية تتجه ، وفقاً للنواميس الطبيعية ، الى القطب المغناطيسي الشمالي فيجب ان يوضع هذا الجهاز في الناحية الجنوبية من قطعة الارض المزروعة التي يراد معالجتها به فيمتد المجال الكهربائي المغنطيسي بالجذب من الجنوب الى الشمال ويشمل قطعة الارض كلها ومن التجارب التي اشار اليها المسيو رالي ان فداناً كان يعطي محصولاً من القمح يقدر بنحو خمسة ارادب الى ستة ارادب فصار يعطي محصولاً يختلف من ١٢ اردباً الى ١٥ اردباً . وهو يقول ان سنابل القمح لا تزداد عدداً ولكن حجم حبوبها ووزنها يزدادان ضعفين او ثلاثة اضعاف ثم ان حبوب القمح نفسها تكون ارفع على الآفات ، واغنى بمادة الغلوتين ، وقشّة اكبر واغنى

وقد حالج المستنبط في الجانب الثاني من تقريره فائدة هذا الجهاز في مكافحة بعض آفات النبات الطفيلية وابتادة الديدان والحشرات

وقاعدة هذه الناحية من فائدة الجهاز ، المباحث التي قام بها دارسون نقل وغيره من العلماء وخاصة دايشس الاميركي وقد وصفناها في كتاب فتوحات العلم الحديث . فقد اثبت دايشس ان الطاقة المشعة القصيرة الامواج تخترق حبوب القمح مثلاً وتحدث حرارة عالية مميتة في اجسام الحشرات التي قد تكونت داخل الحبوب فتفتك بها (فتوحات العلم ص ٢٦٤)

وقد وصف المسيو رالي في تقريره تجربة قام بها اذ اخذ طائفة من النباتات (الجرناء — جرانيوم) في تسعة اصص وحقنها بما يحدث فيها نواحي مرضية من قبيل النواحي السرطانية في الانسان . فلما ظهرت هذه النواحي ، أخذ اصيصاً منها واحاطه بأسلاك على طريقة معينة تكفل تأثر النبات بالامواج التي يولدها الجهاز وبعد ثلاثة اسابيع ذوت النباتات التي في الاصص الثمانية وهي التي لم تعرض للاشعة . اما النبتة التي في الاصيص التاسع ، وهي النبتة التي عولجت على المنوال المتقدم ، فبقيت حية ، بل ان النواحي المرضية تساقطت عنها ، بل ان ازهارها جاءت آية في نضارتها وروائها وجمالها وقد اشار لأكوسكي في كتابه « اسرار الحياة » الى تجارب من هذا القبيل اسفرت عن نتائج تؤيدها نتائج المسيو رالي

فهل تصلح هذه الآلة لمكافحة دودة القطن ؟ هذا ما يراه المسيو رالي

والخلاصة ان القواعد العلمية التي بني عليها هذا الجهاز قد ابتدئها مباحث العلماء في اوربا واميركا فيجدد باولي الامران يجربوا تجارب محكمة واسعة النطاق ، ليعرف مدى فائدته العملية في مكافحة مصائب الزراعة المصرية وزيادة محصولها

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

في هزمة ابن

سيدي مدير المقتطف الأغر

سلام واحترام وبعد فقد نشرتم في عدد نوفمبر من مقتطفكم الاغر نقداً لكتابي عمر ابن ابي ربيعة بقلم الاستاذ حسن كامل الصيرفي وارجو ان تسمحوا لي في ان اغتم هذه الفرصة لأشكر للاستاذ الكريم ثناءه عليّ وحسن تقديره لعملي وتحليله الرائع لكتابي غير اني لا اوافق حضرة الاستاذ الكريم في مسألة كتابة همزة ابن فقد ذكر ان القاعدة في حذفها هي ان تقع لفظة ابن بين اميين ولهذا يرى وجوب حذفها في عنوان كتابي الرئيسي والفرعي بحيث يكتبان هكذا :

«عمر بن ابي ربيعة» و«عمر بن ابي ربيعة» والمعروف في امر رسم همزة ابن غير هذا اذ ليست الاسمية قبل ابن وبعدها بكافية لاسقاط همزتها حتى ولا العلمية الا على شروط خاصة وقد امتنعت هذه الشروط في كلا العنوانين وكنت اودّ ذكرها لولا ان القدماء قد كفوني مؤونة هذا بذكرهم المواضع التي تثبت فيها همزة ابن بقصيدة اوردها الشيخ ناصيف اليازجي في «مجمع البحرين» هذا نصها:

قد أثبتوا ألف ابن في مواضع من	كلامهم كابنة خذها بتصوير
اذا اضيف لأضمار رضى ابنك او	لجده مثل عمار ابن منصور
او ذي مجاز كمقداد ابن الاسود اذ	ابوه بالحق عمرو غير منكور
او امه نحو عيسى ابن البتول سما	او كان في خبر يحيى ابن مشهور
او كان مستفهماً عنه كقولك هل	زيد ابن عمرو ام ابن القاسم الصوري
او كان تثنية كالمترضى وأبو	خديجة ابنا علي مشرق النور
او عكس ذلك بأن قدمت تثنية	كالخالدان ابن يسر وابن ميسور
او جاء الابن بغير اسم تقدمه	نحو ابن موسى وزيد وابن مذكور
او كان اول سطر او دوا سبب	لقطع همزته في نظم منشور
كجاءنا خالد ابن الوليد وفي	جمع علي ابنين في بعض المناكير
زيد وعمر ويحيى ابنو ابي رجب	جاءوا وقد حفظوا هذا بتذكير
او جاء لفظ ابيه بعده مثلاً	كجعفر ابن ابيه صاحب الصور

أو آخر اسم عن ابن نحو قولك قد جاء ابن زيد علي خير مشكور
 أو حال بينهما وزن كجاء لنا
 أو كان نصب باعني فيه مضمرة
 أو بعد اما لشك جاءني حسن
 أو حال بينهما وصف كاكرمنا
 أو كان من بعد جمع كالعبادة ابن
 أو كان الابن مضافاً لابن أو لآخر
 أو كان الابن منادى نحو حدثنا
 أو كان بينهما ضبط كقال لنا
 جاء ابن زيد علي خير مشكور
 ردني كطيرني ابن موسى صاحب الطور
 كمثل اكرمني زيد ابن مسرور
 إما ابن سعد وإما ابن منظور
 يحيى الكريم ابن ميمون بن مجبور
 المرتضى وابن عمرو وابن معمر
 أو عمه كالمعلّى ابن ابن عصفور
 موسى ابن مشكور يعني يا ابن مشكور
 سبحانه بالضم ابن المرتضى الدوري^(١)

ويجدر بي ان اشير الى ان هناك شرطين من هذه الشروط يمنعان حذف همزة ابن في العنوان الرئيسي — عمر ابن ابي ربيعة — اولهما في البيت الثاني وهو اضافة العلم الى جدّه وابن ابي ربيعة هو جدّ عمر لا والده والشرط الثاني وارد في البيت التاسع عشر وهو اضافة الابن الى كنية كزيد ابن اخي فلان او كعلي ابن ابي طالب مع ان ابا طالب والده لاجدّه . اما في العنوان الفرعي وهو عصر ابن ابي ربيعة فيمكنني ان تكون كلمة عصر غير علم لتثبت همزة ابن وعليه فنكتب ديوان ابن الفارض وعقد ابن عبدربه باثبات همزة ابن

وكم كنت اود لو يصطلح علماء اللغة على رسم همزة ابن بالالف أنى وقعت هذه اللفظة ولا بدّ لي في الختام من شكر حضرة الاستاذ الكريم لتنبيهه إياي الى الخطأ الذي ارتكبه الخطاط في تحريك نون ابن — بالعنوان الفرعي — بالضم حيث كان يجب ان تحرك بالكسر
 جامعة بيروت الاميركية كلية الآداب والعلوم جبرائيل جبّور

أشكر للاستاذ جبّور تنبيهه إياي الى المواضع التي يجوز فيها اثبات الالف في كلمة (ابن) على اني قد لاحظت ان الاستاذ المؤلف قد اسقط ألفها في كل موضع ذكر فيه اسم الشاعر عمر بن أبي ربيعة في متن الكتاب ولكنها اثبتت في العنوان . وأريد ان اذكر للاستاذ ايضاً اني لم انوّه في كلمتي عن هذه الالف في جملة (عصر ابن ابي ربيعة) لأن عصر ليست علماً ، وانما اردت الاشارة هناك الى رفع (ابن) وهي في موضع الجر
 حسن كامل الصيرفي

(١) راجع مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي طبعة المطبعة الاميركانية بيروت ١٩١٣ صفحة ٥٣ — ٥٤
 علي هامش القائمة البغدادية

كتاب الدكتور شهبندر

وردت علينا رسائل كثيرة من قراء المقتطف في مختلف الاقطار التي يقرأ فيها يسألوننا عن المقالات النفيسة التي ينشرها الدكتور عبد الرحمن شهبندر في « المشكلات الاجتماعية الكبرى في الشرق الأدنى » وهل ينتظر ان تجمع في كتاب على حدة ، فرداً على هذه الرسائل يسرنا ان نقول ان المؤلف الفاضل قد انجز هذه السلسلة النفيسة بمقال « الدين والنهضة الاخلاقية الحديثة » المنشور في هذا العدد ص ٦٠٥ . وإدارة المقتطف تستعد الآن لتجليد الكتاب وقد لا يأتي شهر دسمبر على آخره حتى يكون ذلك قد تم

تصحيح خطأ

١ - قصيدة النشوء والارتقاء

وردت غلطة في قصيدة (النشوء والارتقاء) من المطبعة اضاعت معنى البيت بأن كتبت « وتبلييك » بدل « وتبلييك » في البيت

(وتبلييك الحياة كما يفت الجو صوانا)

وبين القراء نجد الاديب حقاً لا بد ان يفهم انها تبلييك فلا يضع المعنى مع مثله من القراء ولكن الذين يأخذون غلطات المطبعة قضية مقدسة وحقيقة رائعة كثيرون ولا أزال اذكر ان بعض الفلاسفة قد بنى آراء وفلسفة كبيرة على اغلاط مطبعية وردت في طبع آراء باسكال الفرنسي وحدث مثل ذلك في اغلاط مطبعية وردت في طبعة شكسبير الاولى فقد كان الادباء في العصر الذي شاع فيه تقديسه قبل النقد الادبي يرقصون طرباً لمعان لا وجود لها بل هي اغلاط مطبعية كشفت بعد ذلك ولو كنت واثقاً من ان القراء سيجدون مثل هذه الآراء الرائعة التي ليس لها وجود لما همني الامر

عبد الرحمن شكري

٢ - الجامع المختصر

جاءنا من الدكتور بشر فارس من برلين تنبيه الى خطأ مطبعي وقع في العبارة الاخيرة من مقاله عن « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير : الجزء التاسع » الذي غني باخراجه الاستاذ مصطفى جواد . مقتطف اكتوبر ١٩٣٥ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ . فقد ظهرت العبارة في المقتطف كما يلي : ومن المتعذر ان (تجد تصحيحاً او تحريفاً او اضطراباً او سوء فهم للنص ومخرج الكتاب الى الناس مخرجه ؟) ، والحقيقة ان القوسين وعلامة الاستفهام اقحمت على العبارة خطأ ولم ينتبه لها قارئ التجارب فقلب المعنى من الثناء الجم على المخرج ، وهو ما يستفاد من مجمل المقال ، الى التشكيك في قيمة ما فعل وهو ما لم يقصد اليه الكاتب البتة . فاقضى التنبيه

تخليد ذكرى المتنبي

اجمعت الامة العربية في هذه السنة على تخليد ذكرى شاعر العرب الاكبر ابي الطيب المتنبي ، فاحتفلت محافل الادب بذكره ، في اكثر البلاد العربية ، واصدرت المجلات او اكثرها اعداداً خاصة بالمتنبي عرض فيها الادباء آراءهم فيه وفي شعره

ولما كان اقرب عدد يظهر من المقتطف الى تاريخ وفاة المتنبي في ٢٧ رمضان سنة ٧٥٤ هو عدد يناير الذي يصدر في يوم ٦ شوال سنة ١٣٥٤ فقد رأى المقتطف ان يؤدي الى الامة العربية حقها عليه في احياء الادب ، فندب احداً الادباء ان يبذل من ذات نفسه في قراءة المتنبي وتحقيق ما قيل عنه وعن شعره ، ليخرج للامة العربية صورة قريبة من الحق لشاعرها الاكبر

وقد جهد هذا الاديب في تنقية تاريخ الشاعر مما وقع فيه من الروايات الغريبة عن نسبه ونشأته

ونبوته ورحلاته في البلاد العربية عند الامراء الذين مدحهم او هجأهم او اقام بينهم ، وكشف في تاريخه عن جهات لم يلتفت اليها الباحثون من المتقدمين او المتأخرين على فضلهم وعنايتهم ، فخرج ما كتبه عنه ، ما يعدُّ كتاباً عن الشاعر العظيم يقدمه المقتطف لقراء العربية ، عسى ان يكون سبباً في توجيه دراسة الشاعر وشعره الى ناحية اخرى غير التي درج عليها البحث القديم والحديث

وفي هذا العدد كلمات اخرى لبعض كبار الادباء عن شعر المتنبي ، ومجموعة هامة من قصائده ، ثم مجموعة اخرى من بلاغات المتنبي وحكمه جمعت مرتبة على الترتيب التاريخي لشعره ، تبين عن تدرج منهج الشاعر او اختلافه على مرّ الايام والسنين



مكتبة المقتطف

المختار

الجزء الاول — تأليف الشيخ عبد العزيز البشري — صفحاته ٢٣٨ ثمنه ١٥ قرشا
 الشيخ عبد العزيز البشري ، امير من امراء البيان العربي الصافي كالبلور، الوهاج كالذهب
 الابرز، يأخذك من بيانهِ الجزالة والوضوح . فالرأي يسوقهُ اليك لا يعتوره غموض والعبارة يرسلها
 قلته كأنها المجاج . يفعل ذلك في الاقطاب الذين يترجم لهم (الباب الثالث من الكتاب) والمبتدعات
 الجديدة التي يصفها ، وخليجات النفس التي يحسها (الباب الثاني) ، ونفحات التاريخ العربي والادب
 العربي (الباب الاول) يقلبها على وجوها ثم لا يقبلها في معرض الرأي الا وقد استقامت على
 اسس راسخة من عقله وحسّه وذوقه . فالفصول التي يحتوي عليها هذا الكتاب من الآيات الادبية .
 فهي تمت من ناحية الى اعرق الاصول في ادبنا العربي المجيد ، ومن ناحية اخرى الى حياة الذهن المصري
 في هذا العصر الحافل بضروب المعاني المستحدثة والآراء الطريفة . وقد اشار خليل بك مطران في
 مقدمته النفيسة الى اسلوب الشيخ الكريم فقال :

« ها هنا يمرّ المطالع بقلائد وفرائد من خطب وفصول في الأدب لا يخرج يقيمها ، ولا يحكم
 صوغها وتنظيمها الا قلم البشري ولسان البشري تحرهما نفس كبيرة الهم بعيدة المراعي ، قلقة في مهاب
 الاهواء ومشارات المنازع ، فيأضه بحب مصر ، واينار العربية الفصحى لها لغة ، تتجنب التحقيقات
 العلمية ، والتعاريف المنطقية ، وان تبتغي الا اقتناع المتأدين من طريق الباعث الغريزي فيهم ، ومن
 طريق اخبارهم بما يجري عند الامم الغربية الراقية من مثل ما عندهم ، بأن البيان يجب أصلاً ان يكون
 عربياً سليماً في اللفظ والاسلوب والاصطلاح ، وأن يتكيف مع سلامته ومراعاته لتلك الاصول
 فينطبع بطابع الفطرة المصرية التي لها ما تتميز به خاصة من تلك اللغة وتلك الاصول . فإذا أحيط
 البيان بهذا النطاق وصين من تسرب العجمة اليه ، فلا مانع يمنع من كل ابتكار وتجديد ، على الا
 يعدو حدوده ولا يمس الخصيصة القومية في جوهرها »

المقدس

تأليف نقولا الحداد — صفحاته ٢٩٢ — ثمنه ١٥ قرشا

سفر عجيب ، لاهو بالرواية ، ولا هو بالتاريخ ، ولا هو برسالة في الاجتماع والاخلاق ، بل
 هو مزيج منها جميعاً ، فيه علم ، وفيه فلسفة ، وفيه تحليل اجتماعي واقتصادي لمشكلات المدنية الحاضرة
 ومزايا المدنية المقبلة وهو الى ذلك مرسل في قالب القصة تقرأ فيذكرك بما طالعت لول من بدائع
 الخيال العلمي والاجتماعي ، ولكنه ليس ولز . وتنساق مع النضال الاجتماعي فيه ، تمجيداً للمبادئ
 الاشتراكية المثلى ، فتتذكر الكتاب الذي ظهر من شهر فقط في اميركا لسنكاير لوس حاز جائزة نوبل

الادبية ، وقد تصوّر فيه انقلاباً فاشستياً في نظام الحكم في اميركا ، ولكن عنوانه دليل على رأي المؤلف الخاص اذ جعله « لا يمكن ان يقع هنا »

وهذا الضرب من الكتابة قد يبدو سهلاً لمن لم يتعمق في فهم مقتضياته ، اذ قد يُظنّ ان سحر الخيال فيه قد يغني عن ذهب الحقيقة . والواقع ان معاناة هذا النوع من الكتابة يحتاج في المقام الاول الى المام دقيق باتجاهات العلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة ، ومقدرة على التفلسف فيها — لا يمكن ان تنشأ الا من الفهم الصحيح — لاستنباط ما قد يكون محتملاً ، في المستقبل القريب او البعيد . ثم براعة في سياق هذه الآراء في قالب يستهوي القارئ ، فلا يميل عنه كما يميل في الغالب عن كتب العلم والاقتصاد والاجتماع ، باللغة مقدرة اصحابها على البسط ما بلغت وليس كل هذا بمستغرب من المؤلف ، وله روايات تعدّ بالعشرات ، ومؤلفات في الاجتماع والاقتصاد ورسل في العلم ، تدلّ جميعها على ذهن خصب ، وحياة قضاها صاحبها في التحصيل والتأمل ، وهذا الكتاب هو الاول من سلسلة ، تندمج فيها جميع هذه العناصر على هذا النحو البديع الاسلام الصحيح

بحث وتحقيق — الفه الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي — مطبعة العرب بالقدس سنة ١٣٥٤
الاستاذ النشاشيبي من افذاذ العربية ، والمتحققين بعلمها ، والمتثبتين في نقولها ، والمصححين في تأويل كلامها وقد طفق من زمن يجمع لكتابه (الاسلام الصحيح) ، كثيراً من النصوص المنتشرة في الكتب على غير نظام فاللف بينها وابان عن معانيها ، وردّ مختلفها الى الائتلاف وصحح ما وقع من الخطأ في تأويلها ، واقام النهج على ما يرى من صحيح عقيدته
وكان الذي حفز الاستاذ الى كتابه هذا جهل كثير من الناس بأصول الاسلام وتقصيرهم في دراسته وقد روى في اول كتابه انه وهو بمصر كان في زيارة صديق ، وعنده جماعة من فضلاء المحامين والمدرسين وافضى بهم القول الى ذكر ما كان بين الامامين (ابن سعود والامام يحيى) ، وذكروا بعد في مجلسهم مذهب الزيدية والوهابية فخلطوا في امرها وزعموها من الاسماعيلية ثم يقول المؤلف : « وقد رأينا ان ندفع ملتبساً ، ونزيل اشكالا ونجلي حقاً ، بان زوي قولاً للشوكاني في الوهابية ، فيه انصاف مجتزئين به ، ونجلي فصلاً مقتضباً في الزيدية وامامها ، ليعرف ما في نجد واليمن جاهله ، ثم نجى بأقوال في الامامة الاسلامية متبعيها بحثاً موجزاً عن آل البيت الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم » وقد توسع المؤلف في بحثه الاخير عن اهل البيت رضوان الله عليهم ، وجمع نصوصاً كثيرة فيما يتعلق بهم ، وباحكام الشرع لهم فيما يرون ، وابان ان الاسلام لم يأت بعصبية قبلية او عزوة جاهلية بل جاء تسوية بين الناس ، يستوي على سبيله العالم والجاهل والامام والمأموم والشريف والمشروف والكبير والصغير وانما اكرمهم عند الله اتقاهم ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى . ولا شك ان الاستاذ النشاشيبي قد بلغ فيه ما اراد من الدقة والتحقيق وحسن العرض

وزارة الزراعة الفنية ومباحثها

كتاب الزراعة السنوي لسنة ١٩٣٣

اطلعت على كتاب الزراعة السنوي لسنة ١٩٣٣ الذي اظهرته وزارة الزراعة منذ اسابيع فاحسنت صنعاً اذ سهلت لمحيي الاطلاع الوقوف على بعض نتائج ابحاث فنييها وتجاربهم المتنوعة والاستفادة منها وقد افتتح الاستاذ جلال بك فهم وكيل الوزارة (السابق) — وهو من اخص كبرائنا وزراعنا الذين يعملون بتفوق وهدوء — الكتاب بمقدمة جامعة بعبارة وجيزة لاهم المسائل التي قامت ولا تزال تقوم بها الوزارة لترقية الزراعة ووسائلها يتخلل ذلك اشارات دقيقة وآراء مفيدة منها قوله (صفحة ع)

« وليست هناك مناطق معينة تغل محصولاً أكثر وفرة من غيرها بدرجة محسوسة . والحقول الجيدة منتشرة في كل مكان وتكاد لا تخلو قرية من وجود حقل او اكثر هي في الواقع حقول نموذجية بلغ فيها الانتاج اقصى ما يمكن التفكير فيه . وكان المنتظر ان يقتدى عامة الزراع بما اتبع فيها وأن يترسموا خطواتها في الخدمة وطرق الزراعة والري والتسميد وما الى ذلك » — الى ان يقول — « ولا تدخر الوزارة جهداً في اذاعة المعلومات الصحيحة رجاء كثرة عدد الزراع الذين يلبون ندائها وبأخذون بنصيحها . ولا يخفى ان هناك من العوامل المضادة ما لا تقوى الوزارة على تخطيه بسهولة . وكلما زادت الثقافة بين الزراع وانتشر التعليم اثمرت النصائح ولا شك عندي في ان مجهود الوزارة في دراسة كثير من المسائل الزراعية قد جاوز مستوى الثقافة العامة الذي بلغه عامة الزراع والى هذا يرجع السبب في عدم الوصول الى الحد الذي نتمناه جميعاً »

لذلك كنت وما زلت أقول انه يمكن الاستغناء عن الغيطان النموذجية وتوفير الكلفة والمجهود اللذين تبذلهم الوزارة فيها الى ما هو الزم وانفع وانه لترقية الزراعة لا بد من تعليم الفلاح — راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٣٢ ص ٢٣٣ ما كتبتنه عن غيطان النماذج وص ٢٣٥ ما كتبتنه عن حالة الفلاح ومن الحقائق والفوائد العملية التي اهتدى اليها قسم تربية النباتات وتهم جمهور الفلاحين : — أولاً — الطريقة المعروفة بطريقة الزراعة الرملية للقطن (ص ٢٠ — ٢٣) غير اني احسب ان هناك مبالغة في تصوير فوائدها

ثانياً — عدم فائدة تطويع شجيرات القطن — ص ٤٩ — خلافاً لما كان يقوله البعض عن فائدها للمحصول

ثالثاً — فائدة التبكير بمحياة القطن باجرائه بعد ثلاثة اسابيع من زرعهِ لا ضعف ذلك واكثر كما كان يتبعه البعض (ص ٥٠) ولكني ارى انه يحسن دراسة هذا الموضوع — موضوع وقت المحياة — من جهة علاقته بتكاثر دودة القطن اذ ربما يكون تأخير المحياة وعزق القطن مرتين قبلها

وما يقتضيه ذلك من تخفيف الارض وابتداء الحشائش مفيداً في تقليل تناسل هذه الدودة ومنع تكاثرها أكثر من فائدة التبريد بها خصوصاً في الارض المحشة (الكثيرة الحشائش) وبالأخص في الجهات البحرية لا سيما اذا زرع القطن بدرجة حيث الجو قليل الحرارة (رابعاً) فائدة تعمير القطن (ص ٥٢)

واحسب ان ما ورد في ص ٥٠ عن المسافات بين شجيرات القطن (ان يكون التخطيط ١١ خطاً في كل قصبتين و ٣٠ سم بين الجورة والجورة) خاص بالجهات الجنوبية وما شابهها حيث الارض فائقة الخصوبة لانا نعرف بالاختبار انه في الجهات البحرية حيث الارض اقل خصباً يفضل ان يكون التخطيط ١٢ خطاً او اكثر قليلاً بدلاً من ١١ واحسب ايضاً ان بعض ما ذكر عن نتائج الزراعة البكيرة للقطن (ص ٥١) ينطبق على الجهات الجنوبية خاصة اما في البراري فان الزراعة الى ٢٠ مارس تعد زراعة بكيرة

اما بحث النظام الجذري في القطن وعلاقته بتفريع شجراته فمن البحوث الجديدة العظيمة الفائدة التي يحمد بكل زارع مستنير معرفتها وكذلك ما ذكر في بحث مستوى الماء الارضي وان كان بعضهما يحتاج الى زيادة بيان هذا ما خطر لي وأنا اقرأ بحوث قسم تربية النبات من الكتاب قراءة مستفيد يقدر جهود رجالنا الفنيين حق قدرها

احمد الالفي

وقد اعود الى باقي اقسام هذا الكتاب النفيس

« هجاء »

بحث للدكتور بشر فارس — في ملحق دائرة المعارف الاسلامية

في العدد الاخير من ملحق دائرة المعارف الاسلامية بحث نفيس باللغة الفرنسية في « الهجاء » للدكتور بشر فارس . والبحث تاريخي اجتماعي دقيق ، يتناول مقام الهجاء في الشعر العربي ويردّه الى اصوله الاجتماعية مما له صلة بالعرض عند العرب ، وهو موضوع الرسالة النفيسة التي احرز بها الدكتور بشر رتبة الدكتوراه العلمية من السوربون. وقد كتبنا اليه راجين ان يتحف المقتطف بترجمة هذا الفصل ، اذا سمحت بذلك دائرة المعارف الاسلامية واتسع لها وقته

وبعد فاننا يسرنا ان يحرز احد شباننا المتفوقين المولعين بالعلوم الشرقية هذا المقام في دوائر الاستشراف الاوربي ، فيعهد اليه في كتابة فصول في دائرة المعارف الاسلامية ، ويضاعف سرورنا ان المؤلف من نوابع الكتاب الذين يتحفون المقتطف باثارهم النفيسة

١ — السهام

نظم الياس قنصل — ٨٧ صفحة حجم متوسط — طبع بالمطبعة السورية في طاصمة الارجنطين

« ان من تقيدت بلاده بالسلسلة والغل ليس حرّاً وهو بعض منها ، ومن لم يكن حرّاً فلن تتفق نفسه عن شعر حر ، فسعيّنا لاستقلال بلادنا سعيّ حرية شعرنا ايضاً » . . . ذلك ما يقوله الشاعر الياس قنصل ناظم هذا الديوان الذي يضم مجموعة من شعره الوطني ، وان هذا الاحساس ليخالج نفس كل شرقي ، والشرق في حاجة الى هذا النوع من الشعر ليقود فيه الجذوة الخابية وليثير في نفوس ابنائه الاياء والعزة ويشعرهم بما لهم من حقوق وما عليهم من تبعات نحوها . وليس احد أجدر من شعراء العاطفة بالنفخ في بوق الحرية ، ولذا رأينا الشاعر القروي يفلت من جو الهدوء مودعاً قيثاره الحنون الى جوٍ صاحب مصطحباً فيه بوقاً عالي الصوت قوي التأثير ، فأخرج ديوانه الاطصير . واليوم نرى الياس قنصل يترك قيثارته العذبة وأنغامه الهادئة الشجية ليزار ويصول ويشير النفوس ، ولهذا أقرأ الآن ديوانه « السهام » معجباً بهذا الروح الذي يجب أن يسود في هذه الايام التي تلوح للشرق بفرص ذهبية قد لا تعوض . . .

وفي هذا الديوان مقطوعات بلغت من الاجادة في السبك والروح الشعرية مبلغاً طيباً كقصيدته « آمال تتجدد » التي رثى فيها الملك فيصل ، و« رسالة المهجر الى الوطن » وقصيدته الى سلطان الاطرش وقصيدته « معاذ الله ! » وغيرها من القصائد الاخرى التي يزخر بها هذا الديوان . على اني احس أن روح الشاعر قد فترت حماسها في آخر قصيدة « معاذ الله ! » فانقلب وصافاً يرسم دمشق بريشته الاولى ويتشوق اليها فتحس الصلة منقطعة بين الابيات الموجودة بالصفحة ٤٥ وبين ما سبقها في هذه القصيدة

فنتمنى ان تكون هذه السهام مصيبة الهدف الذي وجهها اليه وان تكون باكورة جهاد ففوز

٢ — ديوان الاسكندرية

أخرجه وكتب مقدمته علي محمد البحراوي — نشرته جماعة نشر الثقافة في ٢٠٨ صفحة من الحجم الصغير — طبع مطبعة المستقبل بالاسكندرية

ليس من ينكر ان في الاسكندرية حركة فكرية طيبة تعمل في سكون وهدوء . وكل من انيحت له زيارة هذا الثغر الباسم في جلوته الصيفية أدرك أثر هذه الحركة ولمسها باليد غير ان العامل القوي الذي يحال هذه الحركة بالسكون ويجعلها تتشج بثوب الصمت هو ما اشار اليه الاستاذ البحراوي في مقدمته الرائعة وهو عدم توطد الحياة الصحفية في الاسكندرية ، والصحف هي التي تحتضن النهضة الادبية وتتعهد بها بالنمو والازدهار ، ولذلك فان حركة النشر تضعف تبعاً لذلك وتأخذ سبيلها الى العزلة

ولقد أدى الاستاذ البحراوي الى الادب المصري أجل خدمة بإخراج هذه المجموعة من منظوم شعراء ذلك النفر على اختلاف مناهجهم ، والكثير منهم ليس بالجهول ، فلقد ضمت هذه المجموعة شعراء معروفين كالاساتذة خليل شيبوب وعبد الرحمن شكري وعبد اللطيف النشار و ابراهيم زكي وعثمان حلمي وغيرهم ، وضمت الى جانب ذلك زهرات غضة من آدابهم على أن الذي أحاطه ويلاحظه الكثيرون هو خلو الديوان من صور للأسكندرية في أجل أوقاتها حيث تتجلى آية من الفن جمالا وفتنة وسحرا وشعرا حيا وثابا ، ولعل أعباء الحياة ومشاغلتها هي التي تشغلهم عن التمتع بهذه الفرصة التي ينتهزها أخوانهم القاهريون ويعودون منها محملين بأبداع وحي وأجل ذكرى . نتمنى ان يكون حظ الجزء الثاني من هذا الديوان في مرتبة الجزء الأول قوة وإبداعا

حسن كامل الصيرفي

القاهرة

الجزء الثاني — تأليف الملازم الاول — عبد الرحمن زكي صفحاته ٢٠٢ —

كثير الصور والرسوم — ثمنه ١٠ قروش

قدمنا الى قراء المقتطف في السنة الماضية الجزء الاول من هذا الكتاب التاريخي الاثري النفيس معتبين ان نرى بين ضباطنا الشبان من يعنى بانفاق فراغه في الاشتغال بالمسائل العقلية بوجه عام وبناحية من تاريخنا القومي بوجه خاص . ولعل خير ما نسوقه الى القراء في تعريف الجزء الثاني من هذا الكتاب ، كلمة كتبها العالم بالآثار الاسلامية الدكتور زكي محمد حسن . قال :

ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب في العام الماضي فكنت من اشد الناس اغتباطا به وابتهاجا بظهوره ولا غرو فقد سد في عالم التأليف العربي فراغا كبيرا اذ كان من العار ان لا يوجد في اللغة العربية كتاب بل كتب حديثة عن عاصمة الديار المصرية وان لطرق ابواب الاجانب نستهدهم ما نحتاج اليه في دراسة تاريخها وآثارها

ويسرني اليوم ان اقدم الى القراء الجزء الثاني من كتاب القاهرة وأنا حريص الحرص كله على ان افي المؤلف حقه من المدح والثناء ليس فقط لانه احسن القيام بما اخذه على عاتقه فأفلحت محاولته ولم يضع جهده عبثا بل لاني كنت اخشى ان يقعده عن اتمام هذا الجزء ما يحسه ويشعر به هو وغيره من المؤلفين في مصر من قصور في تشجيعهم وتقدير ما يبذلونه من جهود كبيرة ولا سيما حين ينهضون بعبء الكتابة في موضوعات لم يسبقهم كثيرون الى البحث فيها ولا تنعم دراستها الا ببيئات خاصة بينما يقابلها سواد الناس بشيء من الوجوم والاستخفاف

وليس هذا الجزء من كتاب القاهرة بأقل طلاوة من الجزء الذي سبقه فمنهاج البحث فيهما واحد والعصر الذي يعرض لنا المؤلف صورته هنا ليس أقل شأنا من العصور التي سبقته بل ان

في هذه الصورة ما يبعث على تفكير أكثر لتعميق حقائقها وتعرف ما وراءها
وفي الواقع ان انحلال دولة المماليك وتفككها بينا كانت الدولة العثمانية تسير بخطى واسعة الى
التوطد والنماء جعل مصر فريسة هينة لها وكان استيلاء العثمانيين على وادي النيل وانتزاعهم الخلافة
الاسلامية ايذاناً بانتهاء مرحلة العصور الوسطى في مصر وابتداء العصور الحديثة بما فيها من علاقات
سياسية متصلة بالامبراطورية العثمانية والعالم الاوربي

وقد وفق المؤلف كل التوفيق في شرح الحوادث التاريخية التي مرت بمدينة القاهرة منذ
استولى عليها السلطان سليم حتى أشرق نجم محمد علي باشا الكبير فنجس في وضع الحجر الأساسي
لاستقلال مصر الحديث . وجاء خلفاؤه من بعده فعملوا على تدعيم هذا الاستقلال . وعرض
المؤلف في هذا الجزء صورة بديعة للقاهرة ولتطور فن العمارة فيها وما أصابه وبقيّة الفنون من
تعزيد أو غيره على يد الذين استولوا على أزمة الحكم في وادي النيل

وربّ معجب بطريقة المؤلف لم يكن ذلك الإعجاب لينعكس من مناقشته في أمور قليلة ليكون
كتابه أقرب ما كتب عن القاهرة الى الاتقان والكمال ولكن علينا ان نذكر ان الملائم الاول
عبدالرحمن زكي عمل على ان يلائم بين كتابه وبين عقول سواد القراء وأخذ على عاتقه ان يلتزم الایجاز
وان يترك التحليل والدقة والاستقصاء الى المفصل من كتب التاريخ والفنون والآثار . ومهما يكن
من شيء فان رجاءه على هذا الكتاب انما هو تمهيد السبيل ليستطيع غيره أن يصل الى حيث لم يصل
فعسى أن يحرص القراء على الانتفاع بما كتب وأن يبعث ذلك فيهم روح التزيد من البحث
والانعام في دراسة كتب الفنون والآثار

المدرسة المستنصرية

هذه هي الرسالة الأولى من رسائل (نادي المنى) ببغداد ، وهي تكشف عن المهمة التي
يقوم بها أعضاء النادي في خدمة العربية ، وإيقاظ مخلفات مجدها من الضياع . وقد قدموا هذه
الرسالة بعد سعي عند دار الآثار العراقية في المحافظة على هذه المدرسة ، والتفاهم معهم على ترميمها
وإصلاحها . وباني هذه المدرسة هو المستنصر بالله أمير المؤمنين ولي الأمر سنة ٦٢٣ هـ ويعدّه كثير من
المؤرخين من أعلى خلفاء بني العباس كعباً في خدمة الدولة ، وإقامة السلطان ، وبذل النصفه بين
الناس بالعدل ، وردّ الناس الى شريعتهم من الدين ، وكان هو هازم التتر وراذم على أعقابهم حين
قصدوا اول مرة العراق ، ولم تزل التتر في كرب منه ومن اخيه الخفاجي ، ولم يظفروا في مدة
ولايته بشيء وتوفي المستنصر بكرة الجمعة ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هـ ودفن في الدار المثمنة
بدار الخلافة على شاطئ دجلة ، ثم نقل بعد الى مدفن كان أعدّه لنفسه . وذهب الخليفة وبقيت
مدرسته التي بناها مؤثلاً للعلم والدين ، ومناراً يهتدي به المسلمون ويأوى اليه الأئمة ، وأراً
جميلاً من أروع الآثار الاسلامية ، وأدقها نظاماً ونقوشاً وفي هذه الرسالة صفة هذه المدرسة الجميلة

لباب الآداب

تأليف الأمير اسامة بن منقذ — طبع بتحقيق الشيخ احمد محمد شاكر — مكتبة لويس سركيس بالفجالة
 هذا الكتاب من تأليف الأمير النبيل والفارس المغوار والشاعر الاديب والرحالة الصياد اسامة
 ابن منقذ (١٠٩٥—١١٨٨ م) الذي نشأ وزرع في قلعة المنيفة شيرز على العاصي في شمال سورية،
 وقضى سني حياته الحافلة متنقلاً بين دمشق والقاهرة والموصل وسائر الحواضر الاسلامية، يجاهد
 ضد الافرنج الصليبيين، ويكافح الاسود الضواري، ويعاشر زنكي ويصطاد مع نور الدين ويصاحب
 الخليفة الفاطمي ويتعرف بزعماء الافرنج وينظم الشعر ويؤلف الكتب. حياة اسامة تمثل القروسية
 العربية على ما ازدهرت في ربوع الشام والتي بلغت قمة ازدهارها في صديقه وظهره صلاح الدين. فالكتب
 التي فيها اسامة نافذة تشرف منها على المدينة العربية السورية بحد ذاتها وبالمقابلة مع المدينة الافرنجية
 ومن خير الكتب التي صنفها هذا الأمير الاديب، كتاب «لباب الآداب». وهو «من اجود
 كتب الادب واحسنها، فقارئه يتنقل فيه من روض الى روض، فيجتني ازاهير الحكمة وروائع
 الادب ويقتبس مكارم الاخلاق. وفيه ميزة اخرى جليلة. ذلك ان فيه اقوالاً من نثر ونظم لم نجد
 في كتاب غيره من الكتب المطبوعة. فقد وجدنا ابياتاً لعامر بن الطفيل لم تذكر في ديوانه المطبوع في
 اوربامع أن المستشرق الذي طبعه جمع فيه كل ما وجد لعامر في الكتب الاخرى. ووجدنا ابياتاً لمالك
 ابن حريم المهداني لم نجد في غيره من الكتب وكذلك لابن المعتز ولاي العلاء المعري وغيرهم»
 (فاتحة المحقق صفحة ٦)

وكان المرحوم الدكتور صرّوف يملك النسخة الاصلية من هذا الكتاب الفدّ. وهي نسخة
 المؤلف الخاصة، اي نسخة أسامة نفسه كتبت في حياته ثم أهداها الى ابنه مرهف بن أسامة
 وقد أهدى الدكتور صرّوف نسخة فوتوغرافية من هذا الكتاب الى دار الكتب المصرية.
 وعلى أساسها شرعت مكتبة لويس سركيس في طبعه، بعد ان عهدت الى الشيخ احمد محمد شاكر
 في تحقيق الكلام ووضع الفهارس، ولكنه ما كاد ينتهي من طبع ثلث الكتاب حتى دله الشيخ محمد
 عبد الرسول على نسخة اخرى من الكتاب وكانت مذكورة في الفهرس القديم في باب علم التصوف.
 فاستعان بها في التصحيح. ويقول المحقق في هذه النسخة الثانية انها غير جيدة وفيها تحريف كثير
 ولكنها على كل حال أعانتة في غير موقع على التثبت مما غمض عليه في ألواح النسخة الصرّوفية،
 مستعيناً بشقيقه محمود وبالشيوخ محمد حامد الفقي

فلباب الآداب كما أخرجه الشيخ احمد محمد شاكر، مخدوم بتحقيق قلما يتاح لكتاب قديم،
 وبفهارس خمسة لآبواب الكتاب وأعلامه وأما كنهه وأيام العرب وقوافي الشعر
 والحق أنه تحفة من تحف الادب العربي المجيد، ولا نخالنا الا مفيد من الادب النفس
 وأدب البيان اذا اكبنا على مطالعته

كتاب الزراعة العملية الحديثة

تأليف الامير مصطفى الشهابي عضو في الجمع العالمي العربي ومدير وزارة الزراعة والتجارة بدمشق ومهندس زراعي (غربيون) طبعة ثانية في ٥٠٠ صفحة ونيف تحتوي على ١٣٩ شكلاً

موضوع الكتاب . يبحث هذا الكتاب الغزير الفائدة في تكون التربة الزراعية وتركيبها وخصائصها والاقاليم الزراعية السورية ونبذة في علم حياة النبات والاعمال الزراعية العامة والاسقاء وصرف المياه الزائدة والمصلحات والاصمدة ويصحبها بحث في جولوجية الشام الزراعية والدورة الزراعية وتعاقب الزروع . وهذه الابحاث كلها يطلقون عليها اسم الزراعة العامة . اما الابحاث التي يسمونها الزراعة الخاصة فقد تناول المؤلف منها زراعة اهم النباتات في ديار الشام منها ، اولاً الحبوب على انواعها كالحنطة والشعير والذرة والرز . ثانياً القرنيات كالفاصوليا والبسلى والعدس والفول . ثالثاً نباتات الكلاً والمروج كالبرسيم والقصفصة (القث او البرسيم الحجازي) . رابعاً النباتات العشقلية (الدرنية) كالبطاطس والبنجر او الشوندر واللفت . خامساً النباتات الصناعية المختلفة كالقطن والقنب والكتان والسمسم والخروع والحناء الخ . سادساً النباتات المختلفة كالتبغ وقصب السكر والكمون والسماق وغيرها . وقد اسهب الامير في كل ما له علاقة ماسة بزراعة الديار الشامية كالحنطة والتبغ والسمسم والقنب والقطن الذي يزرع على المطر واوز في النباتات الاخرى . وجميع الابحاث نتيجة دروسه الخاصة مدة عشرين سنة في المخبر او المزارع . ومما لم يسبقه اليه احدي في الابحاث العلمية محلية اصناف النباتات ورصد الجويات ١٨ سنة متتابعة وغير ذلك مما يجعل للكتاب قيمة علمية عملية ليست في غيره من الكتب الزراعية في ديار الشام خاصة

لغة الكتاب . اما لغة الكتاب فلا يختلف اثنان في ان الامير هو علامة العربية الاوحد في المصطلحات الزراعية وانه فيها نسيج وحده لذلك جاءت هذه الطبعة في لغة ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الاسلام . ومن المصطلحات التي لفتت نظرنا اسماء الالات الزراعية والامماء التي وضعها ^(١) لنباتات الكلاً المختلفة واسماء بعض اعراض الزروع

منها الضجعان او الغمّل لما يسمى بالفرنسية Verse وتسمية الترقيداي ميل سوق الحنطة نحو الارض لقلة صلابتها . والبسّيق والرّصع لمرض اختناق جذور الحنطة . والشّقيران لمرض الصدا وهو بالفرنسية Rocille والشّواد لمرض المسمى Charbon الخ ومن الامثلة التي تدل على علو لغة الكتاب هذا المثال الصغير عن اصناف الفاصولياء قال (صفحة ٣٠٤)

« الفاصولياء العريضة . — سوقها متسلقة واوراقها كبار غلاظ خشنة وقرونها طوال عراض وبذورها بيض كبار مفلطحات . وهذا الصنف من اكثر الاصناف شيوعاً بدمشق » ولم يأنف الامير من استعمال كلمة كيميائي نسبة الى كيمياء وقد ذكر لي انه راجع في ذلك شرح الشابي للرضي فثبت له اثبات الهمزة في مثل كيميائي بلا ادنى ريب

(١) انظر مقالاً في هذا الجزء من المقتطف ص ٥٨٧

ومما ذكره ان استاذنا الدكتور صرُوف رحمه الله عند ما اهديت اليه نسخة من طبعة هذا الكتاب الاولى ذكر في المقتطف ان هذا الكتاب هو كتاب السنة . ولا ريب في انه لو اطلع على هذه الطبعة بعد ان سمعت لغتها ونقحت ابحاثها وحوث اجود المصطلحات الزراعية لما تردد بان يجعلها « كتاب السنة » في يومنا هذا . فعسى ان يتحفنا الامير بكتب كثيرة من المؤلفات المفيدة
مصر الجديدة
امين المعالوف

قصص جغرافية للأطفال

الجزء الاول والثاني : لفنجستون وستاني — لكامل كيلاني — نشرته المطبعة العصرية
لم نكد ننهي من كتابة الكامة التي نشرت في مقتطف اكتوبر الماضي عن جزئي كتاب القصص العلمية ، حتى انتهى إلينا جزءان آخران من كتاب جديد ، هو كتاب القصص الجغرافية ، إلا أننا لم نر في ذلك مفاجأة تستجلب الدهشة ، فقد ألفنا من المؤلف — كامل كيلاني — خصلتين : السرعة ، والتتابع فيها ، وقد يقاسمه الاولى كثيرون من المؤلفين ، أما الثانية فليس لها إلا امثال هذا المؤلف الجاد ، وهم قليلون

وقد لاحظنا أن كتاب القصص العلمية كان من اخراج مطبعة المعارف ، أما كتاب القصص الجغرافية فأخرجته المطبعة العصرية ، فلعل الاستاذ كاملاً يجد ان داراً واحدة من دور النشر يفوتها لحاقه ، ويتعذر عليها اسعافه ، فوزع مؤلفاته على دور شتى ، لكي تتمكن من مسايرتها . او يعمل بقول يعقوب « يابني : لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة » فهو ملتزم بذلك تعويد مؤلفاته — حفظها الله — من العين

اشتمل هذان الجزءان من كتاب القصص الجغرافية على ترجمة حياة لفنجستون وستاني يتخللها مجموعة من الاساطير الطريفة . وطريقة المؤلف في كتابه ان يعقد حواراً بين رجل وأبنائه ينهي بالموافقة على مماع قصة الكشف ، فاذا سُمع فصل منها ، انعقد الحوار مرة ثانية ، ووفق فيه على مماع اسطورة ، فاذا انتهت تلك عاد الحوار مرة اخرى ، ثم سُمع من القصة فصل آخر . وعلى هذا المنوال تُسجّت فصول القصة كلها فجاءت الاساطير بمثابة الوشي والتطريز لهذا النسيج الجميل والحق ان ذلك المساق يضمن للأطفال دوام النشاط والانتباه في القراءة ، ومن البدائه ان نشاط الطفل وانتباهه امر ضروري يتوقف عليه استفادته مما بين يديه من الكتب . وإن إجادة المكاتب للأطفال لتختلف باختلاف ما في كتابته من التحيل لذهن الطفل الغض الذي تضره الشدة والصرامة ، وملاينة فكره المُدَلَّل الذي يمنعه العنف ان يتأثر بما يقرأ

والكتاب في شكله فتنة أخاذة ، فقد بُذلت في صورهِ الموفورة عناية تشهد ببراعة الذوق ، وقد طبعت فيه المحاورات والاساطير بحروف حجمها غير حجم الحروف التي طبعت بها فصول القصة الجغرافية ، فاكسب الكتاب بذلك رونقاً وطرافة تأخذ العين ، ثم تمنع في اخذها ! ***

يوبيل مجلة العرفان

لا يخفى على احد ما تقدمه الصحافة الرصينة للأمة من الفوائد فهي مرآة الروح القومية من شعور عام ومبادئ وأدب وهي مرآة لليقظة الفكرية والنشاط الأدبي والوطني معاً . وقد اجتمعت الشعوب على ان الصحافة هي عنوان رقي الامم . والصحافة ولا سيما الادبية والعلمية تواجه في الشرق عقاباً شتى أدبية ومادية تكاد تقضي عليها لولا جهود منشئها الجبارة ولولا لذة الثبات في العمل وفي طليعة صحفنا الأدبية مجلة « العرفان » تتبارى مع أرقى المجلات العربية مادة واسلوباً . فقد ثبتت في طريق كلها اشواك ومتاعب . ومتى عرفنا ان عشرات من الجرائد والمجلات في سورية ولبنان قد توارت في هذا الزحام الشديد اتضح مقدار الجهود الخطيرة التي يبذلها صاحب العرفان الكريم الشيخ احمد عارف الزين لحفظ كيان مجلته في هذا المعترك الأدبي وهذا التنافس المستديم . والخدمات الادبية التي ادتها هذه المجلة العزيزة عديدة واسعة النطاق نكتفي ان نحصيها في نقاط ثلاثة :

فهي أولاً (مجلة جبل عامل) هذا الجبل الأشم صاحب التاريخ المجيد في السياسة والأدب والذي يحق له أن يدعى « برناس » لبنان حيث يولد الشعر القمطري مع كل فرد من ابنائه . فطلما افسحت هذه المجلة صدرها لنفحات أدبائه الذين قلما يتسنى لهم ان يتصلوا بصحف أخرى لنشر ما تجود به قرائحهم . وقد كان لها فضل كبير في اثارة الرأي العام وتوسيع نطاق التفكير وبث روح النهضة في منطقة مهملة في كثير من حقوقها . ولا ننسى فضل مطبعتها في نشر مئات من المؤلفات التي لا يتمكن اصحابها من طبعها لولا تساهل صاحب العرفان ومؤازرته الفعالة لهم

ثانياً — هي مجلة (الشيعة الكبرى) في جميع انحاء العالم في العراق كما في سوريا ولبنان وهذه الميزة تكفي لان تحفظ لها الاحترام والمртеبة التي هي اهل لها . فهي أداة تعارف بين الأوساط الشيعية من ادباء وعلماء على اختلاف بلدانهم . وحسبنا فخراً انها اول صحيفة عرفتنا بادباء العراق المجدين امثال الشبيبي والشرقي والجواهري وغيرهم من كبار ادبائهم وقد دعاها ادباء العراق « مجلة العراقيين » فلا عجب اذ رأينا كرام هذه الطائفة العزيزة في مختلف الاقطار مستعدين لتكريم العرفان ثالثاً هي (مجلة العرب) فان المجلات العربية محصورة في الغالب في القطر الذي تصدر فيه ماعدا مجلتي « المقتطف » و« الهلال » وهما في نظر المفكرين نواة وحدة الثقافة والآداب في العالم العربي وعلى هذا فإننا نرى ان « العرفان » المنتشرة ايضاً في كل قطر عربي وفي المهجر لها مع « الهلال » و« المقتطف » نصيب وافر في تكوين عناصر هذه الوحدة الأدبية المذشودة . ولا بدع ايضاً اذ رأينا انصار هذه المجلة في جميع الاقطار على أتم الاستعداد للاشتراك في الاحتفال « بيوبيلها الفضي » ومؤازرتها مادياً وأدبياً . وقد تراءى الينا انه فضلاً عن الحفلة الأدبية الكبرى التي ستقام لها في صيدا في الربيع القادم والتي سيشترك فيها أمراء البيان في الأدب العربي سيقام لها ثلاث حفلات في نيويورك والارجننتين والعراق . وسوف يعين تاريخ موعد الحفلة في هذين الشهرين وستوضع الحفلة تحت رعاية الحكومة المحلية التي تقدر قدر الادب وذويه

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

العين وطول العمر

مدى الحياة تعينه الوراثة

مباحث عالم الماني

هذه خواطر تخطر للباحت بعد اطلاعه على مقال للعلامة الألماني الأستاذ فوغت . فقد عمد هذا الباحث الى تبين اسرار الهرم والشيخوخة والتعمير في التوائم

فبحث ما استطاع عن توائم كل توأمين منها متشابهان تمام التشابه أي انهما اشتقا من بيضة واحدة فتشابه بناء جسميهما في كل تفصيل دقيق حتى ليتعذر في الغالب على والديهما ان تفرق احدهما عن الآخر . فعثر بعد السهر والسعي على تسعة عشر زوجاً من التوائم التي من هذا القبيل وكانت اعمارها تختلف من ٥٥ الى ٨١ والاساذ فوغت مدير عيادة العين في جامعة زوريخ . فكان من الطبيعي ان تتجه عنايته الى فحص عيون التوائم لتبين اثر السنين فيها — في بلورتها ومائيتها وقرنيتهما وشبكيتها وسائر اجزائها وكانت النتيجة التي اسفر عنها بحثه من اعجب ما يكون

فقد ثبت له انه مهما يكن الاختلاف في نشأة التوأمين وسواء عاشا معاً في وسط واحد او فصل احدهما عن الآخر فعاشا في وسطين مختلفين فان حالة عينيهما كانت واحدة . أي ان

لماذا يتقلص الجلد وينكمش ويضعف البصر ويسقط الشعر وتبطىء الخطى ويخف السمع ويشيخ الجسم بوجه عام ؟ وهل الشيخوخة داء ؟

قبل ان يرتقي الطب فيحسب في عداد العلوم كانت هذه الاسئلة تقلق البال وتحمل على التفكير والبحث . فجعل كيماويو العصور المتوسطة مهمهم البحث عن اكسير الحياة وينبوع الشباب وقد تضحك الآن من المعتقدات التي كانت تسيطر على عقول الناس حينئذ لاننا نظن ان بعض المعارف العلمية قد حررتنا من نيرها ولكننا مع ذلك لا نزال كما كانوا يقلقنا كل ما يتعلق بالهرم والشيخوخة ولا نزال نعنى بالبحث عن اسبابهما ووسائل اتقائهما

هل يضعف الجسم ويسير الى القبر لان الوسط الذي نعيش فيه يقوى عليه — يقوى بجراثيمه المتنوعة واختلاف حرارته وبرده ورطوبته ؟ واذا كنا نفسر الموت بانحطاط الجسم وحؤوله ، فكيف نفسر تعمير اقطاب من امثال غلادستون وبسمارك وكيف نعلل ايضاً وفاة عبقرى كهوزار في ما يكاد يكون في شرخ الشباب ؟

المرض ليس نتيجة مباشرة للجراثيم الضارة فاجسامنا لا تستطيع ان تقاوم هذه الجراثيم مقاومة متساوية والمخزال اجسامنا امام حملاتها او فوزها في رد شرورها يتوقف على نشاط الحملة وعلى قوة النسج الحيوية ونشاطها . وقوة النسج تتوقف على تركيبها وهذا يعود بنا الى البيضة التي نشأت منها . فالتعمير او الموت في شرح الشباب اذا تساوت جميع العوامل الاخرى يتوقف على ما يرثه من والديه

هل حقن الاكسجين

ينقذ حياة الغرقى

يؤخذ من مباحث طبيب هندي يدعى الدكتور سنج يقوم بمباحث علمية طبية في جامعة كبرج احيانا وكلية رانغون الطبيعية احيانا اخرى ان حقن الاكسجين في العروق قد يكون السبيل لاقتاد حياة الغرقى أو المصابين بنوع خاص من النزلة الشعبية او غيرها من الحالات التي يصعب فيها التنفس على المريض

فقد تمكن هذا الطبيب من الاحتفاظ بكلب حياً مدة ١٦ دقيقة بحقنه بهذه الحقن مع ان الكلب ظل خلال هذه المدة لا يتنفس الاكسجين عن طريق الرئتين . وكان ضغط الاكسجين المحقون في العروق ثلاثة اجواء ، ولولا خطأ في اسلوب الحقن لاستمرت التجربة اكثر من ١٦ دقيقة . وقد نشرت مجلة اللانست الطبية

هذا النبأ وعلقت عليه بمقال افتتاحي والخطوة التالية هي تطبيق هذه التجربة

على الناس

آثار تقدم العمر كانت واحدة في كل من التوائم التي خصها فالانحطاط النسيجي في القرنية والشبكية والبلورة والمائية كان واحداً في كل زوج من التوائم التي خصها

ولكن التشابه لم يقتصر على العين

بل وجد ان شعر الفروة يسقط في كلا التوأمين

في وقت واحد او يشيب في بقعة واحدة

بل انه وجد تشابهاً عجيباً في تجمع الجلد

وانكاشه وغيره من بواذر الهرم

ولا يخفى ان علماء الوراثة قد انفقوا وقتاً طويلاً في درس آفات العين وانتقالها بالوراثة او عدمه فاجتمع لديهم من الادلة ما يدل ان العيون يضعف بصرها في الاسر وفقاً لقاعدة معينة . وقد اثبتت مباحث فوغت صحة هذا الرأي

ويخلص الاستاذ فوغت من المباحث التي تقدم معنا ذكر طرف منها الى النتيجة التالية وهي ان الوسط لا اتركيب له في موضوع التعمير والشيخوخة وعنده ان مدى حياة الانسان معين من قبل الولادة بعوامل وراثية خاصة وان كل عضو من اعضاء الجسم له مدى خاص من الحياة . وهذا يعني ان التعرض للفواعل الطبيعية لا ينجم عنه امراض او عوارض تقصر مدى الحياة . ولكنه يعني انه اذا غني الانسان بمعيشته الصحية عناية معقولة فليس للوسط الذي يعيش فيه تأثير كبير في طول حياته أو قصرها وهذا يتفق من ناحية ما والى حد ما مع رأي الدكتور ستريتر مدير قسم البيولوجيا الحيوانية في معهد كرنيجي . فهو يقول ان

جائزتا نوبل

في الطبعة والكيمياء لسنة ١٩٣٥

حملت الينا الانباء البرقية ان جائزة نوبل في الطبعة منحت للعالم الانكليزي الاستاذ شك - وان جائزة نوبل في الكيمياء منحت للعالم الفرنسي الاستاذ جوليو وقربنته مدام ايرين كوري جوليو وهي ابنة الاستاذ كوري وزوجته اللذين اشتهرا باكتشاف البولونيوم والراديوم والى القارئ طرفاً من المباحث التي قاموا بها جميعاً فاستحقوا الجائزتين عليها

في اوائل سنة ١٩٣٢ اذيع في انكلترا ان الاستاذ شك كشف دقيقة مادية جديدة اطلق عليها اسم النوترون وهذا الاكتشاف اقوى دليل على عالمية العلم وشيوعيته . ذلك ان طوائف مختلفة من العلماء في بلدان مختلفة مهدوا بمباحثهم الطريق لكشف النوترون على يدي شك الانكليزي ففي سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث وبكر يطلقان دقائق الفا على لوحة من معدن البريليوم . فكانت الدقائق المسددة الى تلك اللوحة تصيب نوى ذرات البريليوم فتطلق هذه من تلقاء نفسها اشعة غريبة شديدة النفوذ فظن انها من قبيل اشعة غاما التي تخرج من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقدرة على نفاذ المواد . وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو وزوجته كريمة مدام كوري بتجارب من هذا القبيل ولكنها اوسع نطاقاً واضبط احصاء وادق حساباً وظهر ما ظهر في هذه التجارب ان الاشعة الخارجة من البريليوم - او ما يحل محله من المواد - اشد طاقة عشرة اضعاف من الاشعة

الموجهة اليه . ففرض جوليو وزوجته ان هذه الاشعة امواج تقع بين اشعة غاما التي تخرج من الراديوم والاشعة الكونية وهي اقصر الاشعة المعروفة امواجاً واقواها نفاذاً

واطلع شك على هذه التجارب ونتائجها فاعادها ووجد ان فرض ان هذه الاشعة امواج لا يتفق والنتائج الرياضية ولكن اذا فرض انها تيارات من دقائق وزن كل منها واحد (اي كوزن ذرة الايدروجين) ومتعادلة كهربائياً (اي ان كهربائيتها السالبة تعادل كهربائيتها الموجبة) وتسير بعشر سرعة الضوء كفى ذلك لتفسير الحقائق المشاهدة . ودعا الدقيقة التي تتصف بهذه الاوصاف باسم « النوترون » اي المحايد (من محايدته الكهربائية)

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان مباحث جوليو وزوجته التي افضت الى اكتشاف النوترون افضت بهما كذلك الى استنباط طرق جديدة لتوليد اشعة اقوى من اشعة الراديوم وهو ما يعرف في علم الطبعة الحديث باسم الاشعاع الصناعي Artificial Radio - Activity

علاج الانيميا الخبيثة

يفيد في الجدري

في اواخر السنة الماضية منحت مؤسسة نوبل العالمية جائزة نوبل للطب لثلاثة اطباء اميركيين هم مينو وهوبل ومرفي لاستنباطهم طريقة معالجة الانيميا الخبيثة بالكبد . وقد فصلنا عملهم في المقتطف والكتاب الجديد الذي اهديناه الى المشتركين بعنوان « اساطين العلم الحديث » وقد اطلعنا الآن في « رسالة العلم الاسبوعية »

على ان حقن خلاصة الكبد في العضلات يوقف سير الجدري ويقتصر مدة المرض ويمنع حدوث نكث الجدري الذي يترك الوجه مشوهاً في بعض الاحيان بما يتركه من الندوب ويحسن حالة المريض بوجه عام وقد اكتشف هذه الحقائق الدكتور غوفندان نير احد اساتذة كلية فيزغاباتام بمقاطعة مدراس في الهند. فقد جرب الدكتور نير بمساعدة الدكتور اديسو برامانيان احد اطباء مصلحة الصحة حقن خلاصة الكبد في ٢٨ مريضاً في خلال وباء حديث من الجدري تفشى في فيزغاباتام. وقد نشرت نتائج التجارب في المجلة الهندية الطبية. ولكن الدكتور نير صرح بالحذر الذي يتصف به العالم ان النتائج لا يجب ان تؤخذ على انها حقيقة راهنة لقلة عدد المرضى الذين اجريت التجربة عليهم. ويفسر قلة عددهم بان الجدري في الهند يحسب مرضاً مقدساً ولذلك يرفض الاهلون العلاج لانهم يظنون العلاج عقياً. الا ان النتائج التي اسفرت عنها التجارب تحمل على النشاط في مواصلة البحث في هذه الناحية. وكانت الحقن تختلف مقدراً باختلاف عمر المريض ونوع الجدري الذي أصيب به

رسالة من دارون

الى الدكتور فاندريك

قبل وفاة العلامة دارون بستة عشر يوماً بعث برسالة الى الدكتور وليم فاندريك نجل العلامة المرحوم الدكتور كرنيليوس فاندريك احد الاساتذة الاول في جامعة بيروت الاميركية وصاحب المؤلفات العالمية النفسية باللغة العربية

والدكتور وليم الآن استاذ شرف لعلم الحيوان في جامعة بيروت
 اما رسالة دارون الى الدكتور وليم فتاريخها ٣ ابريل سنة ١٨٨٢ وهي في صدد بحث في علم الحيوان كان الدكتور وليم قد بعث به الى العلامة دارون لاطلاعه عليه. وملخص الكتاب انه بعد اطلاعه على البحث رأى وجوب نشره وقد بعث به الى مجلة المعهد العلمي مفضلاً نشره فيها على نشره في مجلة نايتشر. ولا يخفى ان طائفة من علماء الانكليز عنوا من سنوات بجعل بيت دارون في دون متحفاً لاثاره ومخلفاته ودعت جميع الذين يملكون شيئاً من هذه الاثار الى اهدائها الى المتحف. فبعث الدكتور فاندريك بهذا الكتاب ليضاف الى غيره من رسائل علامة التطور وآثاره

نقل لاسلكي عجيب

لصورة ملككم كبل

يعلم القراء ان السر ملككم كبل بلغ من اشهر بسيارته « الطائر الازرق » سرعة متوسطها ٣٠١ ميل في الساعة على مسافة ميل واحد ذهاباً واياباً وكان ذلك في ولاية يوتاه الاميركية التي تبعد نحو اثني ميل عن مدينة نيويورك. وقد نقلت صورته وهو ماض بهذه السرعة بأسلوب النقل اللاسلكي الى لندن عن طريق نيويورك ولكن جهازاً خاصاً في نيويورك تمكن من التقاط الصورة وهي في طريقها الى لندن. فكان نيويورك ولندن تلقيا هذه الصورة في وقت واحد من مصدر واحد وباشارات لاسلكية واحدة. وكانت صورتان واضحتين كل الوضوح

الجزء الخامس من المجلد السابع والثمانين

- ٥٢٥ ذَرْعُ الفضاء
- ٥٣٠ معجم الاستاذ فشر : للدكتور بشر فارس
- ٥٣٣ المال عند الاقدمين وعندنا : لامين الريحاني
- ٥٤٠ حالتان للنفس (قصيدة) : لعبد الرحمن شكري
- ٥٤١ التجارة الاسلامية وأثرها في الحضارة : للدكتور قسطنطين زريق
- ٥٤٩ مطاط من غاز
- ٥٥٤ الدوامة الكونية (مصورة)
- ٥٥٨ الفيلسوف لوك وأثره في تطور فن التربية : لحسن كامل
- ٥٦٥ وقفة امام « ابي الهول » : لراجي الراعي
- ٥٦٨ موقعة نافارين البحرية : للدكتور علي مظهر (مصورة)
- ٥٧٦ بيبير لوتي على شواطئ البوسفور : ليوسف البعيني
- ٥٨٠ الاغراق في الثورات : لسليم خياطه
- ٥٨٧ ألفاظ الآلات الزراعية : للامير مصطفى الشهابي
- ٥٨٩ مفردات النبات بين اللغة والاستعمال : لمحمود مصطفى الدمياطي
- ٥٩٤ المثلي (قصيدة) : للشاعر القروي
- ٥٩٧ مصلحة الآثار المصرية ودار الآثار المصرية (مصورة) : للدكتور حسن كمال
- ٦٠١ رسالة « السيرة الفلسفية » للرازي . لاجد فؤاد الاهواني
- ٦٠٥ سير الزمان * الدين والنهضة الاخلاقية الحديثة : للدكتور عبد الرحمن شهبندر .
- العقوبات الدولية (الادبية والمالية والاقتصادية)
- ٦٢٥ حديقة المقتطف * الحرب القادمة : لاوزبرت ستول . القارورة اليونانية : للشاعر الانجليزي جون كيتس : ترجمها خليل هندأوي

- ٦٢٩ باب الزراعة والاقتصاد * صوامع الغلال . جهاز الليفان
- ٦٣٣ باب المراسلة والمناظرة * في همزة ابن . تصحيح خطأ . الجامع المختصر
- ٦٣٦ مكتبة المقتطف *
- ٦٤٨ باب الاخبار العامة *